العزلة اتصال أم انفصال؟

رامز رمضان النويصري

"استطاعت جائحة فيروس الكورونا المستجد (كوفيد 19) منحي الفرصة لتنفيذ الكثير من الأعمال، والمشاريع، وفرصة أكبر للتفكير، خاصة في مسألة العزلة بعد شهرين قضيتهما في عزلة شبه تامة، لا تواصل إلا مع أفرد أسرتي الصغيرة، وفي حدود البيت."

وإن كنت في مقالتي الافتتاحية في عدد مجلة الفصول الأربعة الماضي (126) عنونت مقالي بـ(العزلة في زمن الإنترنت)، والتي تحدثت فيه عن العزلة في زمن التواصل الموازي عن طريق الإنترنت، وبشكل خاص منصات التواصل، التي حققت الانعزال (التباعد)، ولم تحقق العزلة، فهي مبنية على أساس نهايات أو أقطاب غير موصولة تعمل على وصلها. لكني فيما بعد وجدتني أعود للتفكير في العزلة ذاتها، خاصة وإني ضمنت مقالي ملخصاً لرواية (الرهان) للكاتب الروسي الكبير "أنطون تشيخوف"، وكيف إن المصرفي عندما ذهب إلى السجن، لم يجد المحامي، الذي غادر غرفة السجن تاركا رسالة يقول فيها: (حين قبلت الرهان كان هدفي الحصول على المال، لكني قبل انقضاء الوقت بقليل قررت الانعتاق من سجني والانطلاق إلى الحياة فقيراً).

والسؤال هنا؛ لماذا ترك المحامي سجنه قبل حصوله على الرهان؟ ولماذا قال: قررت الانعتاق من سجني والانطلاق إلى الحياة فقيراً؟ هنا؛ لن أحاول الإجابة عن هذين السؤالين، بقدر ما أحاول الاقتراب منهما! بقصد الحصول على رؤية أو فكرة تصلح للنقاش .

كلنا سمع بجملة (الإنسان كائن اجتماعي بطبعة)، وهي ترقى عند الكثير إلى مرتبة القاعدة، وحقيقة يثبتها التاريخ الإنساني، وتقرها الأديان والأعراف والقوانين، وعلى أساسها عمرت الأرض، فالتواصل أحد أهم الأساليب والوسائل لنقل الخبرات والمعارف والعلوم، بها انتقل

العلم من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، ولأنه تواصل فاعل ومؤثر، كان مادة مسجلة وموثقة برزت في متن التاريخ الإنساني منذ بداية عمليات الرسم على الكهوف، إلى العصر الرقمي .

ولأن الإنسان كائن اجتماعي -بطبعه-، ويحتاج هذا العلاقة المادية مع الأخر، كان الحبس أحد صور العقاب التي يقررها النظام أو القانون على الإنسان المخطئ، بحيث يتم حجز حريته، في شبه عزلة ضمن مجموعة، وعندما يكون مستوى واتجاه الخطأ كبيراً، يتم عزل هذا المخطئ، في محبس معزول (حبس انفرادي). وأثبتت التجارب، إن الإنسان مهما بلغت قوة عزيمته يسقط أمام هذه العزلة، ويرضخ!!، فهل تقدم لنا هذه الحقيقة جواباً؛ لماذا ترك المحامي سجنه؟

في المقابل تؤكد الوقائع التاريخية، ذاتها، إن للعزلة أثر كبير في الحراك البشري، والمفاصل التاريخية المهمة، فالعزلة كانت ملجأ الأنبياء، والعلماء الذين أثر عزلتهم حاضرا بيننا ومازال. ولعل هذا يعيدني إلى رؤية الدكتور "مصطفى محمود" حول العزلة، والتي بدأت بها مقالة الافتتاحية التي أشرت لها سابقاً، والتي يقول فيها؛ (إن الإنسان بين حياة يجمع فيها الخبرات والمعارف، وعزلة يقوم فيها بهضم هذه التجارب). وسنجد إن هذه الحركة في تكرارها؛ هي آلة إنتاج الفكر والإبداع.

في نموذج الدكتور "مصطفى محمود" نجد إن الاتصال البشري، والحياة الاجتماعي مهمة لحياة العزلة، كونها الزاد الذي تعيش عليه، والذي يمدها بالقوة لاستمرارها. وربما استطاع هذا النموذج أن يجيب عن سؤالنا الذي خرجنا به من قصة "تشيخوف"، لكنني سأتجاوز هذه المحاولة!

مما يحسب للعزلة قدرتها على منح طالبها القدرة على التركيز، والخروج من دائرة الحياة اليومية بما فيها من مادية وخبائث، خاصة عندما تكون مطلباً وغاية، ووسيلة إلى السلام مع النفس، وفي ذات المقام عزلة العابد، وعزلة العالم الذي يحاول الوصول إلى نتيجة أو حلا لمسألة. في العزلة يكون الفرد أقرب جداً لذاته، وقريبا منها، بل إنه قد يتجاوزها. بالتالي تطاوعه نفسه على الاستمرار والمضي أكثر في العزلة، لأنها اختيار. على العكس، لا يتحقق هذا في العزلة المفروضة، كالسجن أو الحبس الانفرادي، إذ تظل النفس معلقة بما خلف القضبان والجدران، وعندما تتعب، ترضخ وتسلم!!

•••

وفي ظني، وبناء على المعطيات التي مررنا بها، فإن العزلة أعطت المحامي الفرصة للتركيز أكثر، بعيدا عما يشوش اتصاله بذاته (نفسه) في مراجعة لتجربته وما يمكن أن يحققه، ومع الوقت يظل يعيد تقييم أو تقويم التجربة، ليجد أن عزلته في هذا السجن، لا تساوي لحظة حرية يعيشها مع أفراد أسرته ويتواصل فيها مع الأصدقاء، لذا يكسب رهان نفسه ويغادر دون أن يبيعها مقابل المال!

أعتقد أن فكرتي تبلورت، والتي تقول؛ إنه مع تحول العالم إلى قرية صغيرة، بفضل ثورة الاتصالات، واعتماد البشر في أغلب بقاع العالم على شبكة الإنترنت في الاتصال والتواصل والوصول إلى المعلومات والاطلاع على مجريات العالم، فإنه جائحة فيروس الكورونا المستجد، أعادت إحياء الكثير من الأفكار والتصورات السابقة، والتي ترى إن العالم أو المجتمعات البشرية ستتحول إلى جزر معزولة، ماديا، ومتصلة عبر الشبكة .

إن هذا التصور أو الوضع، أن يكون الإنسان معزولا -مادياً- عن مجتمعه، بمعنى فقد التواصل الملموس والحسي مع نظرائه من أفراد المجتمع، سوف يفقد تأثيره في وجود تواصل شبكي يمكنه من إشباع حاجة التواصل مع الآخر، ويغلب به وحشة العزلة بالإبحار الشبكي، قد لا يحقق هذا الوضع سلاما روحياً أو استقرارا نفسياً للجميع، لكن من المؤكد إنه ثمة من يستطيع أن يحقق هذا التكامل بين العزلة والتواصل، على مبدأ؛ إن التواصل يمنح العزلة بعداً جديدا ومغامرة تستحق التجربة، في ظل غنى كبير تتيحه الشبكة، ليتحقق في هذا الشكل الاتصال وينتفي الانفصال.

أن تجربة العزلة في زمن الإنترنت، زمنت الاتصال والتواصل، يؤكد ما يمكن أن تحدثه شبكة الإنترنت في حياتنا من تغيرات على مستوى السلوك الفردي والمجتمعي، ونحن في انتظار ما سيكون بعد أن تنتشر تقنية (إنترنت الأشياء)، حيث كل شيء يعمل من خلال الشبكة.

العزلة وأثرها على المجتمع في ظل تطور وسائل الاتصال

أمراجع السحاتي

أولاً لمحة عن العزلة وتحديد مفهومها وأنواعها ونتائجها:

أ- العزلة:

العزلة ليس مفهوم جديد أو مصطلح ليس له أهمية في كافة جوانب الحياة، لقد تم تطبيق هذا المفهوم أو المصطلح منذ أن ظهر الإنسان، وهو يطبق في كل يوم في نطاق العالم الذي نعيش فيه، وهو مصطلح متعدد ومتشابك ومتنوع التطبيقات. هذه المفهوم طبق على الإنسان وعن الحيوان وحتى على الجماد، طبق في السياسة فصار هناك عزل سياسي، وطبق في الاقتصاد فصار هناك عزل اقتصادي، وطبق في الاجتماع فصار هناك عزل اجتماعي، طبق في الصحة فصار هناك عزل صحي أو حجر صحي.

والعزل ليس مقصوراً على الإنسان بل هناك عزل للحيوانات والطيور عن بعضها، وهناك عنه، الماء عن ارض ما، وهناك عزل حجرة عن أخرى وغيره. إذن العزل أو العزلة هو مفهوم يتطلب على الباحث أو الكتاب عند الخوض في الحديث عنه، وعن الموضوع الذي يتناول فيه العزل أن يحدد عدد من العناصر التي تفيده في الحديث عن العزل من تلك العناصر الاتي-:

1- نوع موضوع العزل أي سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو ثقافي وغيره.

2- نوع العزلة من ناحية فردية أو جماعية.

3- أسباب العزلة أي السبب الذي أدى إجبارية .

4- نوع العزلة من ناحية اختيارية أو إجبارية.

5- الهدف العزلة.

6- كيفية العزلة.

7- أهمية العزلة.

8- زمان ومكان العزلة فللزمان والمكان دور في نسبة الآثار سواء كانت السلبية والايجابية.

يتوه الباحث في هذا المصطلح عند الخوض في معركة لدراسته والجامدة. وغابات لا متناهية فهو من المفاهيم والمصطلحات التي تطبق على معظم الأشياء والحاجيات الحية والجامدة.

تعرف العزلة لغوياً بأنها " الانعزال، الابتعاد عن الدنيا والناس:،، يعيش الزاهد في.(2)،،

كما عرف العزل : " عزل يعزل: عزلاً.

1- الشيء عن كذا: نحاه وأبعده.

عن منصبه أو عمله: رفعه منه، نحاه عنه، صرفه منه .(1) "

كما جاء العزل في مختار القاموس بأنه " عزل: عزله يعزله: نحاه جانباً. والعزلة: الاعتزال. والاعتزال: من لا سلاح معه. وجمعه عزل. والمعتزلة من القدرية زعموا أنهم اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم: أهل السنة والخوارج .(2) "

تعددت تعريفات العزلة لكثرت ما تم تداوله من قبل الباحثين والكتاب والدارسين حيث عرفت اصطلاحاً بأنها " هي حالة من الانعزال بمعني عدم وجود اتصال مع الناس.(3) "

كما عرفت بأنها " الحالة التي يكون فيها الشخص وحيدًا أو منعزلًا عن غيره "، وقيل بأنّها " الشعور بالوحدة أكثر من مرّة واحدة في الأسبوع.(4) "

ب- أنواع العزلة:

هناك عزلة طوعية اختيارية أسبابها خاصة، وهناك عزلة إجبارية تتخذها جهات ضد فرد أو مجموعة أفراد مثل العزل السياسي والعزل الصحي والعزل العرقي والحبس في سجن قسري وغيره. من هنا نجد أن العزلة تنقسم إلى قسمين اختاري وإجباري. وكل من هذين القسمين يتفرع إلى أنواع كثيرة، وكل منهما أي العزل الاختياري والعزل الإجباري آثار سلبية وايجابية. فالعزلة الاختيارية قد تؤدي إلى الموت والى الشرك بالله وتموت في صاحبها الوطنية وقد يتشكل منها جماعة لها تأثير على ما حولها، وقد يؤدي العزل الإجباري هو الآخر إلى الموت في حالة يأس المجبور على العزل واحتراقه من اجل مسابقة المستقبل والذي قد يرشده إلى الانتحار. والعزلة الإجبارية هي الأخرى

تتشعب إلى شعب وأنواع منها العزل السياسي والعزل الصحي والعزل الدولي والعزل الإقليمي وغيره، والعزلة الاختيارية هي العزلة التي يتخذها المعزول باختياره وهذا النوع كان يتخذه الراهبين والمتصوفين والزاهدين وكذلك بعض العلماء والمفكرين والكتاب. في بداية الأربعينات من القرن العشرين طبق هتلر العزل الإجباري لعدة أقليات وشعوب وأمم في أوروبا من خلال عزلهم عزلاً جماعياً في معسكرات اعتقال أثرت على تلك الأقليات والشعوب والأمم مما نتج عنه موت الكثير قهراً وقلقاً ومرضاً وانتحاراً إضافة إلى إصابة الكثير منهم بأمراض اجتماعية ونفسية وعقلية وشعور البعض منهم بالكآبة والأرق والقلق إضافة إلى الحقد العرقي والجهوي. العزلة الإجبارية المفروضة ظلماً لا يمكن التخلص منها إلا بطريقتين واحدة عن طريق القانون والأخرى عن طريق الثورة في حال يكون النظام الحاكم هو من فرض العزلة كأن يقوم نظام ما بفرض عزلة على أقلية أو مكون ما فان اللجوء إلى المحاكم المحلية أو الإقليمية أو الدولية بواسطة محامي مدعوم من أهل المعزول أو من منظمة أو منظمات إقليمية أو دولية من خلالها ينال المعزول حريته وفك عزله كالدور الذي لعبته منظمات دولية في فك عزلة الكثير من المناضلين أمثال نيلسون منديلا والكثير من مناضلي أسيا وإفريقيا وحتى أوروبا، وفك العزل الإجباري فانه يكون بواسطة الضغط الشعبي الذي يتحول إلى ثورة عارمة تساهم في الخروج من العزل المفروض من النظام كما حدث في دول أوروبا الشرقية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، أما العزلة الاختيارية قد يتم التخلص منها عن طريق الاختلاط بأفراد المجتمع والاتصال بالأصدقاء ورفاق العمل من خلال مواقع التواصل الاجتماعي أو عن طريق الرسائل النصية عبر الهاتف أو عبر المكالمة الهاتفية الصوتية أو عن طريق التواصل صوت وصورة من خلال الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت. العزل قد يكون فردياً أو جماعياً، العزل قد يكون من وظيفة أو النفي إلى مكان معلوم تحت أنظار من قام بالعزل فالعزل من الوظيفة كعزل مدير شركة أو موظف بها أو عزل رئيس دولة من منصبه في الدول الديمقراطية، أما العزل بالنفي كعزل شخص ما إلى مكان ما يقضي فيه مدة العزل التي أقرت في حقه كما كان يحدث في روسيا حين كانت تقوم بعزل عدد من الشخصيات التي كانت تشكل خطر على النظام إلى سيبيريا، وهذا العزل هو نوع من أنواع العزل الإجباري، قد تتخذ سلطة حاكمة عزل مجموعة معينة في مكان ما مثل ما قامت به ايطاليا الفاشية في ليبيا من خلال المعتقلات، ومثل ما

قامت به ألمانيا النازية خلال عزل الكثير من الأقليات في معسكرات اعتقال. في الماضي كان هناك نوع من العزل تقوم به القبائل وذلك من خلال طرد من يرتكب جريمة تعرض سمعة ومصالح تلك القبائل، وهذا العزل هو من نوع العزل الإجباري هدفه الحفاظ على سمعة ومصلحة القبيلة أمام القبائل الأخرى، وقد ظهرت مصطلحات وكنايات وأسماء للشخص الذي يطرد من القبيلة مثل صعلوك ومطرود ومن أشهر الصعاليك والمطاريد عروة بن الورد، وقد كان اتصال أولئك المطاريد أو الصعاليك بأقاربهم وأحبابهم صعبة في ظل انعدام الاتصال وعدم توفر وسيلة اتصال سهلة في ذلك الوقت فكان كل اتصالهم يتم سراً وفي الخفاء وفي جنح الظلام أو عن طريق استلهام الأشعار وإلقاءها ليسمعها من هم خارج العزل، والذي قد يمثل عزل للطرف المعزول عنه كذلك فالأم أو الزوجة التي عزل عنها ابنها أو زوجها تعتبر في حالة عزل كذلك، وهذا العزل طبعاً له آثار سلبية وايجابية. كما يعد السجن من أنواع العزل الإجباري فالحكم على شخص بالحبس نتيجة ارتكابه جرائم من جنح أو جنايات طبقاً للقانون المدني أو العسكري أو حتى الدولي يعد نوع من أنواع العزل حيث أن هذا الشخص يقضي مدة معلومة من العزل عن أسرته ومجتمعه الذي كان يعيش ويتحرك فيه ويتفاعل معه، ولهذا النوع من العزل نتائج سلبية وايجابية فالسلبية كأن يصادف في السجن أشخاص ذوي سوابق يتعلم منهم مزيداً من الإجرام والأفكار الهدامة أو قد يصاب بالكآبة والقلق والأرق والتي قد يتعرض نتيجتها إلى أمراض نفسية وعقلية حتى في ظل توفر وسائل اتصال متطورة. اعتبرت العزلة الإجبارية نوع من أنواع العقاب حيث أشير بان العزلة القسري كانت احد طرق العقاب على مر التاريخ وقد كان ينظر إليها كنوع من أنواع التعذيب، استخدمت العزلة الإجبارية من قبل الإمبراطورية الروسية حيث خلقت إقليم للعزل خاصة للسياسيين وذلك الإقليم هو إقليم سيبيريا حيث كانت تنفي إليها كل من يشكل خطر على النظام، كما مارست الكثير من الدول العربية في عزل قادة وسياسيين داخل وخارج بلدانهم، كما قامت الحكومات الاستعمارية بعزل المناضلين خارج أوطانهم مثل ما حدث من قبل الاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس وفرنسا والمغرب، وكما حدث من الاستعمار الايطالي الذي نفى الكثير من الليبيين أبان الاحتلال الايطالي لليبيا بقصد العزل، أضف إلى ذلك العزل الجماعي للقرى والمدن الذي قامت به ايطاليا ضد الشعب الليبي. العزلة سواء كانت اختيارية أو إجبارية قد تساهم في خروج إبداعات

أدبية وعلمية والتاريخ حافل بذلك فقد ظهرت الكثير من الأعمال الأدبية في زمن العزلة واستلهمت منها حيث أدت العزلة التي كانت نتيجة الأوبئة في الماضي إلى تشغيل الخيال الأدبي فاستلهم منها الكثير من الكتاب والباحثين كانت من أجود أنواع الأدب حيث خلقت أزمات الأوبئة إبداعات أدبية جيدة أثرت المكتبات المحلية والدولية في كافة أنواع الأدب سواء كانت في الدراسات النقدية أو التاريخية أو الأكاديمية أو في الشعر أو القصة القصيرة أو في الرواية وغيرها، وعلى ضوء أن الأزمات تخلق أعمال خالدة فقد أبدع بعض كتاب الأعمال الدرامية أعمال درامية خالدة خاصة كتاب الرواية مثل رواية الكاتب الأمريكي ستيفن كنج " الستاند "، ورواية الأمريكي دين كونتز "عيون الظلام" ، إضافة إلى رواية " الطاعون " للكاتب ألبير كامو ، والتي اعتبرت كذلك من أكثر الروايات مبيعاً في العالم في الربع الأولى من عام 2020م خاصة في ايطاليا وبريطانيا، وهذه الروايات أحداثها وشخصياتها تتحرك داخل أزمنة عزلة . هناك بعض من تلك الأعمال الدرامية قد نالوا أصحابها جوائز عالمية على الأعمال التي استلهمت أثناء ومن العزلة حيث تحصلت روايات كثيرة على جائزة نوبل في مجال الأدب مثل رواية الطاعون في عام 1957 م، ورواية " العمى" في عام 1998 م وغيرها. كما اكتشفت لقاحات للوقاية من العديد الأمراض والأوبئة في ظل العزلة خلال انعزال عدد من الباحثين المتخصصين في علم الأدوية في معاملهم ومختبراتهم. كما كان للعزل الإجباري للمواطنين في ليبيا خلال المعتقلات التي فرضها الاحتلال الايطالي أن ظهرت إبداعات من الكثير من الشعراء الشعبيين فخلال العزل الذي اتبعته ايطالية للقبائل وللمناطق الليبية ظهرت إبداعات أدبية نتيجة هذه المعتقلات ففي أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات من القرن العشرين قامت قوات الاحتلال الايطالي بإقامة معسكرات اعتقال لسكان برقة منها معتقل سلوق الذي اعدم فيه المجاهد عمر المختار في 16 سبتمبر عام 19131م وكان هذا المعتقل مطوقاً ومحاصراً من الخارج بأسلاك شائكة " الشبردق " كما يطلقون عليه الكثير من الليبيين، ومن الداخل نصبت فيه ألاف الخيام لعشرات القبائل المتواجدة في منطقة برقة الحمراء وعدد أخرى من قبائل برقة البيضاء، كما كانت هناك معتقلات أخرى منها معتقل العقيلة الذي كونته الحكومة الايطالية لأهالي برقة البيضاء ومعتقل البريقة والمقرون، وقد سميت هذه المعتقلات بأسماء المناطق التي أقيمت فيها فمعتقل سلوق في منطقة سلوق ومعتقل العقيلة في منطقة العقيلة،

ونتيجة لتلك العزلة التي كانت بسبب الحجز بالمعتقلات أبدع بعض الشعراء قصائد رائعة حيث كان هؤلاء الشعراء يرسمون في أشعارهم حالة أبناء الأهالي المعزولين وحيواناتهم داخل العزل في المعتقلات وذلك في لوحات شعرية بالكلمات العامية واللهجات المختلفة الجميلة فهم يصورون في أشعارهم حالة البؤس والشقاء والاضطهاد الذي يعانيه المعزولين من شيوخ وأطفال ونساء، ويصورون كذلك طرق تعذيب النساء وعمليات الشنق الجماعية في المعتقلات، وقد كان ذلك في ظل عدم وجود وسائل اتصال بين المعزولين وأقاربهم خارج المعتقل. يقول احد الشعراء وهو الشاعر الفقيه رجب بوحويش وهو من شعراء معتقل العقيلة الذي عزل في هذا المعتقل مع عدد من أبناء عمومته واصفا حالة المعتقل والمعتقلين:-

"ما بي مرض غير دار العقيلة.. وحبس القبيلة

وبعد الجبا من بلاد الوصيلة"

إلى أخر القصيدة المعروفة والتي تصف معتقل العقيلة والمعتقلين والذين انعزلوا عن بقية أبناء الوطن بكل دقة. كما أبدع الشاعر الشعبي خالد ارميلة بقصيدة بعنوان الإبل يصف فيها حال الإبل في احد المعتقلات، ومن الأدب ألمعتقلي الذي فرزه العزل كذلك ما جاء على لسان احد الشباب الذين عاشوا قبل الغزو الايطالي حياة شبابية بها المرح والحب والانطلاق نحو حرية الشباب، حيث يحكى بعد هزيمة ايطاليا مع ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، وبينما كان أحد مما اعتقلوا في المعتقلات التي أقامتها ايطاليا جالساً في بيته إذ بزوجته تدخل عليه متوترة فهم قائلاً:-

"هدي ارمامك عالوطا لا تاوى

لا كابو فيلا و لا بنداوى"

بمعنى على ماذا الاستعجال حيث لا يوجد مسؤول مكلف بمراقبتنا ولا شخص يراقبنا.

مع ملاحظة أن " كابو فيلا " هو المسؤول المكلف بمراقبة المعتقلين، " البنداوي " هو احد رجال البنداء، وهم جيش من المخبرين كانوا مكلفون بجمع الأخبار. كما استلهم احد الذين فرض عليهم العزل في احد المعتقلات التي أكثرت ايطاليا من إقامتها، والذي لاقى فيه العذاب والاعتقال مع أفراد قبيلته، حيث يقول ذلك مناجياً المكلف بمراقبة المعتقلين " الكابو فيلا-:"

" -يا كابو فيلا قعدت ابطولك

علي كل اتيقا قسموا مفعولك
قسموا فيلانك... اوربـ في الوجود
اللي خذا باراتك
يا طول ما سوطت في جاراتك
شر الشبردق يلحقك وايدولك"

وهناك الكثير من الإبداعات التي استلهمت من العزل داخل المعتقلات الايطالية في ليبيا وهي توصف الآثار السلبية التي خلفتها هذه المعتقلات أو الاماكن التي يعزل فيها الأهالي عن أراضيهم ومواشيهم وباقي أفراد مجتمعهم حيث كانت هناك آثار اجتماعية واقتصادية وبيئية. حيث توفي الكثير نتيجة هذا العزل وأصاب الكثير من الأمراض النفسية والعقلية خاصة لفئة الأطفال والنساء ومات الكثير نتيجة العزل الذي فرضته ايطالية على الليبيين وطبعاً هذا كله في ظل عدم وجود وسائل اتصال متطورة أو حتى جزء من التقليدية. كما فرضت الإدارات العسكرية البريطانية في برقة وطرابلس، والفرنسية في فزان بعد هزيمة القوات الايطالية والألمانية في ليبيا العزل الثقافي حيث فرضت قيود على الصحافة مما اضطر بعض الليبيين من العمل في الصحافة من خارج ليبيا.

في هذه الدراسة سوف نتحدث عن العزلة التي فرضتها حكومات الدول ووفق ما اقترحته منظمة الصحة العالمية بسبب جائحة كورونا " كوفيد – 19" والتي برزت في أواخر عام 2019م واشتدت في النصف الأول من عام 2020م في ظل تطور وسائل الاتصال. وهذا النوع من العزلة يمكننا أن نطلق عليه عزلة إجبارية أي فرض العزل على المعزول وليس باختيارية، وهذا العزل إجباري ولكن ليس باضطهاد وظلم من اجل صالح فرد .

من خلال ما تقدم فان العزلة تعنى انعزال شيء عن آخر أو أشياء عن آخرين. والعزلة قد تكون فردية أو جماعية وهي قد تكون إجبارية أو قد تكون اختيارية. وفي هذا الدراسة فان المقصود بالعزلة هو " العزل الفردي والجماعي الأسري وغير الأسري الذي فرضته حكومات الدول بسبب جائحة كورونا منذ بداية عام 2020 م وفق مقترحات الصحة العالمية "، وهذا النوع من العزل هو إجباري ولم يكن جديد بسبب الأوبئة فقد كان يطبق على نطاق محلي وإقليمي ودولي أثناء تعرض العالم للأوبئة وقد كانت الكثير من المجتمعات تطبق مثل هذا العزل على المصابين بأحد الأوبئة التي مرت بها البشرية منذ القدم. هذا العزل تباين من أسبوعين إلى شهر وشهرين وكان العزل نوعين صارم خاصة لرعايا الدول لدى الدول الأخرى الذين يودون العودة لدولهم وبالعكس، والنوع الآخر الذي فرضته

الحكومات على مواطنيها ورعايا الدول الأخرى الموجودين لديها وهو اقل صارمة. وقبل أن نتطرق لآثار العزل المفروض بسبب وباء كورونا نعرف المجتمع المقصود بالدراسة لقد عرف المجتمع الكثير من التعريفات حيث قيل بأنه " حالة خاصة لبعض الكائنات تعيش في جماعة منظمة "، فهناك مجتمع إنساني أو بشري ومجتمع حيواني ومجتمع نباتي وغيرها من الكائنات، وقد قيل بان المجتمع البشري يتميز بأنه " علاقات بين أفراد تجمعهم أمور مشتركة وعلاقات دائمة ومنظمة وفي الغالب ذات مؤسسات ومكفولة بضمانات جزاءات وتهدف إلى هدف واحد .(5) "

ج- آثار العزلة

ومما تقدم نلاحظ بان هناك آثار للعزل وهي آثار سلبية وآثار ايجابية.

1- الآثار الايجابية للعزلة

للعزلة بوجه عام آثار ايجابية كثيرة قد يجنيها المعزول سواء كان فرداً أو جماعةً أو دولةً من كافة جوانب الحياة كالاقتصادي والاجتماعي والسياسي وغيره، فعلى سبيل المثال فقد كانت العزلة التي اتخذتها القوى السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية عامل مفيد لها عندما اختارت الانعزال عن باقي دول العالم فكانت هذه الفترة من4 يوليو 1776م إلى عام 1914م أي من استقلالها إلى قيام الحرب العالمية الأولى مفيدة لها حيث ساهمت في تأسيس دولة قوية عسكرياً واقتصادياً وسياسياً، واجتماعياً عندما شعر السود والهنود الحمر بنوع بسيط من الحرية، وقد جاء الانعزال وفق آراء نخبة من القادة والمفكرين بالولايات المتحدة الأمريكية بمجرد أن تولى أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية للحكم تم التفكير في المشاكل الداخلية التي كانت تعوق بناء الدولة الأمريكية خاصة في الجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي، ومع تولي الرئيس الثاني للولايات المتحدة الأمريكية جيمس مونرو اتضحت تلك العزلة أو سياسة أمريكية من خلال مقاولة الرئيس جميس (أمريكا للأمريكيين) هذه المقولة التي حاول بعض الحكام في إفريقيا تقليدها عندما قالوا (إفريقيا للإفريقيين) وقد فشلوا بسبب أن الرغبة والهدف ليس واحد. كان لسياسة العزلة التي اتبعتها الولايات المتحدة الأمريكية أن قضت على جزء من الفقر، كما قضت على مشكلة أداة الحكم بوضعها دستور فيه واجبات وحقوق المواطنين، كما قضت على جزء من العبودية، كما ارتفع دخل الفرد فيها إضافة إلى الاستقرار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي مع توفر الأمن والأمان، كما أصبحت من أقوى دول

العالم عسكرياً بعد ضعف القوى العظمي في العصور الوسطى مثل بريطانيا وفرنسا وألمانيا وتلاشي بعضها مثل إمبراطورية النمسا والمجر والإمبراطورية العثمانية وبعد ذلك صارت حلم الكثير من كافة أنحاء العالم .(6)

أشير بان الآثار الايجابية قد تصل إلى الحرية أما الآثار السلبية فقد تصل إلى الحرمان الاجتماعي وقد تؤدي إلى أمراض نفسية. من الآثار الايجابية التي أشارت إليها بعض المصادر المتخصصة أولها الحرية الشخصية للمعزول فعند العزل لن تكون هناك أية قيود سواء كانت اجتماعية أو ثقافية أو سياسية وهذه العزلة تساهم في أن يبدع في تخصصه، وهناك شخصيات ودول وجماعات اتخذت العزلة بقصد ثقافي واجتماعي وسياسي ونجحت في تحقيق ما ترغب فيه فقد نجحت الولايات المتحدة الأمريكية من تكوين وتأسيس دولة قوية بعد أن كانت مجموعة من الولايات تحت الاستعمار الأوروبي خاصة بريطانيا. من الآثار الايجابية للعزلة كذلك هي مساهمتها في أحداث إصلاحات في شخصية المعتزل فقد أشير بان هذا يساهم في أحداث تغيرات في الشخصية حيث تساهم في معرفة نفسها وتخرج ما فيها من إبداعات. كما ساهمت عزلة بعض العلماء والكتاب والمفكرين من اخرج ما لديهم من إبداعات. كما ساهم العزل الصحي أثناء الأوبئة التي مر بها العالم من الحفاظ على الحياة البشرية، وأجمالا هناك الكثير من الايجابيات للعزل. كما كانت للعزلة التي فرضت على شعوب العالم من قبل دولهم وفق مقترحات وتعليمات الصحة العالمية بسبب جائحة كورونا (كوفيد – 19) آثار ايجابية منها أنها قللت من نسبب الإصابات بالوباء وقد ساعد على ذلك تطور وسائل الاتصال كالشبكة الدولية للمعلومات "الانترنت" والقنوات الفضائية والتي تبث وترسل عبر الأقمار الصناعية حيث كان لمواقع التواصل الاجتماعي مثل الفيس بوك والتويتر دور في تواصل الأسر والأصدقاء والأقارب فيما بينهم، كما ساهمت الإذاعة المرئية والمسموعة والتي تستقبل إرسالها عبر القنوات الفضائية المختلفة من الأقمار الصناعية في التخفيف من آثار العزل.

2- الآثار السلبية للعزلة

الكثير من الدراسات والواقع يشير بان للعزلة آثار سلبية حيث كانت تنشأ علاقات سيئة داخل الأسرة والمجتمع، والابتعاد عن الأصحاب والأصدقاء والأقارب، وهي قد تؤدي إلى أمراض نفسية لدرجة الجنون .(7)

من الآثار السلبية للعزلة كذلك أنها قد تؤدي إلى الانتحار في حال عدم استطاعت المعزولة للعيش في عزلة، أو قد تؤدي إلى الجنون، كما أن العزلة الأسرية في حالة الحروب أو انتشار الأمراض مثل انتشار وباء كورونا في نهاية 2019 وبداية 2020م قد تنتهي إلى الانحلال من خلال الطلاق والشجار بين أفراد الأسرة فالضغوط النفسية للزوج والزوجة والأبناء قد تنتهي إلى خصام يؤدي إلى تفكك الأسرة حتى بوجود وسائل اتصال متطورة.العزلة تشعر المعزل بالحزن والكآبة خاصة عندما يكون هذا المعزل لديه برامج وخطط خارج معزله أي المكان الذي كان يتنقل فيه بحرية وفيه آماله وطموحاته وأعماله. العزلة قد تؤدي إلى عدم التركيز وتشعر المعزول بالأرق والاكتئاب والقلق، وقد تؤدي إلى الامتناع عن الأكل والشرب وبالتالي تؤدي إلى ضعف المعزول بل أنها قد تؤدي إلى الموت والانتحار وهذه الأعراض ليس بالإنسان فقط فهي قد تصاحب الحيوانات والطيور فهناك نوع من الطيور والحيوانات عندما تعزل في قفص أو عن عالمها تضرب عن الأكل والشرب إلى أن تموت. وخلال جائحة كورونا كوفيد- 19 ورغم وجود وسائل اتصال متطورة إلا أن العزل المنزلي كانت له الكثير من الآثار السلبية التي كان يتعرض لها الإنسان المعزول حيث أنها لازالت باقية فقد ظهرت الأمراض النفسية والعقلية والقلق والأرق وانتشرت المشاكل الأسرية بكثرة والتي أدت إلى تفكك بعض الأسر، وقد أشير بان الأفراد الذين يتخذون أصدقاء افتراضيين من خلال شبكات التواصل الاجتماعي بدل أصدقاء حقيقيين يمرون بمرحلة من الوحدة والإحباط أكثر مما كانوا من قبل، فمواقع التواصل المختلفة لم تحل مشكلة العزلة بل زادت منها خاصة عندما لا يكون لذلك الصديق الافتراضي أي عنوان أو مكان .(8)

ثانياً وسائل الاتصال المفهوم والتطور والدور:

وسائل الاتصال هي تلك الوسائل التي بها يتم التواصل بين الأفراد والمؤسسات المختلفة والدول، وهذا الوسائل قد مرت بحقب تطورت خلالها من وسائل تقليدية كالتلويح من بعيد إلى استخدام الأشعار إلى استخدام الطبول والدفوف والأبواق إلى استخدام الرسل إلى استخدام الحمام الزجل إلى استخدام السعاة إلى الصحف والمجلات إلى التلغراف إلى الهاتف بالتيلكس إلى الفاكس والى الإذاعتين المسموعة والمرئية إلى الأقمار الصناعية وما تبث منها من مواقع التواصل الاجتماعي عبر الانترنت والقنوات الفضائية. كل مرحلة من مراحل تطور

وسائل الاتصال كانت تخفف عن التواصل بين الأفراد المؤسسات والدول من ناحية السرعة والدقة والوضوح. وهذا التطور زاد من التقدم في وسائل التطور فالإذاعة المرئية والمسموعة بعد أن كانت تبث على نطاق ضيق محلي ارضي صارت تبث من خلال قنوات فضائية عبر الأقمار الصناعية. مواقع التواصل الاجتماعي التي تبث عبر الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت قد تكون سبباً في تخفيف جزء من الآثار السلبية للعزلة المفروض على الأفراد والأسر والجماعات في ظل كورونا حيث أن هذه المواقع أو الوسائل لها القدرة على الأتي:-

1- نشر وبث الأخبار والصور.

2- نشر وبث الفيديوهات.

3- الوصول إلى ملايين من الناس في سرعة بين مرسل ومستقبل ومتتبع.

4- توصيل الرسائل المختلفة.

وطبعاً هذا بمقدوره أن يخفف من العزلة التي قد تفرض على الشخص أو مجموعة أفراد لان ذلك يجلب ما يرغب فيه المعزول من أخبار ويمكنه أن يتصل بما يريد ويوصل رسالته وصوته وصورته لما يريد وذلك عبر هذه المواقع وكافة وسائل الاتصال الأخرى وهذا يخفف جزء من العزلة .

مرت المجتمعات البشرية بمراحل من التطور في وسائل الاتصال فبظهور الطوابع البريدية وصدور أول طابع في بريطانيا عام 1840م وقد كان المواطن الانجليزي رولند هيل هو من جاء بهذه الفكرة وكان ذلك في بداية الربع الثاني من القرن التاسع عشر 1837م، وقد صار الطابع البريدي ساري التداول اعتبارا من 6 مايو 1840 م، وقد كان أول طابع يحمل رسماً جانبياً لرأس الملكة فاكتوريا (1819-1901). صار ساعي البريد الذي ينقل الرسائل التي تحويها الأظرف البريدية وعليها قيمة وصولها من خلال طابع البريد صار جزء من الأشياء التي تخفف جزء من الآثار السلبية للعزلة. أشار الكثير بان هناك اعتقاد سائد بين الناس بان ساعي البريد ومجمل السعاة لا يحبهم الطغاة وذلك لان الطغاة لا يثقون في الرسائل ؛ لأنها تخلص من العزلة بمجرد وصول رسالة لسجين أو معزول تخفف من عزلته، وقيل بان اغلب الدول التي يحكمها المستبدون قامت بإلغاء عمل سعاة البريد لأنهم يفرجون عن المعزولين، وبعض من السياسيين اعتبروا ساعي البريد رمز للديمقراطية لأنه يخرجهم من العزلة بجلب أشياء تخفف من عزلتهم. في سوريا

اعتبر ساعي البريد في زمان ما كان لساعي البريد قوة صديق الشباب حيث كان الكثير شباب فتية وفتيات في انتظار بروزه في جاراتهم وقراهم لأنه يجلب مشاعر الأحبة في قصاصات الورق التي يحويها الظرف المرسل مع ساعي البريد وبذلك فانه يقضي على جزء من العزلة، وتقديراً لساعي بالبريد في توصيله المراسيل كان يكتب على جانب الظرف المرسل شكراً لساعي البريد وقد خلد في الكثير من الأعمال الدرامية حيث كان بطلاً في الفيلم المصري البوسطجي، وجاء عنواناً لقصيدة للشاعر علي الفزاني والتي يقول جزء منها:-

"كان عصر القتلة
يذبح الكلمات... يلغو في دماء الثائرين
وأنا ساعي بريد
اقرأ الموت على صدر الرسالة
واشم القهر ، في سفر الحروف
الإذاعات توافي: قتلوا العربيد في قبو المحطة
داسه خصر القطار."

وجاء في الروايات على سبيل المثل ظهرت رواية (ساعي بريد نيرودا) للكاتب التشيلي انطونيو سكارميتا والتي جاء فيها ساعي البريد والتي حولت إلى مسرحية تحت عنوان (ساعي البريد الصبر المحترق) عن بابلو نيرودا. كما كان الشكر لساعي البريد في صفحة في احد المجلات الليبية وهي مجلة الإذاعة والتلفزيون في الستينات من القرن العشرين وهي بعنوان (شكرا لساعي البريد). كما تم وضع صورة لساعي البريد بزيه الرسمي على غلاف مجلة المعرفة العدد 271 /63السنة الحادية عشر 11 أكتوبر 1963م احد المجلات التي ظهرت بليبيا بعد الاستقلال وكل ذلك لدور ساعي البريد في التخفيف من العزلة .

لقد اتسمت الفترة من سنة 1945م إلى سنة 1991م أي من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى تفكك الاتحاد السوفيتي بثورات علمية وتكنولوجية.(9)

لقد شهد العالم ثورات علمية وتكنولوجية في القرن العشرين صار لها تأثير على حياة العالم وصار لها انعكاسات على الكثير من السياسات المحلية والإقليمية والدولية للدول، وقد كانت ثورات النصف الثاني من القرن العشرين من أهم الثورات العلمية حيث أحدثت قفزة في تاريخ العالم وكان من تلك الثورات اكتشاف شفرة الخلية (10).

كانت من أهم الخطوات نحو التواصل والاتصال هو اختراع جوتنبرج المطبعة في منتصف القرن الخامس عشر. الكتابة كانت خطوة من الخطوات نحو طريق ثورة المعلومات والاتصالات، هذا وقد أدى اختراع الطباعة إلى طباعة حوالي 4

بليون كتاب وذلك خلال الفترة من منتصف القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن العشرين، في النصف الثاني من القرن العشرين انتشرت الثورات العلمية منها ثورة اختراع الكومبيوتر عام 1946م وهذا زاد من طباعة الكتب والتواصل بين الناس. بعد ذلك تطور الكومبيوتر وزاد من قدرته على تجميع المعلومات والمعارف وعلى الاتصال الفوري من خلال البريد الالكتروني. في عام 1967م تم اختراع الكومبيوتر الشخصي وهذا ساهم في قدرة الأشخاص العاديين للحصول على المعلومات وتخزينها وبهذا انطلقت طاقات معرفية إنتاجية هائلة صارت في متناول الكثير من الأشخاص، وهذا طبعاً قلل من آثار العزلة خاصة من ناحية الأرق والقلق. هذا وقد أشير بان حوالي ثلثي القوى العاملة في الولايات المتحدة واليابان وأوروبا صارت تعمل في قطاع المعلومات والاتصالات، كما أن ثلثي الدخل القومي في هذه الدول نابع من قطاع المعلومات والاتصالات .(11)

في النصف الثاني من القرن العشرين شهد العالم ثورة هائلة في مجال الاتصالات حيث اخترع الراديو الترانزيستور، ثم تطور الراديو على مستوى تجاري على يد الياباني آكيومورتا والذي قام بتأسيس شركة كانت مساهمة في تطوير وتصنيع الراديو الترانزيستور (شركة سوني) حيث تم إنتاج أول راديو ترانزيستور سنة 1955م وبعدها تم إنتاج أول مسجل كاسيت. هذا وقد مثل الراديو والمسجل ثورة في نظام الاتصالات وكان وسيلة لتخلص من العزلة ولكن لم يكن كافي للقضاء على عزلة المعزول بل خففت جزء بسيط من العزلة. بعد ذلك تم اختراع تكنولوجيا الترقيم والتي بواسطتها أمكن معالجة الصور والبيانات والأحداث والكلمات المسموعة وتحويلها إلى إشارات رقمية، كما تم اختراع تقنية الألياف البصرية التي تستطيع بث كميات كبيرة من المعلومات وتحويلها من خلال النظام الرقمي إلى ومضات ونبضات ضوئية وذلك ساهم في اختراع شبكات الهاتف والتي بواسطتها سهلت الاتصالات السريعة اللاسلكية والهاتف المتحرك ونظم البريد الالكتروني، كذلك فقد أدى أطلاق أول قمر صناعي (تلستار) عام 1964م إلى تطور وسائل الاتصال حيث مكن من خلال هذا القمر نقل الأحداث من أي منطقة في العالم إلى أي منطقة أخرى من العالم، وقد ساهم هذا في بث افتتاح دورة الألعاب الاولمبية في طوكيو على العالم كله بالقمر الصناعي عبر المحطات الأرضية التي كانت تلتقط إشارات الأقمار الصناعية وذلك لأول مرة في تاريخ هذه الألعاب، ثم توالت ثورة الأقمار الصناعية، كما ساهمت الأقمار

الصناعية في أجراء الاتصالات الهاتفية العالمية السريعة وإرسال البرامج الإذاعية والتليفزيونية إلى المنازل مباشرة، كما أدى تطور الاتصالات إلى جعل العالم قرية صغيرة وكان لها تأثيرات اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية على المستوى الفردي والجماعي حكومي وغير حكومي، ونتيجة لثورة المعلومات والاتصالات تغيرت الكثير من ملامح المعاملات المحلية والإقليمية والدولية (12).

وهذه التطورات في مجال الاتصالات خففت من العزلة على الكثيرين أفراد وجماعات ومؤسسات وحكومات ودول ولكنها لم تقضي على معظم آثار العزلة.

من أشهر مواقع التواصل التي لها دور في التخفيف من العزلة موقع فيسبوك الذي ابتكره (زوكر بيرغ) والذي كان طالباً في جامعة هارفورد الأميركية، وهو من المواقع التي تساهم في نشر الصور والآراء والمراسلات بيت الأصدقاء. كما يعتبر موقع تويتر من المواقع الهامة، وهو يعتبر ثاني أشهر المواقع على الشبكة الدولية للمعلومات حيث أن هذا الموقع يسمح لمستخدميه من كتابة الرسائل أو تغريدات وقراءتها وهي قصيرة وقد تم أطلاقه سنة 2006 م وقد وصل عدد مستخدميه عام 2016 حوالي 500 مليون مستخدم، من أهم مستخدميه المشاهير سواء كانوا من عالم الفن أو السياسة حيث يقوم الموقع بنشر أخبارهم وطبعا هذا الكم الهائل من الشخوص والأفكار والمعلومات التي تقدمها وتعرضها هذا المواقع لها دور في التخفيف من العزلة المفروض في عصرها.

ثالثاً: العزل وآثاره في ظل تطور وسائل الاتصال

ورغم التطور في وسائل الاتصالات والمواصلات إلى أن هذا لم يكن رادع لآثار العزل العام المفروض من الدول على مواطنيها ورعاياها حيث أطالت تلك الآثار كافة جوانب الحياة كالاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والبيئية وغيرها. في ظل توفر وسائل الاتصال المتطورة من انترنت وأقمار صناعية وهواتف ذكية ومواقع تواصل اجتماعي ظلت للعزلة آثار وأكثرها سلبية، ففي العزلة التي فرضتها حكومات الدول في ظل جائحة كورونا " كوفيد- 19" ظهرت آثار سلبية على الكثير من جوانب حياة المجتمع في مجمل الدول خاصة التي تعتمد على أدوات ووسائل الاتصال المتطورة التي منها الانترنت ووسائل نقلها وإخراجها كالأقمار الصناعية وشبكة الانترنت والحواسيب والهواتف الذكية والإذاعات المرئية والمسموعة.الكثير كان

يعتقد بان العزلة في ظل تطور أدوات ووسائل الاتصال والمواصلات سوف لن يكون لها آثار سلبية كثيرة وان أدوات ووسائل الاتصال المتطورة ستقضي على نتائج العزلة السلبية إلا أن الواقع قد اثبت بان الآثار السلبية لازالت كما كانت قبل تطور وسائل أدوات الاتصال. لم تتحمل المجتمعات البشرية في الكثير من دول العالم العزلة التي فرضتها حكوماتها عليها بسبب جائحة كورونا فظهرت أصوات تنادي بتخفيف الحظر وأخرى بضرورة فك الحظر المفروض وذلك من خلال الكثير من مواقع التواصل الاجتماعي ومن خلال الاتصال المباشر بالقنوات الفضائية عبر الهواتف الذكية وكانت تلك الأصوات تنادي من اجل ممارسة العبادة في دور العبادة كالمساجد والكنائس والحسينيات ومن اجل مصالحها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والرياضية وغيرها، وكان من ابرز أولئك عدد من المرجعيات الشيعة وبعض خطباء المساجد والمصليين والرئيس البرازيلي جايير بولسونارو الذي شكك في آثار كورونا الصحية إلى أن أصيب بها وصارت البرازيل من أكثر الدول التي انتشر فيها وباء كورونا (13).

رغم البرامج الإرشادية والتوعوية بأخطار فيروس كورونا عبر مواقع التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية المختلفة إلا أن الكثير من أفراد المجتمعات لم يرعوا تلك الإرشادات والتوعويات أي انتباه بل زادوا من الضغوطات على حكوماتهم من اجل فك العزلة المفروضة عليهم ليمارسوا الطقوس الدينية الجماعية والأنشطة الرياضية والترفيهية والاقتصادية والثقافية. رغم توفر أدوات ووسائل اتصال عن بعد لتسهيل عملية الاتصال في زمن العزلة إلا أن ذلك لم يقض على آثار العزلة السلبية حيث تعرضت الكثير من الأنشطة إلى خسائر كثيرة من تلك الأنشطة الفنادق والقرى السياحية وقطاع الطيران والمطارات وقطاع السكك الحديدية وقطاع حافلات الركوبة العامة والخاصة وذلك كله في ظل تقدم وتطور وسائل الاتصال. لقد صارت أدوات ووسائل الاتصال عامل مساعد في تحريض أفراد المجتمعات على فك الحظر الذي فرضته العزلة مما زاد من الآثار السلبية للعزلة .

أ- العزلة وأثرها على الجانب الثقافي:

في الجانب الثقافي ورغم توفر وسائل وأدوات الاتصالات المتطورة من انترنت ومواقعها المختلفة ووسائل نشرها وإخراجها من قنوات فضائية عبر التليفزيون والراديو وهواتف ذكية إلا أن هذا الجانب وهو الجانب الثقافي تعرض

إلى آثار سلبية نتيجة العزلة المفروضة من الحكومات نتيجة الحظر، ورغم بروز نقطة ضوء صغيرة جداً من خلال بعض المؤتمرات والندوات الهزيلة عبر الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت حيث أن ذلك لم يخرج خطط وبرامج واستراتيجيات الجانب الثقافي من المؤتمرات والندوات المحلية والدولية التي أجلت رغم أهميتها العلمية وما تلك المؤتمرات والندوات البسيطة التي أقيمت عبر الانترنت إلا من اجل أن يقول الجانب الثقافي " أنا موجود ". كانت هناك آثار سلبية للعزلة في ظل تطور وسائل الاتصال فمثلاً العزلة التي كانت نتيجة الحظر الذي اتخذته الحكومات أثناء جائحة كورونا كوفيد 19 للربع الأول والثاني من عام 2020م أدى إلى جمود معظم الأنشطة الثقافية كالمؤتمرات والندوات وورش العمل، وتصوير المسلسلات والأفلام الدرامية والثقافية وهذا بدوره اثر على الجانب الثقافي للمجتمعات.

كما قل نشاط مؤسسات المجتمع المدني بكافة تخصصاتها وأنواعها وأهدافها من العزل الذي فرض بسبب جائحة كورونا " كوفيد- 19". كانت هناك بعض الآثار الايجابية ساهم فيها التطور في وسائل الاتصال حيث كانت هناك صحف ومجلات الكترونية وكانت هناك مجهودات فردية في إعداد بعض البرامج من بعد، وغم التطور في وسائل الاتصالات إلا أن هذا التطور لم ينجح في إنهاء مشكلة العزلة المفروضة على الجانب الثقافي ومؤسساته المختلفة.

ب- العزلة وأثرها على الجانب الاجتماعي:

قد تؤدي العزلة إلى انعدام الروح التضامنية بين أفراد الأسرة الواحدة والعائلة والمجتمع، كما قد تؤدي إلى أمراض اجتماعية كثيرة كتعاطي المخدرات ودخول عالم الجريمة. وقد تؤدي العزلة كذلك إلى أمراض نفسية وعقلية حيث أنها تؤدي إلى القلق والجنون وقد تؤدي إلى الانتحار. في الجانب الاجتماعي رغم توفر الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي به إلا أن الاتصال الاجتماعي في ظل العزلة المفروضة من حكومات الدول لم يغير الكثير مما كان يحدث لعزل المجتمعات في الماضي حيث لم يدخل الاطمئنان إلى قلوب أفراد المجتمع الذي كان سائد بين أفراد المجتمع قبل العزل فالتواصل الجسدي في الظروف العادية بين أفراد المجتمع كان يعطي الأمان والاطمئنان ويطفئ الأشواق بين أفراد المجتمع خاصة بين الأقارب والأصدقاء والأحباب فهو أفضل من التواصل عبر مواقع التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية. لقد اتضح

بان الآثار الاجتماعية نتيجة العزلة في ظل تطور وسائل الاتصال كانت واضحة من خلال عدة مواضيع وظواهر حيث ظهرت عدة ظواهر سلبية كان لها تأثير سلبي على الأسرة والمجتمع مثل انتشار الطلاق والقتل والعنف نتيجة العزلة الذي أجبرت عليها الأسرة داخل منزلها وهذا كله سبب في تفكك الأسرة وبالتالي له تأثير على المجتمع ككل.

كما أثرت العزلة التي فرضت على العالم من توقف النشاط الرياضي حيث ألغيت الكثير من المسابقات في كافة أنحاء العالم. كما زادت العزلة التي جاءت نتيجة الحظر الذي قامت به الحكومات بسبب وباء كورونا من العنف ضد النساء فعلى سبيل المثال ذكرت الإعلامية ايميلي شيروين في تقرير لها لشبكة دي دبليو بتاريخ 20202/7/13م بخصوص العنف المنزلي في روسيا خلال العزلة التي جاءت بسبب وباء كورونا فقد زاد العنف ضد المرأة وهذا كله في ظل وسائل الاتصال المتطورة. كما أثرت العزلة التي فرضت بسبب كورونا على التضامن الاجتماعي في الأفراح والأحزان ولم تحل وسائل التواصل الاجتماعي معظم المشاركات الاجتماعية في الكثير من المناسبات الاجتماعية خاصة وان هذه الوسائل تتعرض للكثير من المشاكل مثل ضعف الإرسال والبث وانقطاع الكهرباء في بعض المناطق والدول. كما أثرت العزلة التي فرضتها حكومات الدول بسبب جائحة كورونا على أدى بعض الشرائع الدينية مثل الصلاة الجماعة بالمساجد وصلاة الجمعة وكذلك أداء فريضة الحج وأداء العمرة حيث تم منع الحج والعمرة لهذا العام 2020م من خارج السعودية وكان عدد الحجيج هذه السنة حوالي عشرة آلاف حاج بعد أن كان في السنوات الماضية إلى أكثر من مليوني حاج وذلك بسبب وباء كورونا رغم توفر وسائل الاتصال والمواصلات والتقدم الذي حدث في مجال العلم والطب. كما أربكت العزلة الإجبارية طلاب المؤسسات التعليمية بمختلف مستوياتها ومن يدير هذه المؤسسات رغم التعليم عن بعد الذي لم يشد الكثير من الطلاب وهذا سبب قلق للطلاب وأولياء أمورهم وإربك المسؤولين عن التعليم، وهذا طبعاً اثر على التحصيل العلمي للطلاب بعد أن اضطرت بعض المؤسسات التعليمية من تقليص عدد من الدروس في المواد المقررة على الطلاب بل أن بعض المؤسسات اكتفت بالفصل الأول فقط كما حدث في ليبيا حينما اكتفت للسنوات من الأول إلى الثالث من التعليم الأساسي بالفصل الأول.

ج- العزلة وأثرها على الجانب الاقتصادي:

في الجانب الاقتصادي فقد خلفت العزلة التي فرضت إجبارياً بسبب وباء كورونا كوفيد 19 على شعوب ودول العالم في بداية عام 2020 إلى منتصفه خسائر كثيرة للكثير من الشركات الخاصة والعامة وضعف الإنتاج المحلي لمعظم دول العالم وتعطلت الكثير من الأنشطة الاقتصادية وتقلص إنتاج بعضها مما أدى إلى خسائر فيها خاصة قطاع السياحة والمواصلات والنقل والتعليم الخاص وحتى العام. كما أدت العزلة التي فرضتها الدول على مواطنيها في تدهور النشاط السياحي الداخلي ونشاط المواصلات والنقل حيث صارت هذه الأنشطة شبه جامدة لدرجة أن بعض إنشاءاتها استخدمت للحجر الصحي. كما أدت العزلة التي فرضها وباء كورونا إلى ضياع مصادر دخل الكثير مما يمتهنون الأعمال الحرة والأنشطة الاقتصادية الفردية كأصحاب قاعات الحلاقة والمطاعم والمقاهي والقرى السياحية وغيره وذلك كله في ظل توفر وسائل اتصال متطورة. كما أدت العزلة الجزئية التي فرضت على بعض الأنشطة الاقتصادية كنشاط النقل من قبل حكومات العالم بسبب وباء كورونا كوفيد 19 إلى نقص الأرباح من نشاط النقل الخاص والعام ففي جنوب إفريقيا مثلاً قامت الحكومة بحظر نقل 30% من الركاب في الحافلات الصغيرة بحيث تنقل 70% فقط تطبيقاً لسياسة التباعد الاجتماعي وهذا أدى إلى تناقص أرباح أصحاب تلك الحافلات وهذا حسب تقرير ادريان كريش قدمه لشبكة دي دبليو التليفزيونية في 2020/7/13 عن سائقي الحافلات الصغيرة في كيب توان. هذا وقد حذرت عدد من الدراسات من الآثار التي سوف تؤدي إلى خسائر لعدد من الشركات نتيجة غلقها وفي هذا الصدد فقد حذر رئيس معهد ايفو الألماني كليمنس فيست انه إذا ظلت الشركات مغلقة لأكثر من شهر سوف يؤدي ذلك إلى خسائر في الإنتاج، وأفاد فيست بان هذا سوف يكون اكبر من فترة الركود أو الكوارث الطبيعية السابقة التي شاهدتها الدول الأوروبية، وأشار بان إجراءات غلق الكثير من الشركات في أوروبا بسبب الحظر وعزل العاملين نتيجة وباء كورونا سوف يكلف الكثير من الدول مئات المليارات من اليورهات خاصة في ايطاليا وفرنسا. وقد تناولت الدراسة كلاً من سويسرا والنمسا وبريطانيا واسبانيا وفرنسا وايطاليا، هذا وقد أدخلت في الدراسة حساب خسارة القيمة المضافة بسبب توقف الإنتاج، وقد أشارة الدراسة كذلك إلى أن الإغلاق الجزئي للنشاط الاقتصادي لمدة شهرين

في النمسا سوف يكلفها ما بين 34 إلى 57 مليار يورو، أما ايطاليا فسوف تكون خسارتها خلال شهرين ما بين 143 إلى 234 مليار يورو، وفرنسا سوف تكون خسارتها ما بين 176 إلى 298 مليار يورو، وسويسرا سوف تكون خسارتها ما بين 49 إلى 81 مليار يورو وسوف ينخفض معدل النمو السنوي ما بين 7.8 إلى 12.9 نقطة مئوية.(14)

وبسبب العزل العام فقد صار هناك انكماش في الكثير من الدول الأوروبية وبالتالي اثر ذلك على الناتج المحلي الإجمالي فعلى سبيل المثال فقد ذكر المعهد الوطني الفرنسي للإحصاءات والدراسات الاقتصادية انه في الربع الأول من عام 2020 م بان الناتج المحلي الإجمالي الفرنسي قد تراجع بنسبة 5.8%، وقد أشير بان هذا اشد انكماش مرت به فرنسا منذ الحرب العالمية الثانية، وقد كان من أسباب ذلك هو إغلاق المتاجر بسبب العزل العام الذي فرض منذ منتصف شهر مارس 2020م ومكوث المستهلكين ببيوتهم. ونتيجة للعزل العام في ألمانيا زاد عدد العاطلين بنسبة 13.2% في ابريل 2020م، وأشير بان ذلك كان اكبر زيادة خلال شهر منذ عام 1991م وذلك وفق ما أوردته وزارة العمل الألمانية، كما أشير بان مبيعات التجزئة الشهرية قد تراجعت في مارس 2020 م بسبب العزل العام الذي فرض للحد من انتشار فيروس كورونا وكل هذه الآثار السلبية في ظل تطور وسائل الاتصال .(15)

ونتيجة للعزل العام المفروض بسبب وباء كورونا ظهرت خسائر في قطاع الطيران في الكثير من دول العالم فعلى سبيل المثال في ليبيا أدى العزل العام الذي فرض بسبب جائحة كورونا " كوفيد 19" إلى خسائر لعدد من شركات الطيران فقد ذكر رئيس مجلس إدارة الشركة الليبية الإفريقية القابضة للطيران في بنغازي إن قطاع الطيران قد تعرض إلى خسارة بلغت أكثر من 70 مليون دينار ليبي وهذا خلال الربع الأول من عام 2020.(16)

ورغم توفر وسائل الاتصال المتطورة من انترنت وهواتف ذكية وقنوات فضائية وأقمار صناعية وطائرات وقطارات سريعة إلا أن ذلك لم يحمي النشاط السياحي في كافة أنحاء العالم من الدخول في دائرة الخسائر.

د- العزلة وأثرها على الجانب السياسي:

للعزلة آثار سلبية وايجابية على العامل السياسي للفرد والمجتمع فقد تؤدي العزلة إلى عدم ممارسة السلطة والمشاركة فيها، وانتهاز الانتهازيون الفرصة للاستيلاء عليها وتسيرها وفق إرادة المسيطر كما

حدث في معظم دول العالم خاصة في الوطن العربي وهذا تأثير سلبي على الجانب السياسي. رغم توفر وسائل متطورة في الاتصال توقفت بعض الحكومات من أجراء بعض الانتخابات كما تأجلت انتخابات بسبب العزل الذي فرض على المواطنين نتيجة جائحة كورونا. قد تؤدي العزلة إلى ممارسة السلطة جزئيا أي ممارسة جزء من السلطة وهذا ما حدث في معظم دول العالم رغم تطور وسائل الاتصال.

ذ- العزلة وأثرها على الجانب البيئي:

نتيجة لجائحة كورونا والعزل الذي فرضه الحظر تعطلت جزئياً أعمال شركات النظافة فمثلاً في ليبيا صارت القمامة تتكدس مما اضر بالبيئة نهيك عن الأفراد المدخنين داخل البيوت المعزولين فيها حيث أن ذلك يعرض بيئة البيت وسكانه لأخطار بيئية وصحية. نتيجة للحظر الذي فرضته الدول على التنقل بين المدن والدول قلت السياحة لدولة تيلاندا وهذا اثر على الجانب السياحي ونتج عنه انتشار الكثير من القرود التي كانت في مكان يقبل إليه السياح الذين كانوا يقدمون لها الأكل إضافة إلى الذي تقدمه الدولة ونتيجة لعدم تردد السياح انتشرت القرود في شوارع المدينة التي يوجد بها تجمع القرود الذي كان مزارا للسياح وهذا اثر على نظافة المدينة وبالتالي اثر سلباً على البيئة.

لقد أشير بان هناك بعض الطرق التي يمكن أن يتم بها الخروج من دائرة العزلة منها التواصل مع الأسرة والأصدقاء سواء كان ذلك جسدياً وجهاً لوجه أو حتى عن طريق وسائل الاتصال بواسطة الهاتف أو عبر احد وسائل التواصل الاجتماعي من خلال الانترنت بالصوت أو بالصورة أو عن طريق الرسائل النصية أو حتى الورقية التقليدية حيث أشير بان مثل ذلك يحسن الصحة العامة للمعزول، وأشير بأنه يفضل أن يكون ذلك الاتصال دورياً. كما أشير بان ممارسة الرياضة وتناول الأدوية معينة هي الأخرى من الطرق التي يمكن أن يتم عن طريقها من العزلة، كما أشير بان المشاركة في الأعمال الخير بالانضمام لمؤسسات المجتمع المدني والمشاركة في المحافل الاجتماعية والندوات والذهاب إلى دور العبادة يعد من أهم الطرق لتخلص من العزلة، كما أشير بان اقتناء الحيوانات الأليفة حيث أنها يمكن أن تكون رفيق في حالة العزلة حيث لوحظ إن الكثير من الأسر الأوروبية تقوم بتربية الكلاب والقطط في البيوت لتخفيف من عزلتها خاصة بعد الحرب العالمية الثانية التي فقدت فيها الكثير من الأسر الكثير من أحبابها.(17)

ولكن هذه الطرق لا تتناسب مع هذه العزلة موضع الدراسة لأنها عزلة إجبارية ليس فيها اقتناء الحيوانات بل أن عدد من الحيوانات وضعت في العزل هي الأخرى، كما أن هذه العزلة ليس فيها المشاركة في مهرجانات رياضية وأدبية والطريقة الوحيدة التي قد تخفف جزء من العزلة وليس كلها هو وسائل الاتصال عن بعد.

رابعاً: النتائج والتوصيات

لقد اتضح بان العزلة الإجبارية التي فرضتها حكومات الدول على مواطنيها ورعايا الدول المتواجدين لديها كان لها تأثير على الكثير من جوانب حياة المجتمع خاصة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والرياضية وذلك رغم التطور الذي حدث على وسائل الاتصال والمواصلات من انترنت وهواتف ذكية وقنوات فضائية وطائرات وقطارات سريعة. ورغم سهولة الاتصال بين أفراد الأسرة والمجتمع من خلال مواقع التواصل الاجتماعي المتعددة والهواتف الذكية إلا أن ذلك لم يخفف العزلة على الكثيرين. ورغم وجود وسائل ترفيه والتي تعرضها وتبثها مواقع التواصل من خلال الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت، ومن خلال القنوات الفضائية إلا أن ذلك لم يكن له دور في الحد من آثار العزلة السلبية مثل تعاطي الكحول والتدخين والقلق والأرق والكآبة. ورغم توفر وسائل الاتصال المتطورة من مواقع التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية والقنوات الفضائية إلا أن ذلك لم يكن له دور في إدخال الاطمئنان بين أفراد الأسرة الواحدة فخلال عملية العزل فقد انفجرت المشاكل الاجتماعية ووصلت إلى الشجار والعنف ضد المرأة والأطفال، ووصلت إلى القتل والانتحار والطلاق وأدت إلى تفكك اسري.

أ- النتائج :

ومن خلال الدراسة فانه قد اتضحت النتائج التالية:-

1- إن العزلة متعددة الأنواع منها العزلة الإجبارية ومنها العزلة الاختيارية ولكل منها آثار ايجابية وسلبية.

2- إن مواقع التواصل الاجتماعي وكافة وسائل الاتصال المتطورة قد تخفف العزلة لمدة معينة ووقت معين إلا إن الاستمرار في العزلة قد يجعلها أكثر خطر على نفسية الشخص.

3- إن العزلة التي فرضت على المجتمعات البشرية كان لها تأثيرات سلبية من كافة الجوانب على هذه المجتمعات.

4- إن أدوات ووسائل الاتصال لم يكن لها تأثير كبير في الحد من آثار العزلة السلبية.

5- إن العزلة مصطلح ليس من المصطلحات الجديدة وهو يتنوع ويتطور.

6- إن العزلة متعددة الجوانب منها العزلة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية.

7- تظل العزلة كما هي رغم مرور الزمن والتقدم في وسائل الاتصال والمواصلات، وتظل أنواعها تتعدد وتتنوع وفق الموضوع.

ب- التوصيات:

وعلى ضوء نتائج الدراسة فان أهم التوصيات الأتي-:

1- أن تراعي الدولة كافة الجوانب التي تهم أفراد مجتمعاتها وتقوم بتأمينها وتحاول أن لا تؤثر عليهم.

2- أن تهتم حكومات الدول بدراسة نفسيات وأحوال أفراد مجتمعاتها لتجهز العلاجات أثناء فرض العزل الذي قد يحدث فجأة نتيجة ظواهر طبيعية كالزلازل والأعاصير والأوبئة ونتيجة ظواهر غير الطبيعية كالحروب.

3- يتطلب مع فرض الحظر أن تكون هناك حملة إعلامية من قبل رجال الدين والأطباء النفسيين ليقوموا بإعطاء النصح للمعزولين من أفراد المجتمع خاصة المصابين.

4- يتطلب أن يكون هناك عمل لمؤسسات المجتمع المدني في تسهيل وصول حاجيات المواطنين المعزولين وفتح قنوات للاتصال بها.

5- يتطلب من مؤسسات الدولة توفير كل سبل الراحة للمواطنين وفتح قنوات اتصال بهم مباشرة من خلال وسائل الاتصال.

هوامش ومراجع الدراسة:

1- مسعود، جبران، رائد الطلاب، (بيروت – لبنان: دار العلم للملايين، ط1، 1967)، ص636.
2- الزاوي، الطاهر احمد، مختار القاموس، (القاهرة – مصر: الهيئة المصرية للكتاب، 1975)، ص 421.
3- " العزلة"، تاريخ الاسترجاع 6/ 2020/7، https://ar.wikipedia.org/wiki

4- " ما هي العزلة "، 2019 /12/22، https://sotor.com/
5- بو دبوس، رجب، القاموس سياسي،(سرت- ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1996)، ص، ص 152، 153.
6- "السياسة الخارجية الأمريكية"، تاريخ الاسترجاع 2020/7/23، https://political-encyclopedia.org/dictionary
7- "العزلة "، مرجع سابق.
8- "عزلة اجتماعية"، تاريخ الاسترجاع 7/7/ 2020، https://ar.wikipedia.org/wiki/
9- سليم، محمد السيد، تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين، (القاهرة – مصر: دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2002م) ص 495.
10- بطرس، أنطوان، الثورات العلمية العظمى في القرن العشرين، (بيروت – لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،1994)، ص - ص 203، 398.
11- حسني، حازم احمد، ثورة المعلومات والاتصالات في موسوعة أحداث القرن العشرين، الجزء الأول، (القاهرة – مصر: دار المستقبل العربي، 2000 م)، ص – ص 221- 252.
12 - سليم، محمد السيد، مرجع سابق،ص 497.
13- " فيروس كورونا: تأكُد إصابة الرئيس البرازيلي بولسونارو"، https://www.bbc.com/arabic/world-533301112020/7/8.
14- "كورونا يكبد أوروبا خسائر فادحة..فرنسا وايطاليا الأكثر تضراً"، https://www.alarabiya.net/ar/aswaq/economy/2020/04/03/0
15- "أوروبا تغرق في كارثة اقتصادية بسبب"، https://www.aljazeera.net/ebusiness/2020/4/30/
16- كورونا ترفع خسائر الطيران الليبي لـ70مليون، تاريخ الاسترجاع https://www.218tv.net//2020/7/26
17- "ما هي العزلة "، مرجع سابق.

الإنسان إبرة، والعالم كومة قش
عزلة وجدانية وتزاحم جسدي

د.عبدالله علي عمران

لعل نبوءة العالم السويدي (ماكلوهن)، بأن العالم سيصبح قرية صغيرة، -نظرا لتطور وسائل المواصلات و سهولة التنقل، و ثورة المعلومات و الطفرة في نقل الأخبار- أصبحت من الماضي، و قد تجاوز العالم تلك النبوءة، أو على الأقل، تجاوز نصف الكأس الممتلئ منها، فالعالم لم يعد قرية صغيرة، بل أصبح أصغر من ذلك بكثير، إنه بالكاد يمكن أن نعتبره زقاقا جانبيا، يسمى .Timeline

إنه أشبه بشارع صغير، لا يمكن السير فيه، إلا في اتجاه واحد، شارع يقع في منحدر شديد، فلا يمكن التوقف أو حتى السير بمهل، ما يفوتك و أنت ترمش عيونك، يصبح من الماضي، و لا يمكن العودة لرؤيته، زقاق يزدحم بكل المتناقضات، بالتقوى و الإباحية، بالعلم و الخرافة، بالحزن و الفرح، بالعمق و السطحية.

و حين رأت فطنة (النيهوم) تشابها بين بلاده ليبيا، و بين أي (كومة قش) تسبح فوق (بحيرة من النفط)، مما يجل أسهل شيء يمكن أن يحدث لها، هو أن تشتعل فيها النيران، لم يكن هذا التشابه، ينحصر في بلده فقط، بل يشمل العالم برمته؛ فقد أصبح العالم اليوم أشبه بكومة قش، أو علبة كبريت صغيرة، فالنار لا تهدد القشة أو عود الكبريت، بل تهدد الجميع، لأنها اشتعالها في الأول يعني حتمية اشتعالها في الأخير، كما تحول الجميع إلى مجموعة (إبر) تائهة.

1 -الإنسان: من الكهوف إلى ضفاف الأنهار إلى غرف الدردشة

هذه التحولات الكبرى التي عرفتها الإنسانية، تصبح أكثر وضوحا، عندما يتتبع المرء، مراحل تطور، الكيفية التي تشكلت بها، التجمعات الإنسانية، لأنه

سيشعر بالدهشة، للفجوة الهائلة بين هذه النقلات، فالتجمعات السكانية في مراحل الحضارة الأولى، عندما كان الإنسان يعتمد على الزراعة، (الثورة الزراعية) كان الازدحام على موارد المياه و الأراضي الخصبة، حيث تحدد كمية المياه و مساحة الأرض، عدد السكان، و بعد ذلك و عندما أخترع الإنسان الآلات، أو ما يعرف ب(الثورة الصناعية)، شيدت المدن الكبرى حول المصانع و موارد الطاقة، و كان حجم الصناعة، هو من يحدد عدد السكان، سواء من (العاملين) في المصانع، أو من يقدمون لهم الخدمات (التعليم و الصحة و غيرها).

أما الآن و خلال الثورة المعلوماتية، فقد أصبح العالم يعيش حالة انفصام حقيقية، فالكل قريب جدا، بحيث يمكنه أن يتسبب في إيذاء بعضه البعض بكل سهولة، عندما يتعلق الأمر بنقل العدوى و انتشار الأوبئة، و في المقابل الكل بعيد جدا، بحيث يشعر المرء، وسط هذا الاكتظاظ، بالوحدة و العزلة، و يموت مكتئبا أو منتحرا، دون أن يشعر به أقرب الناس له.

يبدو العالم مكتظا على وسائل التواصل؛ و لكن هل هذا الازدحام حقيقي؟ أم عشوائي جدا؟ بحيث قد تعرف يوميات صديقك، الذي يسكن زقاقا صغيرا في قرية بعيدة نائية، من خلال ما يعرضه على صفحته الإلكترونية، بينما لا تعرف شيئا عن شقيقك، الذي يسكن في الشقة المجاورة، أو حتى يسكن معك في نفس الغرفة. و هل يعبر تفاعلك أو تجاهلك لأي حدث يعرض علة وسائل التواصل، عن حقيقة تعاطفك و مشاعرك؟

و في الجهة الأخرى، لقد تكسد العالم على أرصفة الإسفلت، كما تكسد داخل قوالب الاسمنت؛ فالناس يتزاحمون داخل وسائل المواصلات، و ناطحات السحاب، و الأسواق الضخمة، و لكنهم تكسدوا جسديا فقط، بينما هم في الحقيقة يعيشون عزلتهم الخاصة. فالإنسان يعيش عزلة أصلا، من الناحية النفسية، لأنه مكبل بمسئولياته، و محشور داخل صندوق روتينه اليومي الممل، و يطحن كل يوم في رحى التغيرات و الأزمات الاقتصادية و المالية و حتى الحروب و الأوبئة.

في المقابل أخذ التواصل الاجتماعي شكلا آخر، و أستبدل الإنسان الغرف و صالات المناسبات، بغرف المحادثة و المجموعات الإلكترونية، التي وفرت له حماية أكبر، لكونه يستطيع أن يخفي حقيقة هويته، و يعيش بكل تناقضاته و رغباته، فهو قادر على أن يعيش كل يوم بشخصية مختلفة، بل يعيش بشخصيتين متعارضتين في اليوم الواحد، يمثل دور

الحكيم صباحا، و يمارس كل أشكال المراهقة ليلا، و بذلك دخل التواصل مرحلة خطيرة، تنازل فيها الإنسان عن الهوية، مقابل الحصول على التواصل.

2 -العزلة الحقيقية و التواصل المزيف (اللا منتمي-الغريب)

يبدو أن الإنسان أمام خيارات صعبة، بل و متشابهة النتائج أحيانا أو عشوائية، فهو مخير بين عزلته، التي ستحرمه الكثير من مزايا التواصل، حيث يوفر له أهم متطلبات الحياة، و على رأسها رغبة الانتماء، فالإنسان يبحث في الغالب، عن جماعة ينتمي لها، و لا يحب أن يكون وحيدا، كما يبحث عن جماعة توفر له مساحة من البوح، الذي يخفف عنه أعباء الحياة.

أما الخيار الأخر، فهو أن يجد نفسه مضطرا، للقبول بأي شكل من أشكال التواصل، حتى ذلك التواصل، الذي يشك في كونه مزيفا و مفرغا من العاطفة، سواء جسديا أو إلكترونيا، فهو يبتسم للعابرين في الأسواق و يتبادل التحية مع الجالسين بجانبه في وسائل النقل، و يجب على سؤال الآخرين النمطي المتكرر (كيف حالك؟) بذات الإجابة الخالية من الروح و التفاصيل (بخير)، كما يستقبل الإعجاب و القلوب الحمراء على وسائل التواصل، على نشاطاته اليومية، و يستقبل الوجوه العابسة على خيباته و فقدان أحبته.

هذا التواصل (المجهول القيمة) أو (المزيف) الذي فرضته طبيعة الحياة في زمن (الروبوتات) و تدفق المعلومات، أرهق العقل الإنساني، و تسبب في تصلب العاطفة الإنسانية، مما يجعل الإنسان يعاني العزلة على الصعيد النفسي؛ فقد تحول التواصل – بعد أن تجاوز حده الطبيعي- إلى ضوضاء، على حد تعبير (ويلسون) و أصبحت العزلة -وفقا للتصور العدمي عند (سيوران)- ملاذا، بل هي في الأساس النمط الطبيعي للحياة، لكون الحياة غير ذات قيمة، فقد تحطمت أسطورة الآخر، و فقد الإنسان إطار الهوية، لقد أدى التواصل المزيف، و الهويات الهشة، إلى ظهور نمط جديد، أو لنقل (طفرة)، تمثل الإنسان (اللامنتمي)، كما يتصوره (ويلسون) الإنسان الذي أصبح يشك في كل شي، و لا يعرف شيئا حتى عن ذاته، و من هنا بدأ رحلة البحث عنها، معلنا العزلة و القطيعة من كل شي، الإنسان كما يعبر عنه (ألبير كامو) ذلك (الغريب) الذي يتلقى نبأ وفاة والدته عبر البريد، فلا يستطيع تحديد وقت حدوثه (هل هو بالأمس؟ أم اليوم) لأنه لا يعرف شيئا عن سرعة نقل الرسائل، لقد تحول الإنسان، بسبب رتابة الحياة، و ملل

الروتين، إلى تجسيد حقيقي لأسطورة (سيزيف) إنه يكرر ذات الأفعال كل يوم، دون هدف حقيقي، أو إنجاز يستحق الذكر.

كل ذلك يقودنا إلى نتيجة أولية بسيطة، و هي أن الإنسان (المعاصر) يعيش عزلته، قبل كورونا و بعدها، سواء بالتواصل العادي في الشوارع و الحفلات، أو في التواصل الإلكتروني عبر الصفحات، الفارق الوحيد، أن الإنسان كان يعيش العزلة وفقا لإرادته-أو هكذا يعتقد- و يعيش معها وهما زائفا، بأنه قادر على كسر حلقة هذه العزلة متى ما شاء، و هو أمر غير ممكن، إلا بطريقة واحدة، و هي الجنون، بينما الآن، أصبحت العزلة أمرا واقعا، و ملاذا آمنا، و قانونا ملزما، فالوضع العالمي الجديد، بدد وهم القدرة على كسر العزلة، و أصبحت العزلة هي الملاذ، طالما استمر عجز العلم عن إيجاد مصل أو علاج للأوبئة التي تهدد حياة الإنسان.

3 -في مديح العزلة

إن طبيعة الحياة المعاصرة، التي وفرت تواصلا سهلا، كشفت عن ثغرات كبيرة، في خبايا ذلك التواصل، حيث لم يعد ممكنا، التأكد من حقيقته، هل هو تواصل حقيقي؟ أم مزيف؟ فلم يعد الإنسان يتكبد أي عناء أو ينفق أي ثروة، لكي يصل إلى أي شخص في أي مكان في العالم، لقد أصبح التواصل سهلا إلى الحد الذي فقد قيمته، بل لم يعد ممكنا من الأساس تحديد أي قيمة له، فقد أختلط فيه النفيس بالمزيف.

فلم يعد التواصل حقيقيا، و لم يعد آمنا، كما لم فقد أهم خصائصه الجوهرية، و هو أنه (نقيض) العزلة، لذلك ذهب(هنري ثورو) إلى تأكيد أن الوحدة التي نعانيها و نحن بصحبة الآخرين، أشد وطأة من العزلة التي نعانيها و نحن بمفردنا و خلال وحدتنا؛ العزلة الحقيقية، أفضل من التواصل الزائف، فالعزلة تختلف عن الوحشة لأن العزلة هي إحساسك مع نفسك بينما الوحشة هي غربتك و أنت بين الآخرين.

و لم يتوقف الأمر، عند كون التواصل الإنساني أصبح زائفا، بسبب سهولته، بل و مؤذيا أيضا، بسبب ما يفرضه من قيود أيضا، و و في هذا السياق يرى (إيرك فروم) أن العزلة نتيجة و ليست سببا، إنه قدر أكثر من كونها خيارا فرديا، "فالمجتمع الحديث هو من دفع الإنسان إلى العزلة، لأنه جعل الإنسان أكثر وحدة و خوفا" و هو ما يؤكده (نيتشة) أيضا، حين يعتبر أن التواصل أشد خطرا، "فالعزلة، أفضل من الحياة برفقة الوحوش." و بذلك تصبح العزلة ملاذا، "فالتعاسة تبدأ من اللحظة

التي يغادر فيها المرء غرفته" (باسكال) كما تصبح العزلة ملهمة، لكونها تنتزع الإنسان من عقل القطيع الجمعي، مما يتيح له فرصة الابتكار و الإبداع "حيث يستحيل صنع شيء عظيم، دون عزلة عظيمة" (بيكاسو)، كل هذه المزايا، جعلت العزلة تبدو و كأنها (اختراعا) كما يصفها (بول أوستر)، كما يمكن أن تمتد العزلة عمرا كاملا أو أكثر، كأن يحتاج الإنسان إلى (مئة عام من العزلة) و ذلك عندما أكتشف (ماركيز)، أن البديل الآخر للعزلة، هو التواصل السلبي، الذي تجسده (الحرب).

4 -الثورة بوصفها تعاطفا

هناك وجهات نظر أخرى، تفند كل الافتراضات السابقة، مستعينة بالكثير من الأحداث و الدلائل، و من أشهرها، ما تسببت به وسائل التواصل، من تغيرات سياسية و اجتماعية كبرى، مثل الربيع العربي، و التي انطلقت من أحداث تبدو صغيرة و في نطاق ضيق، مثل حادثة (خالد سعيد) و (البوعزيزي) حيث ترتب عليها حملات تعاطف كبرى، و التي بدورها تحولت إلى قوة للتغيير الاجتماعي و السياسي، حيث تحقق التواصل الإنساني، ممزوجا بكم هائل من المشاعر و التعاطف.

و رغم ما تتمتع به، هذه الفكرة من وجاهة، إلا أن هناك من يشكك فيها، لكونها لم تحقق الاستمرارية المطلوبة، مما يدل على أن التعاطف و التواصل كان هشا و مؤقتا، و كانت الجدة في الموقف، هي العامل الأكثر تأثيرا، فضلا على أن التواصل و التعاطف الذي يؤسس على تقنية المعلومات، يمكن التلاعب فيه، أو يمكن تعطيله، و هو ما حدث بالفعل.

في المجمل، لا يمكن القول أن العزلة، أمر طارئ، بل هو أمر موجود مسبقا، أو تم التمهيد له، و أن التواصل بمعناها الإيجابي، لم يكن هو السمة الجوهرية للمجتمعات و الأفراد، و كل ما يحدث الآن، هو أن الإنسان ما يزال تحت وقع الصدمة فقط، أما الفارق الحقيقي الذي يحول دون تعميم هذه النتيجة، فهو قدرة الشعوب و الأفراد على التعامل مع التطور التقني.

فالشعوب المتطورة و الصناعية، كانت تعيش عزلة أكبر، و تواصل نفعي بمقتضى الحاجات الاقتصادية، و الدليل على ذلك أنها ترفع قيود الحظر لأسباب اقتصادية صرف و ليس لأي أسباب وجدانية، كما كانت أكثر قدرة على إدارة العزلة، لكونها تملك أدوات تتيح له ممارسة النشاطات أثناء العزلة (التعليم و التسوق نموذجا)،

لأن هذه الأدوات كانت موجودة مسبقا، بسبب طبيعة الحياة السريعة المزدحمة.

أما الشعوب المتخلفة، فكانت أقل قدرة على إدارة الأزمة، لضعف القدرات و غياب الأدوات، و لذلك هي في حاجة دائمة للطرق التقليدية، و لأنها كانت أكثر تواصلا و أقل عزلة، دون أن ينفي عنها ذلك، سطحية و زيف التواصل. و لو أردنا الحديث عن الصلة بين العزلة و الإبداع، فالأمر لا يختلف كثيرا، فالعزلة ليست شيئا جديدا، بل هي الحالة الافتراضية التي يعيشها المبدعون و المثقفون عموما، فهم أكثر فئات المجتمع تعرضا للإقصاء، و بطبيعة الحال، هذا لا ينفي الصلة بين الإبداع و العزلة، حيث تعتبر قرينته الأول، فهي التي تجعل الإنسان في مواجهة تفاصيله، و هواجسه و لامه، يواجهها منفردا، دون عون من أحد، إلا أن الفكرة الأساسية، هي أ، العزلة فرضت عل المبدعين، قبل ظهور الجوائح، نتيجة لطبيعة تفكيرهم التي لا تنسجم مع العقل الجمعي المجتمعي.

العزلة: فنُّ البقاءِ وحيداً

عن Academy of Ideas

ترجمة: عبدالله بن قعيد - السعودية

"عظيمٌ هذا الهدوء العميق الذي أحيا فيه وأنمو ضدّ هذا العالم، هدوءٌ أحصدُ فيه ما ليس في استطاعة أحدٍ أنْ ينتزعه مني.. ولو بقوة الحديد والنار!" – غوته

الإنسان – في المقام الأول – كائنٌ اجتماعي. هذا ما نادت به مدرسة التحليل النفسي في القرن العشرين، وهذا ما شددت عليه المجتمعات الغربية أيضًا في ذات القرن، إذ حظيتْ العلاقات الشخصية بأهميةٍ قصوى، فهيمن على ثقافتنا إجماعٌ عامٌ وضمني يرى أن السبيل إلى تحقيق الرضا وإيجاد المعنى في هذه الحياة لا يتأتى إلا من خلال علاقاتنا بالآخرين. وقد شكلت هذه الفكرة جوهر مدرسة التحليل النفسي، وتُدعى بـ نظرية العلاقات بالموضوع[1]، حيث تتمثل احتياجات الإنسان الأساسية في بناء علاقات اجتماعية آمنة ومجزية.

يقول ديفيد بولبي، وهو الأوسع شهرة ضمن تيار التحليل النفسي في القرن العشرين: "إن الروابط الوثيقة بين الناس هي المحور الذي تدور حوله حياة الإنسان، ليس فقط في فترة الرضاعة أو الطفولة أو المدرسة بل في مجمل حياته منذ سن المراهقة إلى مرحلة النضج وحتى الشيخوخة، إنه ومن خلال هذه الروابط الوثيقة يتسنى للإنسان أن يستمد قوته ومدى استمتاعه بهذه الحياة، ومن خلال هذه الروابط أيضًا يمنحُ القوةَ والمتعة للآخرين بما يقدمه من إسهامات. إن جميع المسائل المحيطة بهذا الموضوع هي ما تأتلف حوله كلٌّ من العلوم المعاصرة والمعارف التقليدية) "ديفيد بولبي، .(Attachment and Loss

تتجاذبنا نحن البشر قوتان متعارضتان: قوة تدفعنا نحو الحب والصداقة وتنمي لدينا حس المجتمع مع الناس، وقوة أخرى تدفعنا نحو السعي إلى التميز والاستقلالية والحرية، وفي حين ينصب مجمل تركيز مجتمعاتنا على أهمية إشباع الدافع الأول، فإن المحصلة تكون على حساب الدافع الثاني. هذه المبالغة في

التعاطي مع أهمية العلاقات الشخصية أسهمت في صرف أنظارنا عن أهمية العزلة. الحب والصداقة عنصران مهمان لخوض تجربةٍ مفعمة بالحياة، ولكنهما ليسا المصدر الوحيد لتحقيق الرضا، او لإضفاء معنىً إلى وجودنا، لذا فإن هذه المقالة، مدفوعةً بأفكار آنتوني ستور في كتابه المميز: "العزلة: عودة إلى الذات" (Solitude: A Return to the Self)، تبحث في كيفية العثور على السعادة والمعنى والرضا من خلال إعلاء قيمة العزلة وتعلم كيفية اتقان فن البقاء وحيدًا.

الصحة النفسية والقدرة على أن تكون لوحدك

افترضَ معظمُ أطباء الصحة النفسية والمعالجين في القرن الماضي وجودَ طريقة وحيدة لقياس كلٍّ من الصحة النفسية ونضج الانفعالات، وتتمثل هذه الطريقة في مدى قدرة الفرد على بناء علاقات آمنة، ولكنّ الطبيب النفسي دونالد وينيكوت أصبح في خمسينيات القرن العشرين من القلائل الذين تحدوا هذا الرأي، إذ أعلن في مقالةٍ له بعنوان "القدرة على أن تكون وحيدًا"، أن قدرة الفرد على احتواء العزلة والتفوق يجب أيضًا أن تكون ضمن عوامل قياس الصحة النفسية، يقول: "ربما يصح القول إنه قد كُتب في أدبيات التحليل النفسي عن الخوف من أن تكون لوحدك، أو الرغبة في أن تكون لوحدك، أكثر مما كُتب عن القدرة على أن تكون لوحدك. أضف إلى ذلك تلك الكمية المعتبرة من الأعمال التي أُنجزت عن الحالة الانسحابية، التي تُعرَف بأنها منظومة دفاعية تنطوي على توقع الاضطهاد. يبدو لي أن مناقشة الجوانب الإيجابية للقدرة على أن تكون لوحدك قد تأخرت كثيرا."

الجوانب الإيجابية للقدرة على أن تكون لوحدك

العزلة وحدث التحول

يمكن للعزلة ان تكون أرضًا خصبة لتحفيز التحول الذاتي، وهذا ما أدركه الكثير ممن تعلموا فن البقاء لوحدهم، ولكننا نجد في المقابل أولئك الذين يعيشون في حالة انصياع تام، أي أنهم اختاروا نمط حياة ينسجم مع توقعات الآخرين لهم، بدلًا من تلك التي تنسجم مع مضمون دواخلهم، ومن هنا تبدأ شخصياتهم في النمو بطريقة مصممة لإرضاء الآخرين، وفي الأثناء يظلون منفصلين تمامًا عن أعمق احتياجاتهم، ولكونهم يعيشون في حالة عمىً تجاه مشاعرهم وغرائزهم الحقيقية، فإنهم في نهاية المطاف يشعرون بأن حياتهم لا معنىً لها، وبدلًا من إمكانية النظر الى الحياة على أنها لوحة تجريبية، تمنحنا فرصة اكتشاف ذواتنا الحقيقية، فإنهم، في المقابل، يتكيفون مع العوامل الخارجية بكل ما تحمله من توقعات وآراء.

ولذا فإن العزلة، كإطار للتحول الذاتي، تمنحنا فرصة التحرر من قبضة الانصياع، إنها فرصة زمنية تمكننا من العودة مجددًا لفهم احتياجاتنا ومشاعرنا الحقيقية أولاً، ثم ضبطها بطريقة تنسجم مع بوصلتنا الداخلية، الدليل الوحيد الذي يمكن الوثوق به حيث تقودك نحو الرضا. ليس من المستغرب إذاً أن يعتزل العظماءُ من زعماء الأديان هذا العالمَ لفترة مهمة من الزمن، يبحثون فيها عن حكمةٍ عميقةٍ لها طابع الديمومة والأثر، وعندما يعثرون عليها فإنهم حينها يعودون إلى مجتمعهم بقصد العطاء والمشاركة. يقول آنتوني ستور عن أهمية العزلة في خضم السعي إلى تحقيق الذات: "يبدو إذاً أن تطوير قدرتك على أن تكون لوحدك أمرٌ ضروري إذا تحقق للدماغ أن يعمل بأفضل حالاته وإذا كان للفرد أن يحقق أعلى إمكانياته، فالبشر ينشقون بسهولة عن أعمق احتياجاتهم ومشاعرهم. العزلة تمكنك من إعمال العقل والفكر والابتكار والحفاظ على دوام التواصل مع عالمك الداخلي " (أنتوني ستور، Solitude: A Return to the Self).

ونجد أيضًا بجانب آنتوني ستور كُلاً من الفيلسوف: ميشيل مونتين وعالم النفس كارل يونج اللذان فَهِما بدورهما أهمية العزلة. فمونتين يرى أن الحاجة إلى العزلة تكمن في التخلص من القيود التي يفرضها الآخرون، بينما يرى كارل يونج أن الحاجة إلى العزلة تتمثل فيما أسماه بـ "العمل الداخلي"، أي استكشاف أعماق النفس الباطنة، ذاك "الكون الصغير" في دواخلنا.

"يجب أن نحتفظ بمخزن صغير، يكون بأكمله لنا وحدنا دون مقابل، نأسس فيه حريتنا الحقة، ونحقق لأنفسنا الانزواء والعزلة" – مونتين

"لطالما كانت السنون التي تبعت فيها صوري الداخلية هي الأهم في حياتي، بها تقرر كل الأشياء الأساسية" – يونج

العزلة والابداع

إنْ كانت العزلة تحفز الذات على التحول، فإن إحدى الطرق للاستفادة من العزلة هي في ممارسة شكلٍ من أشكال العمل الابداعي، فالإنسان حيوانٌ اجتماعيٌّ بدرجة عالية، تتشكل هويته الذاتية وتنمو من خلال تفاعله مع الآخرين، ومن هنا يمنحنا العمل الإبداعي فرصة فريدة لتغيير هويتنا والاعتماد على الذات كمرجعية. فالخيال ومحاولة تجسيد الأعمال الابداعية لهما القدرة على إعادة تعريف نظرتنا إلى العالم من حولنا، وتغيير شعورنا تجاه ذواتنا أيضًا، يقول آنتوني ستور: "يعيش الشخص المبدع في حالة سعي مستمرة لاكتشاف ذاته، لإعادة تشكيل هويته، لإيجاد معنى في هذا العالم من خلال ما يخلقه ويبدعه. ويجد في هذه العملية قيمة تكاملية ثمينة، والتي مثلها مثل

الصلاة أو التأمل، ليس لها أي علاقة بالآخرين، إذ لها أحقيتها المستقلة. إن أجمل لحظات المبدع هي تلك التي يحرز فيها شيئا من التبصر، أو تلك التي يبتكر فيها اكتشافات جديدة، وهذه اللحظات هي في الغالب، إن لم يكن دائمًا، تلك التي يكون فيها وحيدًا."

العزلة في العصر الحديث

تعتبر العزلة عنصرًا أساسيًا لإشباع دوافعنا نحو التفرد والاستقلال وتحقيق الذات، ومع ذلك أصبح من الصعب تحقق العزلة في عصرنا الحديث. فإنسان اليوم لا يمارس العزلة تمامًا حتى وإن كان لوحده جسديًا، فهو إما بصحبة التلفاز، أو منزويًا مع أجهزة الكمبيوتر أو الهواتف الذكية. ومع ازدياد أولئك الذين يَحرمون أنفسهم من ممارسة العزلة تزداد أيضًا الصعوبة في التفرد، في أن تصبح فردًا مستقلًا وفريدًا يدرك نفسه بنفسه. منغمسون هؤلاء في لجة آراء الناس وأفكارهم وتوقعاتهم، حتى وإن كانوا لوحدهم جسديًا، يمتثلون تلقائيا الى منظور المجتمع للعالم، ويسلكون مسارًا توقعه الآخرون منهم، بدلًا من ذاك الذي يلبي احتياجاتهم العميقة ويحقق العدالة لتفردهم.

العزلة لمن تحققت ذواتهم

الحاجة إلى العزلة ضرورةٌ إنْ كنتَ من تلك الأقلية التي كرّست حياتها لعملية التفرد، لتصبح الشخص الذي في وسعه أن يكون بتحقيق أقصى إمكانياته. عليك أن توجد الوقت والحيز لتصبح وحدك مع أفكارك، إما بالتأمل، أي استكشاف صورك الداخلية، أو ممارسة الإبداع. تجمعك فترات العزلة بالجانب العميق في ذاتك، مانحةً إياك القدرة على اكتشاف ذاتك وما الذي تريده من حياتك، وتمنحك القدرة على الانخراط في تحول الذات بتعزيزٍ من ذاتك أنت. تمنحك العزلة الراحة من هذا العالم، فالضجيج والانهماك والمتاعب التي عصفت بعالمنا لها القدرة على أن تكون مدمرة وساحقة وأن تؤثر على صحتنا النفسية. يمكن للعزلة، خاصةً في عالمنا هذا، أن تقدم نفسها كترياق لجنون هذا العالم.

"حين يفصلنا هذا العالم العجول عن ذواتنا النقية
ننحني، ضجرون من انشغالاته، من متعه ومتعبون جدا،
ما أجملَ، وما أعذب العزلة" – وردزورث

---

https://academyofideas.com/
[1] Object Relations Theory

العزلة في زمن التواصل

استطلاع مجلة الفصول

خلال جائحة فيروس الكورونا، كان العزل أحد الدفاعات الأساسية للحد من انتشار هذا الوباء، وخلال فترة العزل والتباعد الاجتماعي، أو الحجر هذه، نشط التواصل الإنساني عبر الإنترنت وخاصة من خلال منصات التواصل الاجتماعي، وعديد من منصات التعليم والتدريب، حتى إن بعض الشركات تخلت عن مقدارها ومكاتبها للعمل أون لاين من البيوت .

ثقافيا، بالرغم من توقف الكثير من المناشط إلا أن اللقاءات عن بعد تم استثمارها بشكل جيد جدا، بما يخدم المثقف والعمل الثقافي.

السؤال الذي يفرض نفسه هنا الآن؛ هل نحن مقدمون على عصر العزلة الاجتماعية والاكتفاء بالتواصل الشبكي؟ أم أن العزلة اتخذت شكلا جديدا؟

للإجابة على هذا السؤال، نستعرض مجموعة من إجابات الأدباء والكتاب، والتي تباينت بين القراءة والتجربة الشخصية.

الواقع واقع.. والافتراضي افتراضي
فاطمة بوهراكة (شاعرة وباحثة) المغرب.

أعتقد أن من أهم سلبيات وجود الأنترنت على هذه البسيطة، هو خلق تباعد اجتماعي كبير بين الأسر والعائلات الواقعية وتفكيكها إلى شرذمات صغيرة، كل شخص يهتم بنفسه وعالمه الضيق -الانترنت- الذي يعتقد أنه العالم الامثل، لكنه الجحيم المطلق لهذا الانسان الراكض خلف متاهات وأوهام كبيرة، لأن الواقع واقع، والافتراضي افتراضي، مهما تواصل المرء أو خلق لنفسه علاقات تظل من حساب ليس إلا.

وقد انعكس ذلك سلبا على المشهد الثقافي الذي أصبح بفضل هذا الجانب -الانترنت مع الحجر- المجال الأسهل لكل من لا شغل ولا فكر له ففتح لنفسه بوابات

إلكترونية ومنصات ومجلات وصحف إلخ.

إننا اليوم نعيش أزمة فكرية ثقافية بكل ما تحمله الكلمة من معنى رغم هذه الكثرة في الانتاج الضار على فكر وأخلاق الناس.

الكاتب ومتوالية العزلة

عبدالسلام الفقهي (ليبيا) كاتب صحفي.

يتخير الانسان ككائن وجودي، كل السبل الممكنة للبقاء، ويدرك بالغريزة سطوة العزلة وتأثيرها القاتل، لذا فهو مسكون بالحركة ولو كانت داخل شرنقة العزلة اذا ما مثلت له وصفة يتيمة للحياة.

ولا يبدو الترحال أو الجفوة أو التباعد القسري الا نماذج مخيفة لطقس ناموسه القائم على المخالطة وافرازاته من الضحك والبكاء والفرح والمصافحة والشكوى والكلام.. الخ، فكل ذلك الفردوس المتبادل في ايقاعاته بين لغة الجسد والروح تبتلعه العزلة عبر سلسلة اطوارها المتلاحقة، ويبقى الانسان دوما مشغولا بالبدائل لمواجهة ارتباكاتها.

والكاتب ليس استثناء في ذلك، بيد انه مندمج بالمعنى النفسي في تحقيق مبتغاه الفكري وفق الامكانات المتاحة، وان كانت المنصة الاجتماعية تمثل له نافذة مهمة للترويح وامتصاص الام الزمن، الا ان خياره الثقافي يقوده لتذويب جدار العزلة القاسي بتسخير المنجز التقني خدمة لهذا المنحى عبر الفيس بوك والتويتر واليوتيوب.. الخ، وتمكن ببدائله الالكترونية من ارضاء شغفه الفكري ورسم منجزه الكتابي الخاص.

والكورونا في النهاية ليست الا مشهدا تكرر ولازال في قاموس العزلة المزدحم بسلسلة النقلات الوجودية لتاريخ الذاكرة البشرية وهي تستحث التواصل رسما وصور وكتابة منذ انسان الكهف وحتى عصر الانترنت، وينفتح سقف طموحاتها على تمظهرات يصعب التكهن بأبعادها وتشكلاتها، غير أن فلسفتها تنهض في معادلتها الازلية على ثنائية الظلام والنور.

كوفيد 19 سيعقبه تغير جذري في خريطة التواصل الاجتماع

هاجر الطيار (الأردن) كاتبة وتشكيلية.

أرى أن كوفيد 19 سيعقبه تغير جذري في خريطة التواصل الاجتماع ليقلبها رأسا على عقب إذ سيقل الصخب الذي سبق هذه الأزمة من مهرجانات ومؤتمرات واسفار لتصبح في حدها الأدنى ويصبح تنفيذ الكثير من الأعمال من وراء شاشة هاتف أو جهاز حاسوب...

من هنا اسمحوا لي أن أعرض تجربتي خلال هذه الجائحة ما بين الحَجَر والحَجْر. إذ كنتُ أُعِدُّ نفْسي وأُجهِّزُ لوحاتي لتلبية عدة دعوات وصلتني لإقامة معارض لفن التشكيل بالحَجَر في عدة دول حول العالم، في أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا. لقد كان يغمرني شعور جميل بقُربِ تحقيق حُلْمي بنشر أعمالي الفنية في دول أجنبية عديدة وتحقيق ما أصبو إليه من نجاحٍ وانتشار .

وفجأةً، انتشر نبأٌ حول ظهور فايروس خطير في مدينةٍ صينية. لم أُعِر الأمر اهتماماً كبيراً في بداية الأمر، ليس فقط بسبب بُعد المسافة بين الصين والبلدان التي كنت أستعد لإقامة المعارض فيها، بل لأني كنت أشعر بالثقة والأمل في أن الطبَّ المتقدم في عصرنا الحاضر سيحاصر ذلك الفايروس في بداياته ولن يسمح له بالتمدد والانتشار.

ولقد كانت تلك الثقة وذلك الأمل بمثابة راحتَيْنِ تحتضنانِ حلمي، أو جناحَيْنِ يحملانِه للبعيد. غير أن ذلك الكائن المُسمَّى كوفيد 19، والذي لا يُرى بالعين المجردة، كان له رأيٌ آخر في كل شيء خطط له أو حلُمَ به كلُّ إنسانٍ على وجه هذا الكوكب، بما في ذلك حلمي الخاص الجميل. فقد تعدَّى الفايروس حدودَ مدينة يوهان الصينية، ثم حدودَ الصينِ كلِّها، وأمسى وباءً عالمياً، حيث انتشر في الأرض انتشارَ الجَرادِ في بعضِ مواسمِ الحَصاد.

ولقد فرضَ علينا هذا الكوفيدُ أن نلتزمَ مساكنَنا، تحاشياً لجبروته، فوجدنا أنفسَنا جميعاً خاضعين للحَجْرِ المنزليِّ الإجباري الذي لم نألَفْهُ من قبل، وكذلك لهذا القيدِ الجديدِ المُسَمَّى "التباعُدَ الاجتماعي"! فلا عمل ولا دراسة ولا لقاءات عائلية ولا أمسيات ثقافية ولا تسوُّق ولا نزهات !

لم أستسلم لشعور العزلة القاتم، فاتَّخذْتُ من حالة الحَجْرِ المنزليِّ فُسحةً فكرية، وإجازةً قررتُ جعلها ممتعة، رغم كونها قسرية. فما دام القدر قد منحني هذه الاستراحة غير المخطط لها، فقد رأيتُ أن استثمرها بشكل إيجابي قدر استطاعتي .

وقد كانت شبكة الإنترنت متنفَّساً فسيحاً، فاستطعتُ أن أفرغ من خلالها شحنات الغضب والحزن والإحباط وأستبدل بها طاقةً إيجابية كنتُ في أمسِّ الحاجة لها. فقمتُ بمتابعة الحراك الفني عن كثب من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، وتواصلتُ مع عدد من كبار الفنانين العرب والأجانب، وشاركتُ في معارض فن تشكيلي افتراضية. وقد انتشر هذا النوع من المعارض بشكل كبير خلال هذه الفترة فشكَّلتْ نقلة نوعية للحركة الفنية

وجعلتْ الفنانيين أكثر قرباً واطلاعاً على النتاج الفني خارج حدود بلدانهم .

كما اتاحت هذه المعارض لي شخصياً فرصةً لتقديم نفْسي وأعمالي بشكلٍ أكبر وأوسع، إضافةً للتعريف بفن التشكيل بالحَجَر الذي لم يأخذ حقة من الاهتمام بعدُ في منطقتنا العربية.

وبحُكم تخصصي أصلاً في مجال مساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة، فقد وفَّرتْ لي أزمةُ الكوفيد وقتاً إضافياً لتقديم خدمة تطوعية، فشاركتُ على صفحتي ومن بيتي فيديوهاتٍ بالبث المباشر، للتوعية وتقديم النصائح والإرشادات المناسبة، وصلتْ إلى عدد كبير من ذوي العلاقة، أكثر مما كنت سأطمح بوجوده في قاعة محاضرة أو ندوة.

كما شاركتُ في العديد من الدورات التدريبية وورش العمل المتوفرة على المنصات الإلكترونية وتطبيقات البث المباشر، في مجالات مختلفة من المعارف والمهارات. فكانت هذه ثمرةً أُخرى من الجلوس في المنزل بسبب هذه الجائحة.

كذلك، فقد حمَّلتُ من "الشبكة العنكبوتية" مزيداً من الكتب والروايات، واستمتعتُ بقراءتها بالفعل، وهو الأمر الذي كنت في السابق أُجاهد لإيجاد الوقت الكافي له .

صحيحٌ أنَّ انتشارَ كوفيد، وما فَرَضَه عليَّ من الحَجْرِ المنزليِّ، قد أعاق انتشارَ أعمالي الفنية المتمثِّلة في التشكيل بالحَجَر، إلَّا أنَّني استفدتُ من هذه العزلة القسرية إيَّما استفادة. وكانت شبكة الإنترنت نافذةً على العالم جعلتني أشعر وكأنني نحلةٌ تحوم في روضٍ عامرٍ بزهور العلم والمعرفة والفن والإبداع.

هل مازلنا في عصر الرواية حقاً، أم وصلنا لعصر الصورة؟

رزان نعيم المغربي (ليبية مقيمة في هولندا) كاتبة وروائية.

حينما بدأت جائحة كورونا تتسع رقعتها وتنتشر بسرعة في بقاع الأرض، بداية الأمر كان وقع الصدمة علي شخصياً اقل مما لمسته حينما وصلت إلى بلد إقامتي في هولندا، ولاحظت على الفور تلك الأجواء المشحونة بقلق مريب، وشيء غامض غير مفهوم من السلوك البشري كيف يتشابه في الأزمات مهما اختلفت الجنسيات والبلدان، برزت غريزة البقاء متجسدة في الهلع غير المسبوق، وعدم الثقة في تدابير الحكومة، تذكرت سنة التغيرات وهي سنة الثورات والتي عرفت بالربيع العربي، كيف كانت شبكة الاتصالات تلعب دوراً وتأخذ بطولة وتصبح إعلام بديل.

كان فائض الوقت لدي معظم البشر في هذه الأزمة مع فايروس مستجد، أثار الخوف بشكل غير مسبوق بين الدول فتشابهت ردود أفعالها، هذا الوقت منحني شخصيا فرصة تأمل وتحليل ثم طرح أسئلة وجودية وأخرى مصيرية ومن بينها كتبت على حسابي الشخصي عدة أسئلة وهي:

هل مازلنا في عصر الرواية حقاً، أم وصلنا لعصر الصورة؟ بعد أزمة الحجر الصحي الطويلة هل سنكتشف أن الكثير منا كان مشتت الذهن غير قادر على القراءة لوقت طويل دون عمل ودون التزامات؟

سؤال ثاني هل ستكون المؤتمرات والندوات عبر التطبيقات مستقبلا؟ حيث لا يوجد تكاليف سفر واضاعة حقائب في المطارات؟

هل ستبقى الشركات تستأجر مباني كبيرة لتسجن موظفيها في المكاتب وتنفق عليهم تكاليف تنقل وقهوة وشاي، وبالطبع أجهزة ومصاريف، عمال النظافة؟ أم تكتفي بالقليل لتسير الامور ومبنى صغير للاجتماعات الدورية وباقي الامور يمكن أن تسير من البيوت؟

المدارس بالطبع ربما تتخذ إجراءات اخرى وتقلل ساعات حضور الطلبة وتراقبهم عن طريق التطبيقات الإلكترونية؛ أليس هذا ما حدث؟

هل سنتجه أكثر إلى الاكتفاء الذاتي وخلق مشروعات عائلية مثل؛ زراعة البيوت حتى نوفر المصاريف والخروج من المنازل للتسوق؟

هل سيكون على النساء الذهاب الى مراكز التجميل لنفخ الشفاه مجدداً؟ ام أن الكمامة ستزدهر؟

كلها أسئلة تدور في أذهاننا اليوم، وقد فرضت علينا أحكام سرعان ما نفذتها الشعوب دون اعتراض، حتى مع اعتراض القلة التي عملت على التمرد بشأن ارتداء قناع الوجه بصفته يمثل رمزية قمع، ومازلت بعض المدن الأوربية تشهد تظاهرات رفض لها. من جهة أخرى معظم هذه الدول الديمقراطية دولا نظامها رأسمالي، فوقعت الحكومات بين مطرقة العزل وسندان تدهور الاقتصاد، فبدأ الاتجاه إلى وضع شعوبها تحت اختبارات لا تبدو سهلة نفسيا، وهي فرض العمل من البيت لمعظم الأعمال الإدارية، ولأنها تمتلك المقدرة التقنية لتنفيذ ذلك، فكل الأعمال مرتبطة بالشبكة، والاتصالات، ومن خلال اندماجي في هذا البلد خلال سنوات، لم اضطر إلى مراجعة الإدارات

ومبانيها الا مرات معدودة، كل شيء يمكن انهاءه عن طريق الانترنت والهاتف .

يبقى سؤال العزلة وتأثيرها النفسي، مرهون بمدى ما تقرره الحكومات من سماح بالتنقل أو إغلاق، ويبدو أن لكل بلد سياسته الخاصة في المساهمة من حد انتقال العدوى أو نشرها حسب سياسة مناعة القطيع بالإضافة إلى استعدادها من كوادر طبية أو معدات حماية .

نحن اليوم تجاوزنا مرحلة الصدمة، وصلنا لحد الإشباع من الأخبار المرعبة، لكن هذا لا يعني أنها لم تخلف اضطرابات نفسية عند عدد هائل من البشر، بدليل نشر دراسة بريطانية تتحدث عن ازدحام غير مسبوق في المواعيد لدى المعالجين النفسيين، فمهما كانت السياسات التي اتخذت في العالم، يبقى هناك عامل مشترك منها، وهو قانون التباعد الاجتماعي، والمفارقة أن شبكة الانترنت قدمت حلولا مسبقة قبل أكثر من عشر سنوات وهي تطبيقات وبرامج اسمتها التواصل الاجتماعي، وكأنها تهيئة للبشرية لتكون البديل عن التواصل الإنساني الفعلي .

نحن بكل تأكيد مقدمون على تغير جذري في عاداتنا الاجتماعية، وأسلوب التواصل الإنساني، وكأن الأمر ليس بيد الناس بل بيد سياسات عليا تقرره وتحكم العالم مستغلة الخوف البشري من فايروس لم يثبت شيء حتى الآن إذا كان نتيجة طفرة طبيعية أو تم تصنيعه لحروب المستقبل، التي تقيد الشعوب بقوانين حتى في التعبير عن مشاعرها، وبذات الوقت تضمن وقتاً للساسة في التحكم أكثر في مصائر شعوبها .

لم نعد نخاف العزلة

ميّاسة السويدي (البحرين) فنانة تشكيلية.

الموبايل، ذلك الجهاز الذي يكاد يلتصق بأيدينا من فرط تعلقنا به، لا تخلو منه في هذا الزمان يد رجل أو امرأة أو حتى طفل صغير للأسف الشديد، الهاتف المحمول، النقال، الخلوي، الجوال أو المتحرك كترجمة حرفية لكلمة الموبايل، هذه الأجهزة التي أصبحت أكثر من مجرد وسيلة اتصال لا يمكن تجاهلها أو رفض وجودها الذي أصبح يهيمن على أوقاتنا جميعاً.

شخصياً أجد نفسي متعلقة بهذا الجهاز الصغير الذي يفتح لي أبواب العالم دون أن أتحرك من مكاني، وجعلني أستغني عن التلفزيون وهاتف المنزل وحتى الحاسب الآلي في بعض الأحيان، أخذ مكان المنبه

والساعة والحاسبة والتقويم والمفكرة الصغيرة التي نحتفظ بها لتدوين ما يهمنا، استغنينا عن الراديو والكاميرا والألبومات التي تجمع صورنا للاحتفاظ بالذكريات واللحظات المهمة، واكتفينا بوجود ملف للصور الإلكترونية المكررة.

من وجهة نظري الخاصة أن التعامل مع الموبايل يحتاج إلى وعي، إلى انتباه للوقت الذي يتسرب من عمرنا والساعات الطويلة التي تمر دون أن نشعر بها ونحن مسحورون به، الانشغال بمواقع التواصل الاجتماعي والسناب شات، والألعاب التي ينغمس فيها البعض لتصبح إدمانا حقيقيا من نوع آخر، كحال أي تقنية لها سلبيات وإيجابيات، الوعي هو الأهم فما نحن إلا حاصل اختياراتنا، هل نقضي الوقت في مشاهدة التفاهات أو متابعة ما يثري ويساهم في زيادة ثقافتنا؟

وكما أن هذا الموبايل يفتح أبواب كل شيء، نافعا كان أو ضارا، علينا أن نحسن الاختيار ونتحمل مسؤولية اختياراتنا جيدا، هناك بعض التطبيقات التي لا أجد غنى عنها مثل الترجمة والموسوعات الثقافية وتطبيق يوتيوب الذي يجعلك تحضر محاضرة ثقافية أو تستمع لدرس يهمك أو تلتقي بكاتب أو فنان تتابعه في وقتك الخاص، وكل الكتب الإلكترونية التي تصلك بضغطة زر، وغيره من التطبيقات التي تحتوي على قائمة لا نهائية من الكتب المسموعة.

لم نعد نخاف العزلة وهذا الجهاز معنا، فأنت على بعد شاشة من الوصول إلى حيث تريد صفحة كتاب أو لوحة فنان، أو قصيدة تقرأها أو تسمعها بصوت الشاعر ربما، ولم تعد بحاجة إلى انتظار إصدار كتاب معين أو مجلة ثقافية أو تتكبد عناء البحث في المكتبة أو الموسوعات الثقافية، فالخيارات الثقافية أصبحت متاحة أكثر والاجتماع بمن يشاركك الاهتمام سهل جدا في مجموعات مختصة تلتقي بها على الأون لاين، في الوقت الذي يناسبك وتختاره أنت.

عزلتي القسرية ولذة الانتقام

هشام زين الدين (لبنان) كاتب ومخرج مسرحي.

حقيقة شعوري في خلال العزلة التي فرضها علي فايروس كورونا عبارة عن لوحة سريالية تجتمع فيها عناصر واضحة المعنى، لكنها تتحول إلى طلاسم يصعب فهمها بعد جمعها ضمن إطار واحد.

الخوف بل الرعب من بطش هذا المارد الذي لا يُرى، الانتظار في قلب معركة من دون سلاح، العجز عن الحلم، عن الأمل، عن التفاؤل، كلها مشاعر رافقتني في عزلتي،

ولكن، رافقني أيضاً شعور لمَ ولا أستطيع تفسيره، شعور يناقض المشاعر البديهية لرجل خائف من المجهول.

منذ اليوم الأول شعرت بلذة لا أملك توصيفها، رافقتني طوال فترة عزلتي، كنت سعيداً بانقطاعي جسدياً عن العالم الخارجي، هذا العالم الذي أرهقني بتفاهاته وسخافاته التي اغتصبت حياتي وأصبحت جزءاً منها رغماً عني، عزلتي هذه حرّرتني من أقنعتي المتعددة التي كنت أبدلها مرغماً بين لقاء وآخر وبين ظرف وآخر، واللذة الأهم التي منحتني إياها هذه العزلة هي لذة الانتقام.

نظرياً أنا ضد فكرة الانتقام، وضد العنف، وأمارس ذلك في حياتي العائلية والاجتماعية والتربوية وأعلّم طلابي وأحفزهم على ثقافة السلام والتسامح وتقبل الآخر ومحاربة الشر بالخير.. الخ، لكني مع كل هذه القناعات الإنسانية وجدتني أتلذذ بالانتقام الذي حققه هذا الفايروس من كل جبابرة الأرض وطواغيتها وآلهتها وممثليهم المغرورين وقادة دولها وجنرالاتها وتجار حروبها واقتصاداتها وأصحاب رؤوس أموالها وبنوكها ومهندسي عولمتها وناهبي ثروات شعوبها وفقرائها، تلذذت بما فعله هذا الفايروس بهؤلاء، كيف أوقف مشاريعهم، كيف أرعبهم، كيف أوقف حروبهم، كيف أنزلهم من جبروتهم الوهمي وحاصرهم في غرفهم الضيقة، كيف ساواهم بكل بني البشر، كيف حوّل منجزاتهم إلى سراب، لقد انتقم هذا الفايروس لي ولكل الرافضين في هذه الأرض، لكل مريدي التغيير نحو عالم أكثر انسانية وأكثر عدالة، لكل الصامتين المغلوب على أمرهم.

في عزلتي القسرية امتزج الخوف باللذة، لا داعي لتفسير ذلك، ولا داعي لتفسير كل ما يحصل معنا وحولنا، هي الحياة هكذا، لوحة سريالية يصعب تفسيرها.

فوزية... الوجهُ الآخر
(في القَصِيدَةِ التَّالِيَةِ أحِبُّكَ بِصُعُوبة)

يونس الفنادي

(1)

في البدء كانت فكرة هذه المقالة تتأسس على رصد وتتبع ما كُتب حول أول ديوان شعرٍ نسوي صدر في ليبيا فحسب، ثم امتدت الكتابة لتتناول عدة إشارات إلى إبداعات صاحبة الديوان الأدبية والصحفية والشعرية، وتوسعت لاحقاً حتى شملت بعض ما نشر من انطباعات وأراء وقراءات نقدية حول كتاباتها ونصوصها المتنوعة في الشعر والمقالة والرواية، ثم طالت كذلك لتشمل بعض المحطات والمواقف من سيرتها الذاتية وعلاقاتها الاجتماعية كما وردت في كتابات وشهادات بعض الناشطين في الوسط الأدبي والثقافي والإعلامي، مبتعدين فيها عن توجهاتها الايديولوجية والسياسية التي اعتنقتها، والسلوكيات الشخصية التي مارستها، طيلة حضورها الفاعل وتواجدها بالصف الأمامي في المشهد الوطني وحتى تواريها عنه. واختتمتُ المقالة بشهادة أديب وصحفي ودبلوماسي بارز عاصر الشأن السياسي وتقلباته منذ بواكير ارهاصاته خلال سبعينيات القرن الماضي وكان رفيقاً، بل صديقاً مقرباً، وزميلاً وشريكاً للأديبة الشاعرة في المجال السياسي والاهتمامات الصحفية والأدبية والثقافية.

وعند التفكير في عنونة هذه الكتابة وجدتُ نفسي أستعيرُ عنوانها مما تضمنته مقالةٌ للأستاذ الأديب الراحل والناقد الكبير سليمان كشلاف عن الشاعرة صاحبة الديوان، والتي تسلمتُ مخطوط مقالته منه شخصياً رحمه الله، وللأسف بحثّتُ مع ابنه الأستاذ خالد سليمان كشلاف عنها في أيٍّ من اصداراته ولكننا لم نفلح في إيجادها، وظل السؤال بيننا:

لماذا لم ينشر الأستاذ الراحل سليمان كشلاف مقالته الأدبية المطولة ودراسته النقدية تلك؟

(2)

يعتبر ديوان (فِي القَصِيدةِ التَالِيةِ أُحِبُّكَ بِصُعُوبَةٍ)(1) للشاعرة فوزية شلابي الصادر سنة 1984م هو أولُ ديوان شعري نسوي في ليبيا، استهلت به المرأة الليبية إسهاماتها الشعرية، وهو بهذه الخاصية المتميزة، وبصرف النظر عن قيمته الموضوعية والفنية، يكتسي أهمية تاريخية وتوثيقية دائمة، وسيظل مرجعاً أصيلاً لجميع الدراسات والبحوث التي تتناول شعر المرأة في ليبيا بوجه خاص، والشعر الليبي عامةً، سواء اتفقنا مع سيرة صاحبته ومذهبها الفكري الأيديولوجي وموقفها السياسي والثوري أو اختلفنا معها، لأن في ليبيا اليوم لن يكون هناك أيُّ تقليدٍ ظالمٍ لإقصاء النجباء من المبدعين الأدباء والفنانين والشعراء وغيرهم مثلما كان متبعاً وسائداً في عهد النظام السابق حين تم طمس جهود وانجازات الكثير من المبدعين الليبيين من بينهم مثلاً الشاعر الراحل عبدالحميد البكوش رئيس وزراء ليبيا الأسبق، الذي تم منع مجموعاته الشعرية العديدة، واستبعادها من كل الكتابات التأريخية الخاصة بدراسة الشعر الليبي الحديث، وحجبت الإشارة إليه كصوت شعري ضمن الأصوات الشعرية الليبية الأخرى، وظل مبدأ الإقصاء والإبعاد والمنع متأسساً على دوره السياسي ومنصبه الحكومي الرسمي السابق في العهد الملكي، والتعامل معه ظلماً وفقاً لذلك، وبالتالي أسقطته المعاجم المختلفة من صفحاتها، ومنعت الدراسات الأدبية النقدية حول دواوينه الشعرية.

وتجاوزاً لأساليب ذاك العهد السياسي السابق، وعقلية الإقصاء الظالمة المجحفة، وإيماناً بالسلوك الواثق الشفاف والفكر الوطني المستنير الذي يبني ولا يخرب، يجمع ولا يفرق، ويحضن جميع الأطياف الفكرية، فقد تم سنة 2017م أثناء احتفالية اليوم العالمي للكتاب التي نظمتها مكتبة طرابلس العلمية العالمية بفندق الودان بمدينة طرابلس تحت شعار (تكريم الكاتبات الليبيات)، تكريم هذا الديوان وصاحبته، في مجال الريادة الشعرية، ضمن فعاليات الاحتفالية التي تضمنت فقراتها عرضاً مرئياً لإصدارات المبدعات الرائدات الليبيات، في مجال القصة القصيرة (مجموعة الراحلة زعيمة سليمان باشا الباروني "القصص القومي" الصادرة سنة 1958)، والرواية (رواية الأستاذة مرضية النعاس بعنوان "شيء من الدفء" الصادرة سنة 1972)، والشعر (ديوان الشاعرة فوزية شلابي بعنوان "في القصيدة التالية أحبُكَ بصعوبة" الصادر سنة

1984)، والكتابة للمسرح (مسرحية الكاتبة نجوى عاشور رمضان بعنوان "المعطف" الصادرة سنة 2002)، بالإضافة إلى غيرها من العناوين الأخرى لكاتبات ليبيا أصدرنها خلال مراحل زمنية متفاوتة.

(3)

تضمن ديوان (في القصيدة التالية أحبكَ بصعوبة) للشاعرة فوزية شلابي واحداً وثلاثين نصاً شعرياً ظهرت متسلسلة حسب فهرس الكتاب على النحو التالي: (حكاية، ترداد، مشهد، هيا يا عبدالرحمن، صهٍ أنصار، بعضُ ما تغنيه أميمة، أنصار، علي فوده، وفيها موعدنا، مصابٌ بالسكوت، حبيي، لبيروت صورةٌ قديمةٌ واحتمالاتٌ جديدة، وأنتَ الواحد الأحادي الوحيد، أول طرابلس آخر طرابلس، وغداً لدمي بيروت، وعنك هذا الاعتذار، زقزقةٌ لنافذة بيروت البعيدة، بانوراما، في القصيدة التالية أحبك بصعوبة، برقية مفضوضة لفدائي لم أره، عمّا قاله صديقي وشاهد الإثبات، حركة ع قاطعة أريدُ أن أسكت!، هلْ، أحبك وكم أنتَ جبان، نشق عصى الاستاتيك، أريدُ العودة لسانتياغو، لوركا، النوّارة ذبلت نيرودا مات، وقلنا نصيح محمد، أوركسترا، أقترحُ عليك حرباً جديدةً).

واستهلت الشاعرة هذا الديوان بإهداء رقيق تقول فيه (شكراً بيروت. شكراً أيتها المعلمة. فعلى جثتكِ تعلمتُ الكتابة)، ونلاحظ أن جميع نصوص الديوان لم تحمل أية هوية وطنية ليبية، لا في عتبات عناوينها ولا متونها الشعرية، التي غلبت عليها الروح والمشاعر الثورية الحماسية المنحازة للقومية العربية واليسار التقدمي الاشتراكي العربي، والنضال الفلسطيني، والمقاومة اللبنانية، ومناصرة قضايا التحرر في الوطن العربي وخارجه، وحتى جميع أسماء الشخصيات والأعلام التي وردت بالديوان (عبدالرحمن، أميمة الخليل، علي فوده، ناجي العلي، سعيد، بينوشيت، مارسيللا، لوركا، نيرودا، محمد، باسمة، مصطفى، وليد) كانت أغلبها غير ليبية، باستثناء اسمين ليبيين بارزين هما (عبدالرحمن) والذي ظهر في عنوان النص "هيا يا عبدالرحمن" وحجبت الشاعرة لقبه العائلي إلاّ أن المقصود، فيما أرى، هو الأستاذ "عبدالرحمن الجعيدي" حين كان مراسلاً لوكالة الأنباء الليبية في العاصمة اللبنانية بيروت أثناء الاجتياح الصهيوني لها سنة 1982م:

(أتوسدُ زِنْدَكَ أَيُّهَا الوَلَدُ المُكَهْرَبُ

أَدْعُوكَ أَنْ تَتَوَطَّنَ فِي الصَّدَى،

فِي الرَّشْفَةِ،

وَفِي النَّدَى.

هَيَّا نَهْرُبْ.)

وكذلك اسم الفنان (محمد الزواوي) رسام الكاريكتير الليبي المشهور الذي تضمنه نصها "وقلنا نصيح محمد" وصرّحت به كاملاً:

(لَمْ نَزَلْ نُسَمِّيكَ محمد الزواوي

لَمْ يَزَلْ رَقْمُ بِطَاقَتِكَ كَذَا)

وجاء الديوان مكتظاً بأسماء عربية مهمة في الفن والشعر والنضال السياسي، مثل المغنية اللبنانية "أميمة الخليل"، والشاعر الفلسطيني "علي فوده" أحد أبرز شعراء المقاومة خلال حصار بيروت والذي استشهد أثناء القصف الاسرائيلي عليها سنة 1982م، وفنان الكاريكتير الفلسطيني "ناجي العلي" الذي اغتيل في لندن سنة 1978م، بالإضافة إلى أسماء غير عربية مثل ديكتاتور تشيلي "بيونيشيت"، وشاعرها الكبير "بابلو نيرودا"، والشاعر الأسباني "لوركا" الذي أعدم بالرصاص أثناء الحرب الأهلية الأسبانية .

أمّا بالنسبة للأماكن والمدن فلم ترد أية مدينة ليبية في نصوصها الشعرية بالديوان من بين المدن والأمكنة التي تضمنها وهي (بيروت، طرابلس، سانتياغو، أنصار)، وطرابلس المقصودة هنا ليست عاصمتنا الليبية الحبيبة، بل هي "طرابلس الشام" كما صرّحت الشاعرة بذلك في ذيل هامش قصيدة "أولُ طرابلس آخر طرابلس". أما "سانتياغو" فهي العاصمة التشيلية التي خاضت العديد من المواجهات ضد حاكمها الدكتاتور العسكري "بيونيشيت"، ومعتقل "أنصار" بالجنوب اللبناني الذي ذيلت الشاعرة تعريفاً له في ديوانها ووصفته بأنه (معسكر الاعتقال النازي الصهيوني في الجنوب اللبناني)، وقد حظي هذا المعتقل/المكان بظهوره مرتين في عناوين قصائد الديوان وهما "صَهٍ أَنْصَار" و"أَنْصَار"، ولم تتفوق عليه في الظهور عددياً سوى العاصمة اللبنانية "بيروت" التي تصدرت عناوين ثلاثة قصائد هي "لِبَيْرُوت صُورَةٌ قَدِيمَةٌ وَاحْتِمَالاتٌ جَدِيدَة"، "وَغَداً لِدَمِي بيروت"، و"زَقْزَقَةٌ لِنَافِذَةِ بَيْرُوت البَعِيدَة".

ونكتشف من الديوان عشق الشاعرة للأغنية العاطفية الرقيقة، على حد سواء مع الأغنية السياسية النضالية المنحازة للبسطاء وللثورة على الوضع العربي، فنجدها قد اقتبست في نصها "ترداد" جزءاً من أغنية السيدة "فيروز :"

"أَنَا مِنْ بَلَدِ الشَّبَابِيك المَجْرُوحَة بِالحُبّ"

"وَكَان يَحْكِي وَكِنْتْ اِسْمَعْ لُه"

وكذلك في نصها (اوركسترا) ضمنته سطوراً من أغنية لِلشيخ إمام باللهجة العامية المصرية:

(عَلَّمَنِي حُبُك عِبَارَهْ

سَهْلَة وَبَسِيطَة وَعَفِيَّهْ

شَرْط المَحَبَّة الجِسَارَهْ

شَرْع القُلُوب الوَفِيَّهْ)

وكانت أقصر قصيدة بالديوان هي "زقزقة لنافذة بيروت البعيدة" وتكونت من أربعة أسطر فقط هي:

(أَيْنَ

أُخَبِّىءُ

قَلْبِي

أَيْتُهَا البُنْدُقِيَّة)

أما أطول النصوص فهي قصيدة "وفيها موعدنا" التي جاءت في سبعين سطراً، وتقول في بعض سطورها:

(يَا أَنْتَ

الَّذِي

تَعْرِفُنِي. تُكَابِدُنِي. أَتَلَظَّى وَيَتَلَظَّى

مَوْعِدُنَا

لِلفُلَّةِ الَّتِي تَنْبُتُ فِي الدَّمِ

لِلأُغْنِيَّةِ الَّتِي تَرْسِمُ حُدُودَ الخَارِطَةِ

وَغَداً.

لِجُعَبِ الرَّصَاصِ وَتَعَبِ الكَلاَشِنْكُوفِ

لِقَهْوَتِنَا السَّرِيعَةِ.

لِجَرِيدَةِ الصَّبَاحِ.

لِنَكْهَةِ التَّبْغِ الشَّعْبِي.

لِلقُبْلَةِ الَعَلَنِية.

لِلنَّاسِ.

لِبُحَيْرَةِ البَجَعِ وَنَقْدِ الوَاقِعِيَّةِ.

لِاسْتِضَافَةِ "أَدُونِيس" عَلَى كُوبِ شَاي

وَسُؤَالٍ

عَنِ الثَّابِتِ وَالمُتَحَوِّل)

(4)

لم أجد لهذا الديوان التاريخي الموثِق لإسهامات المرأة الليبية الشاعرة المبدعة "فِي القَصِيدَةِ التَّالِيَةِ أُحِبُّكَ بِصُعُوبة" أي عرضٍ شاملٍ أو تحليلٍ نقدي مفصل منشور أو مطبوع منذ صدوره سنة 1984م، عدا ما كتبه الأستاذ الراحل سليمان كشلاف وأهداني شخصياً نسخة

منه وهو مخطوط دراسة نقدية في شكل كتابٍ شبه جاهز، ربما كان يزمع نشره، ولكن من خلال البحث في جميع مطبوعاته الصادرة، واتصالاتي الشخصية مع إبنه الاستاذ خالد سليمان كشلاف لم نجده قد نشر هذه الدراسة التي أعدها بعنوان (محاولةٌ للاقترابِ من فوزية شلابي: "فِي القَصِيدَةِ التَّالِيَةِ أُحِبُّكَ بِصُعُوبة" إمْرَأةٌ لِجِيلٍ قَادِمٍ) والتي يقول في بدايتها: (تظل "فوزية شلابي" ألمعَ كاتبةٍ ليبيةٍ ظهرت للوجود حتى هذه اللحظة، بالرغم من أن كاتباتٍ كثيرات، سبقنها في مجال الكتابة والنشر، وبالرغم من ظهور كثيراتٍ معها وبعدها، سواء أخذن نفس الإتجاه في الكتابة أو اختلفن عنه.

ولأن "فوزية شلابي" عُرفت ككاتبةٍ سياسيةٍ، ولأن اهتماماتها السياسية غطت على اهتماماتها الابداعية الأخرى فإن كثيرين فوجئوا بما أخذ يصدر لها من أعمال ابداعية متتالية ظهر منها حتى الآن "فِي الثَّقَافَةِ وَالحَرْبِ".. "قِرَاءَاتٌ مُنَاوِئَةٌ".. و"فِي القَصِيدَةِ التَّالِيَةِ أُحِبُّكَ بِصُعُوبة".. و"فَوْضَوِياً كُنْتَ وَشَدِيدَ الوَقَاحَةِ"... ومن جانب آخر، لأن أغلب هذه الأعمال الإبداعية عندما نشرت في الصحف كانت غُفلاً من التوقيع، أو باسم مستعار هو "عافية عمران ."

كيف يمكن أن يظهر لنا الوجه الآخر لـ"فوزية شلابي"؟

كيف يمكن لنا أن نرى وجه المبدعة لقلم تعودنا أن نقرأ له في السياسة بأسلوب يصل إلى درجة سلاطة اللسان مع استخدام اللفظ النابي، لما نعرفه من استخدام المبدع، والشاعر خاصةً، للغة رقيقة منسابة، تصل إلى حد الهمس؟)

وبعد أن قام الأستاذ الراحل سليمان كشلاف بإعادة ترتيب نصوص الديوان متسلسلةً زمنياً وفقاً لتواريخ نشرها في الصحافة الليبية وليس كما ظهرت وفق فهرس الديوان، حيث وضع قصيدة "بعضُ ما تُغَنِّيهَ أُمَيْمَة الخَلِيل" المنشورة في الصحافة بتاريخ 1982.7.9م هي أولى قصائد الديوان بدلاً من قصيدة "حِكَايَة" المنشورة بالصحافة بتاريخ 1982.10.15م، وأبقى على قصيدة "أقترحُ عليكَ حَرباً جَدِيدَة" في مكانها الأخيرة بالديوان لأنها بلا تاريخ. وقد كان هذا التعديل الذي قام به الناقد الراحل، وأشار إليه في مقدمته، لاستنباط بعض العلائق والتفسيرات في محاولةٍ منه لفهم ما قالت أو ما كانت تريد قوله الشاعرة .

وفي جزء من قراءته النقدية لنص قصيدتها (فِي القَصِيدَةِ التَّالِيَةِ أُحِبُّكَ بِصُعُوبة)

تحديداً يقول الأستاذ الراحل سليمان كشلاف: (تُزَالُ كُلُّ الرتوش، يبدو الأمر واضحاً، وتسقط الستارة، يعود الظل الضخم الطويل المهيب إلى حجمه الطبيعي، وتبدو معه الأمور لدى الشاعرة وكأن الكون تغير، انقلبت كل الموازين، دخل الكل في الجزء، تبدد البحر في القطرة، اختزلت المساحات الهائلة من الصحراء لتصبح حبة رمل، ولتصبح اللوحة الكلية كاشفة للأحجام بنسبها الطبيعية، بعد أن مسحت المرأة غبش المشهد عن النافذة. يضيع الوهم، يعود الوهم مجدداً..).

أما خاتمة مقالته الدراسة حول ديوان (في القَصِيدَةِ التَّالِيَةِ أُحِبُّكَ بِصُعُوبة) فيقول الراحل سليمان كشلاف ("فوزية شلابي" في ديوانها لا تكتب قصائد، إنها رحلة طويلة، مرحلة، لقصيدةٍ واحدة تتشكل من مقطوعات، تصوغ فيها رؤيا ورؤية، تحلم أن يكون هناك الخارق الذي يهدم ويبني ويؤسس، يسير معها في دربٍ طويل، لحياةٍ مستقبلية سنصل إليها، ربما، بعد جيل، تعيشها هي الآن. تقود حركتها الآن، تبشر بها، وتعتنقها.)

(5)

جاء النص الكامل لقصيدة (في القَصِيدَةِ التَّالِيَةِ أُحِبُّكَ بِصُعُوبة) التي حملت العنوان والعتبة الرئيسية للمجموعة الشعرية بأكملها للشاعرة فوزية شلابي متكوناً من ثمانية وثلاثين سطراً كالتالي :

(يَرْتَجُ السَّقْفُ

يَدْخُلُ الوَلَدُ فِي دَمِي.

هُوَ أَنْتَ:

السِّرْيَالِيُّ. السِّرْيَالِيُّ. السِّرْيَالِيُّ،

وَأَنَا.

تَضْرِمُ البَلَلَ حَوْلَ هَيْئَةِ الوَقْتِ

فَتَنْكَشِفُ تُخُومَ النَّارِ.

تُوَازِنُ العَوْسَجَةَ بِاحْتِمَالِ سُقُوطِ قَذِيفَةٍ

فَيَتَحَدَّدُ مَجَالُ الجَسَدِ.

هُوَ أَنْتَ:

البِدَائِيُّ. البِدَائِيُّ. البِدَائِيُّ،

وَأَنَا.

نَتَخَلَّلُ البَيْدَرَ

فَيَشِفُّ الفِعْلُ عَنْ مِيكَانِيك الفِعْلِ

وَالبِلَّوْرُ عَنْ لَوْنِ البِلَّوْرِ

وَعَنْ الدَّبْقِ رَطِبَةِ فَمِكَ.

هُوَ أَنْتَ:

الشَائِكُ. الشَائِكُ. الشَائِكُ،

وَأنَا

فِي العَرَبَةِ

اَسْتَسْلِمُ لِمَشْرُوعِ المِقْعَدِ،

أَتَنَفَّسُ بِبُطْءٍ.

أَحْلُمُ بِبُطِءٍ.

أَسْهُو بِبُطْءٍ،

وَأُحِبُّكَ بِصُعُوبَةٍ.

فِي القِرْمِيدِي

هِيَ أنَا،

وَأَنْتَ:

الشَّفْرَةُ الأُولَى تَجْتَازُ الحَاجِزَ الأَمْنِّيَ

فَتُسْفِرُ الطَّلْقَةُ عَنْ اِنْدلاَعِ الوَطَنِ

فِي القَصِيدَةِ التَّالِيةِ.

نُدَمِّرُ المَرْحَلَةَ،

نَرْقُصُ

أَنَا وَأَنْتَ:

الِاسْتِثْنَائِيُّ،

فِي البَاحَةِ الفَوْضَوِيَةِ

بِدَمَوِيَّةٍ وَاضِحَةٍ

وَقَلِيلٍ مِنَ الخَوْفِ).

(6)

قراءة الرؤية الفكرية الثاقبة، والمقدرة الذاتية المرهفة، على صياغة نصوص انفعالية وتفاعلية، وتميز النص لدى الأديبة "فوزية شلابي" لم تقتصر على الأديب الراحل سليمان كشلاف فحسب، بل شاركه فيها الكثير من الأدباء والكتاب والشعراء والشاعرات، قبله وبعده. فها هي الأديبة الكبيرة الراحلة خديجة الجهمي رحمها الله تنشر قبله بسنوات طويلة، وتحديداً في العدد رقم (11) من مجلة "المرأة"، السنة الثالثة، الصادر بتاريخ 5 نوفمبر 1967م مقالة تسرد فيها حكاية تقول فيها: (دخلت على مكتبي دون موعد سابق فأعجبتني شجاعتها الأدبية وسرَّني أن أرى طالبة صغيرة نشطة مهذبة مثلها بادرتني بقولها: لماذا لم تبحثي عني وتجري معي مقابلة وقد نجحتُ الأولى في الشهادة الابتدائية هذه السنة؟ ألا ترين أني أستحقُ التشجيع؟

آسفة يا صغيرة أنتِ فعلاً على حق.

وحدثني فوزية بشير شلابي عن نفسها قالت:

عمري اثنتا عشرة سنة، وحيدةُ أمي، أذاكر دروسي أولاً بأول، أنتبه في الحصة، وألعبُ وقتَ اللعب.

وعندما سألتها هل تساعدين أمك في عمل البيت، أجابت: أبداً، أمي حريصة على أن أكون متفوقة باستمرار، وهي لذلك ترفض أية مساعدة مني، ولها الفضل فعلاً في كوني نجحتُ الأولى.

أريدُ أن أشكر أمي... أمي مجلة "المرأة" التي أتتبعها دون انقطاع .

والمجلة تحي فوزية وتتمنى لها مستقبلاً زاهراً.

فوزية تريد أن تتخذها الطالبة قدوة فما رأي الطالبات؟)

وبعد حكاية الراحلة القديرة خديجة الجهمي بعقد من الزمن ينشر الأديب الراحل محمد أحمد الزوي مقالته بصحيفة "الأسبوع الثقافي" تحت عنوان (فوزية شلابي ومصيدةُ الكتابةِ السياسية) بالعدد رقم 335 الصادر بتاريخ 28 يوليو 1978م يقول في الصفحة السابعة (.. إنَّ الذي يقرأ المقالات النارية الملتهبة لفوزية شلابي لن يصمد في المستقبل أمام اسمها ليقرأ قصيدة شعرية أو قصة قصيرة أو خاطرة أدبية أو صورة قلمية. فالذي تتعود أذنه على قرع الطبول لا يملك المقدرة على سماع موسيقى -التانجو- الهادئة... فهل نرضى بأن تكون فوزية شلابي مجرد عابرة سبيل في حياتنا الثقافية؟. هل نرضى بأن تكون مجرد ذكرى؟).

ثم بعده بسنوات يقدم الدكتور خليفة التليسي رحمه الله كتابها (قراءاتٌ مناوئة)(2) الصادر سنة 1984م بمقالة طويلة يقول فيها (.. تعتبر هذه المقدمة قراءة غير مناوئة لعقل كاتبة شابة ثائرة، على درجة عالية من الثقافة والكفاءة والوعي الثوري الرافض، يبشر قلمها وثقافتها ووعيها بأنها ستكون قيمة أدبية بارزة في حياتنا الفكرية والأدبية المعاصرة. وقد استطاع قلمها أن يؤكد نفسه كأحد الأقلام النسائية الممتازة في وطننا العربي الكبير..).

وكنتُ قد نشرتُ بعده بحوالي عقدين من الزمن في صحيفة الشط"(3)، مقالة حولها أكدتُ فيها بأنه (.. على صعيد الكتابة يظل أسلوبها الأدبي استثنائياً متميزاً بإبداع نسوي لم تشهده الحياة الثقافية في بلادنا. كما سجل حضورها السياسي والمهني الإداري بصمة غير مسبوقة خلال توليها العديد من المهام والمناصب القيادية. وإنسانياً يبقى صوتها قصيدة مزروعة في ديوان الحب والحياة والعشق للإنسان والوطن، تفوح بعبير الوردة وتجادل بشموخ النخلة. هي البنت الليبية، والأنثى

العاصفة، والحبيبة المغرمة، والمرأة الثائرة، والأهة المنكسرة، والدمعة الحارقة، والقلب النابض بأنبل مشاعر الدفء والحنان. كل هذا، وغيره كثير، يؤسس عالمها المعرفي والثقافي الذي للأسف لم يلجه أو يقترب منه أحد لمعرفة ونشر تفاصيله، فظل موصداً لا يفصح عن خباياه وأسراره التي بالتأكيد هي جديرة بالمطالعة، لأنها تؤثث لسيرة ذاتية يظل المشهد الأدبي والثقافي في أمس الحاجة للإطلاع على الكثير من جوانبها، وظروفها، وقراءتها بكل تروي وعناية.)

وليس الأدباء والكتاب فقط من كتب حول الأديبة والشاعرة فوزية شلابي، بل حتى الشعراء البارزين مثل الأستاذ الشاعر الكبير الراحل أحمد الحريري رحمه الله صاغ حولها قصيدة باللهجة العامية الطرابلسية يقول في جزء منها:

(كانت أمس بس معانا

بالحب الصافي.. مليانة

وكنا نعتز بعشرتها

وكانت حبّوبة وإنسانة

وكانت تُهرب لمحّبتنا

ولما تضّايق.. تلقانا

وفجأة كبرت.. كبرت.. كبرت

صارت ماتقبلش سمانا

وتكريماً منى لعشرتها

مانبيش نقول: (فلانة)

***

إكراماً منى لعشرتها

ونقاوتها

في الماضي أيّام طفولتها

لمّا كانت..

أحلى خامة في تربتها

إكراماً منى.. وتقديراً..

ليها.. هي

هاللى زمان انتصرت لِيّا

وكانت فعلاً مش عادية

مرأة لما نقولوا مرأة.

وتردع م الرجّالة.. مية

لكن كبرت.. كبرت.. كبرت..

صارت معروفة وقوية

وإكباراً منى للعِشرة..

عفواً ما تلوموش عليا..

(7)

أما على صعيد الأديبات والشاعرات والكاتبات فقد أعدت صحيفة (الشط) ملفاً خاصاً بعنوان (الأديبة فوزية شلابي: شاعرية التمرد وسر القصيدة) بالعدد رقم (986) الصادر بتاريخ 2010/6/29 عرضت فيه أغلفة كتبها ونشرت عدة مقالات حول إبداعاتها الشعرية والروائية والفكرية لسبعةٍ من الأديبات الفضليات التاليات كما ورد تسلسل مقالاتهن في العدد المشار إليه:

أولاً: الأستاذة/ مرضية النعاس، صاحبة أول رواية ليبية بعنوان "شيء من الدفء" عنونت مقالتها (متهمةٌ بالتميز والخروج عن العادي والمألوف) جاء فيها: (...أعلنت هذه المبدعة من البداية خروجها عن النمطية السائدة وولوجها إلى عالم الابتكار والثورة والتجديد بصدق وجرأة وشراسة من به اشتهاء لاقتلاع الاباطيل ودك مخادع الإناث المترفها ومعاقل ذكور عصر شهريار، تسند رأسها على قلبها، تمتشق قلمها واثقة الخطو لا تهادن لا تستسلم، تتجذر في كلماتها الأصالة والصدق والموضوعية، وتشهد عليها حوارات النهار ومدى ذلك النور السرمدي الذي يبدد في ومضته ظلام العقول، ويصور بصدق وجرأة مراحل الاهتزازات التي يمر بها مجتمعنا العربي، ويرسل بعنفوان وشموخ الكلمة الشرارة الفاعلة التي تتجاوز مرحلة الأطر والنسج البطيء وتنطلق بلا قيود تحاور وتحرض وتحقق هوية مميزة، ترقى بعالم الواقع والمألوف في نسج الكتابة دون أن تقف عند حدوده لتنسج منه وعلى منواله خطوط إبداعها وتتجاوزه بقفزة جريئة ومتمردة فتفتح للمتلقي فضاءات رحبة مدهشة ومليئة بالتوقع والابهار..)

ثانياً: الأستاذة/ سالمة المدني "رئيس تحرير الصحيفة"، وقد اختارت أن تستحضر والدة الأديبة فوزية شلابي في عنوان مقالتها (الحاجة صالحة جنائن قرنفل) الذي تقول فيها (... أدخلتني هذه السيدة التاريخ عندما كلفتني بأمانة تحرير مجلة "البيت" سنة 1999م ثم كلفتني هاتفياً بإعادة إصدار مجلة "الأمل" المتوقفة لأكثر من عشر سنوات وبفضلها عادت المجلة للأطفال.. ولولا وقوفها مع الصحفيات ومساندتها وقراراتها بخصوصهن لما كان في المشهد الصحفي أية إمرأة قيادية وهن اللواتي ينقشن الصحافة الليبية جمعاً وتنفيذاً وإخراجاً وتحقيقات وحوارات وأخباراً...)

ثالثاً: الأستاذة/ مريم سلامة، وعنوان مقالتها (الراكضة في حقول الفيض) تقول فيها (... عندما قرأتُ كتابها "في الحرب والثقافة" في مستهل التسعينات الذي

يضم عدداً من مقالاتها المنشورة في صحيفة "الجماهيرية" في مستهل الثمانينات غمرني إحساس باليقين بأنه ليس ثمة كاتبة ليبية كتبت الثورة والسياسة، ورصدت التحولات والحراك الاجتماعي على المستويين المحلي والعربي بقلم من مرجعية فلسفية وثقافية رصينة مثلما فعلت فوزية شلابي..) وتضيف (.. من المؤكد أن فوزية شلابي أبدعت وتميزت في نصوصها الشعرية والسياسية عن جدارة من يعي سطوة النص، وهو يبحث عن جدواه في فعلي الهدم والبناء من أجل الوطن والمواطن في نقلة سريعة فارقة من مقموع إلى سيد! ولهذا نجد تفسيراً لمدخل يلج منه السؤال الذي تطرحه ناصعاً واضحاً هادفاً).

وتواصل (قدمتني ذات مرة إلى مجموعة من الأساتذة الجامعيين في إحدى الزيارات الميدانية للمدينة القديمة قائلة "هذه مريم سلامة نواة وحدة الترجمة". قبل المشروع المدرسة لم أكن باحثة تاريخية، ولم أعرف عن التاريخ الليبي إلاّ ما علق في ذاكرتي من المناهج المدرسية إلاّ أنها شجعتني وجعلت مني باحثة في التاريخ الليبي، قلتُ لها كيف لي أن أعد دراسة تاريخية وأنا لستُ خريجة تاريخ!! فقالت لي اجلسي في مكتبة المشروع الممتلئة بكتب التاريخ الليبي، اقرأي وأنت تستطعين أن تكتبي وبإشراف الأساتذة المتخصصين في لجنة المستشارين تستطيعين أن تنجزي دراسة جيدة!! وهذا ما حدث فبعد الدراسة التمهيدية الأولى كتبتْ لي رسالة شكر مميزة أسعدتني وشجعتني ودفعت بي للابحار عميقاً في محيط الدراسات التاريخية حتى وصل الرقم ما يقارب من عشرة دراسات أو ورقات بحثية.)

رابعاً: الأستاذة/ حواء القمودي، وعنوان مقالتها (فوزية قرنفلة طرابلس) تقول فيها ("بنت سوق الجمعة" هو اسمٌ اخترعته السيدة "فوزية شلابي" لمقالتي التي كانت بعنوان مثير هو "بلاغ ضد أبي وأمي"، وأحسبُ أنَّ العُنوان أيضاً هو من اختيارها. "فوزية شلابي" اسمٌ ليس من السهولة اختصاره في صفحات مقالة عجولة، لأنني حين أحكي عنها سأحكي عن تلك البنت المرتبكة المليئة بالتحدي التي كنتُها كأنها اللحظة حيث العام 1982م، وصحيفة الجماهيرية ومقالات "عافية عمران" والعناوين المميزة لمقالاتها، والاختيارات غير العادية للنصوص الشعرية والقصصية، وتلك "المانشيتات" التي تزين الصفحة الأولى، تعلمتُ في مدرسة "فوزية" كيف أكتبُ مقالتي، وكيف أصرخُ عالياً بغضبي، وأضعُ أصابعي الخمس في عين المجتمع المغلق. السيدة "فوزية

شلابي" علامةٌ في المشهدِ الثقافي الليبي، ورمزٌ لكلمةٍ تتحدى التكلس والتحجر، وتعلن بداية النهار الجديد. "فوزية" يا قرنفلة طرابلس ألف شكر ليدك الواثقة التي جعلت من البنت المرتبكة كاتبة اسمها حواء القمودي.)

خامساً: الأستاذة/ سميرة البوزيدي، وعنوان مقالتها (العبور إلى اللهب) وهي دراسة نقدية في ديواني "فوضوياً كنتَ وشديدَ الوقاحة" و"عربيداً كان رامبو" للشاعرة فوزية شلابي، تقول فيها (من التجارب الشعرية المميزة التي نحتت لنفسها مكاناً بارزاً في مشهدية الشعر الليبي في فترة مبكرة وعبر الإصدار الشعري الأول لشاعرة ليبية بديوان "في القصيدة التالية أحبك بصعوبة" وبعيداً عن البُنى التقليدية للجملة والفكرة الشعرية والتي ألجمت خيال الشاعر ردحاً من الزمن تأتي تجربة الشاعرة فوزية شلابي كتجربة يمكن قول الكثير بخصوصها فهي من التجارب التي راهنت على اللغة عبر حقنها برؤى واختلاجات مختلفة ساهمت في أن تكون هذه التجربة الأكثر تميزاً في بنات جيلها بل وفي عموم جيلها في الحقيقة.

غالباً عندما نستحضر تجربة السيدة فوزية الشعرية فإن أول ما يخطر في البال ويسترعي الانتباه هو جرأة النص والفكرة الشعرية عبر طرق مغايرة والاشتغال على هموم الجسد ومتعلقاته.. قضم اللذة)

وتختم الشاعرة سميرة البوزيدي مقالتها بالقول (أخيراً تظل تجربة الشاعرة فوزية شلابي تجربة تحمل الكثير من التميز صهرت في بوتقتها العديد من أحوال الذات والآخر وفي زمن مبكر من عمر القصيدة النسوية خصوصاً، قصيدة عبرت من وقتها إلى الآن بمحمولات الاختلاف والتميز تجربة دالة على روح شعرية عالية التفرد أسهمت في أن تكون القصيدة في ليبيا على محمل الحضور في المشهد الشعري العربي عموماً).

سادساً: الأستاذة الراحلة/ نادرة عويتي، رحمها الله، وعنوان مقالتها (قلم المرأة يطرز قماشة المشهد الثقافي الليبي) تقول فيها: (.. على مستوى الرواية لابد أن نقر بأن الكاتبة "مرضية النعاس" هي أول روائية ليبية، ولازالت حتى هذا اليوم تسعى لأن تستعيد نشاطها الإبداعي. كذلك تلتها المبدعة "فوزية شلابي" على مستوى الرواية والشعر والخاطرة، وكانت تحمل في أعماقها بذرة التفوق في التعبير لكنها غابت إبداعاً وحضرت إدارياً، وهذا ليس في صالح العمل الإبداعي الذي غادرته والآن أنا أدعوها للعودة لأنها ستعطي وتعوض الغياب.

وعلى السيدة "فوزية" أن تتحمل ملاحظاتي لأنها نابعة من إنسانة تحمل المشهد الثقافي برمته في عينيها حتى وإن كانت مجرد ربة بيت..)

سابعاً: الأستاذة/ أسماء الأسطى وعنوان مقالتها (من أسرار الكاتبة فوزية شلابي) وكشفت فيها عن حجب كتاب للأديبة فوزية شلابي وقالت في شهادتها (.. منذ ذلك الوقت الذي أكدت فيه إمكانياتها ككاتبة شاملة، يلاحظ عليها بأن المهام الإدارية، رغم أهمية المنجز الذي ينسب لها الفضل فيه، خاصة بشأن حماية مدينة طرابلس القديمة أو المهام الثقافية التي تقلدتها، بوصفها أول سيدة ليبية تتولى منصب وزيرة للثقافة، قد استغرقتها عن استمرار فعل النشر الإبداعي حتى غابت حاضرة وأبعدها شبح النسيان إلى رصيف الذكريات الأدبية، ولم تحضر قط كنص إبداعي متجدد، سواء بالنشر في الدوريات الأدبية الليبية، أو في الأمسيات الشعرية، أو في إصدار عناوين جديدة من الكتب، ولكن لعلها ستفاجأ الجميع بدفعة أخرى مرة ثانية.

إثر إعادة طبع غلافات الكاتبة ثانية، أي بعد ربع قرن من الزمان على صدورها، مع استثناء عنوان واحد صادر عن الدار العربية للكتاب عام 1984م صدر مؤخراً ديوان بعنوان "من أسرار عاشقة طرابلسية" عن المؤسسة العامة للثقافة، والذي يعد من مخزون محفوظات جهة النشر الرسمية، وفق تغيير تسمياتها المتعددة، فهو يعود إلى عقد الثمانينيات حينما أطلعتُ على مخطوطه الأصلي، أثناء بحثي في دار النشر الحكومية لرصد نتاج الكاتبات الليبيات، ولقد طرحتُ السؤال حول أسباب استبعاده من دائرة نشر مؤلفات الكاتبة، التي دفعت بها كلها دفعة واحدة معاً في منتصف الثمانينيات متوجة باسمها الحقيقي. لكنني لم أحصل على إجابة حاسمة...)

وحول هذه النقطة، أود الإشارة إلى أنني تمكنتُ بتاريخ 19 يوليو 2020م بمساعدة الصديق العزيز الدكتور عبدالله مليطان من الاطلاع على نسخة من ديوان الشاعرة فوزية شلابي (من أسرار عاشقة إطرابلسية) الصادر عن المؤسسة العامة للثقافة في طبعته الثانية سنة 2009م، مما يعني أن الطبعة الأولى قد صدرت وسبقت هذه النسخة التي اطلعتُ عليها بسنوات، وهي تضم واحداً وأربعين نصاً كتبتها الشاعرة فوزية شلابي كلها في أواخر سنة 1986م وتحديداً بداية من 1986/9/15م وحتى 1986/11/29م.

كُلُّ هؤلاء الكتاب والشعراء والمبدعين - وربما آخرين غيرهم- تناولوا في انطباعاتهم وأراءهم ونقودهم الجانب الأدبي الابداعي

لفوزية شلابي، وظلوا يشيدون بما حققته من تميز نصها وذاتية شخصيتها، ويثنون عليها، إلاَّ أنَّ الدبلوماسي الأستاذ عبدالرحمن شلقم يخالفهم تلك الشهادات والآراء، فيما كتبه حولها بعد فبراير 2011م، وقد انطبعت نظرته بالجانب السياسي والأيديولوجي علناً، والأخلاقي تلميحاً ورمزاً، وجاءت ربما مخالفة كلياً، لمعظم شهادات غيره من زملاء الكلمة الصحفية ورفاق المهنة الإعلامية والأدبية، فهو استهل فصل كتابه (أشخاص حول القذافي)(4) عنها بقوله (فوزية بشير شلابي، علامة تدل على الكثير من المعلوم، ومن المسكوت عليه، ومن المستور، وهي أحد أصابع التفجير الاجتماعي والصحفي، والثقافي، وأيضاً النفسي.)

ثم يضيف (.. فوزية شلابي، الشابة النكرة التي تحولت إلى فكرة، ونستطيع أن نقول إن معمر القذافي قام باستثمارها، أو استعمالها، بعد أن نجح باكتشافها عن طريقة مخرجي السينما..)، و(.. استخدام معمر القذافي فوزية شلابي من البداية إلى النهاية، ووظَّف كلَّ شيءٍ فيها، القلم، واللسان، والجسد، والكيمياء النفسية والاجتماعية، وكذلك ظروفها العائلية، ونزواتها، واندفاعاتها وحبها للاختلاف والاستفزاز...).

ويواصل الأستاذ عبدالرحمن شلقم (رسم الناس في داخل ليبيا وخارجها صورة متعددة الألوان لفوزية شلابي، بل نستطيع أن نقول صوراً، ووضعوا فيها من زخرفة الخيال أكثر مما أخذوا من ألوان الحقيقة والواقع، وضعوها في أماكن لم تطأها قدمها، وسطروا عنها ولها تاريخاً لم تكن به، مشوا بها في طرق كانت من صنع الخيال، كما يحدث مع نجوم الفن، وأبطال الخرافات وكانت للمحطات السياسية والاجتماعية، وأقول حتى النفسية، التي تخبطت بها ليبيا تحت ظل قيادة معمر القذافي دوراً في رسم تلك الصورة لفوزية شلابي ولغيرها أيضاً...).

(8)

في ختام مقالتي التي تبدو متوازنة -على الأقل بالنسبة لي- ولم تسعى للتهجم على أحد ولا الدفاع عن أحد، بل أراها غاصت في التاريخ، ووثائقه، وأرشيفه الأدبي الشعري والصحفي، ونقلت ما استطاعت الوصول إليه، والحصول عليه من كتابات، فيما يتعلق بالديوان الشعري النسوي الأول في ليبيا (فِي القَصِيدَةِ التَّالِيَةِ أُحِبُّكَ بِصُعُوبة) وإنصافاً له، بجانب بعض الكتابات والنقود الأدبية والشهادات التي طالت صاحبته الشاعرة فوزية شلابي، ولكن يظل القاريء الكريم حراً في توجيه بوصلة فكره نحو المسارات المقنعة

لعقله، والمطمئنة لقلبه، والمريحة لنفسه، فهو، دون غيره، من يصنع إجابات الأسئلة الضمنية العديدة التي قد تلوح وتثار من بين سطور هذه المقالة!!!

هوامش:

1- في القَصِيدةِ التَالِيةِ أُحِبُّكَ بِصُعُوبَةٍ، فوزية شلابي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الطبعة الأولى، 1984م
2- قراءاتٌ مناوئة، فوزية شلابي، الدار العربية للكتاب، طرابلس-تونس، الطبعة الأولى، 1984م
3- صحيفة الشط"، العدد رقم 987، الصادر بتاريخ 2010/6/6م، الصفحة رقم 20
4- أشخاص حول القذافي، عبدالرحمن شلقم، دار الفرجاني للنشر، طرابلس، الطبعة الأولى، 2012م، ص 91-108

العنونة والدلالات الحسّية
في ديوان (سهامٌ في قلبِ الشمس)
للشاعرة الليبيّة: سهام الدغاري

كريم عبدالله – العراق

إنّ العمل الشعري الرصين يحتاج دائماً الى دلالات ورموز ونقاط دلالة وعلامات (عناوين فرعية) من خلالها نتمكن من الوصول إلى قيمته الإبداعية وجماليته وتجتمع كلّ هذه الدلالات والرموز (الفرعية) تحت دلالة بارزة تهيمن عليها جميعا وتكون منطوية تحت لوائها (العنوان الرئيسي)، أي أن هذا العنوان الرئيسي سيجمع أو يكون معبّراً عمّا تحتويه هذه العناوين الفرعية (شاملاً) ومن خلاله سوف نتمكن من الوصول الى ثيمة العمل الشعري وقراءته ومن ثمّ الحكم عليه.

لذا فأنّ العمل الشعري المتماسك لابدّ أن يكون متسلسلاً عبر عناوينه كسلسلة واحدة ترتبط بالأخرى ويهيمن على جميعها جوّا (نفسياً – لغوياً) واحداً، لها امتدادات وإشعاعات تأخذ مديات بعيدة تجعله وحدة لا تتجزأ يشدّ بعضها الآخر. لذا صار من المهم جداً البحث عن هذه العناوين بعناية فائقة واشتراكها مع بعض في نفس الثيمة ومن ثمّ أشتراك الجميع مع العنوان الرئيسي، فعلى الشاعر أن يكون حاذقاً وواعياً لكل عنوان يختاره في عمله الشعري ويدرسه بتأنّ ووعي، لأنّ هذا العنوان سيختزل كلّ ما جاء بالعمل الشعري ويكون معبّراً عنه أصدق تعبير. اذاً العنوان يجب أن يكون قطعة متوهّجة لأنه يلعب دوراً محوريّاً في حركية القصيدة ويختزل لنا الكثير من الدلالات ويفتح لنا الأبواب مشرعة في عملية القراءة وأن يكون تلخيصاً توصيلياً إيحائياً لمضامين النصّ وإبرازاً لتجربة الشاعر. انّ العنوان الرئيسي للعمل الشعري هو البوابة الأولى و الواسعة التي من خلالها ندخل الى حرم وقدسيّة هذا العمل، ومن خلاله سنتعرّف على ما يريد الشاعر قوله وتوصيله الينا،

اي أنّ العنوان الرئيسي هو النواة الأولى التي ستنشطر فيما بعد الى وحدات أصغر وهذه بدروها ستكشف لنا عن مقدرة هذا الشاعر الإبداعية أو فشله في هذا العمل، ومن خلال ذلك سنتعرف ايضاً على شخصية الشاعر وقيمة النصّ والأجواء النفسيّة التي كُتبتْ هذه النصوص تحت تأثيرها والبيئة التي انبثقت هذه النصوص منها واهتمامات الشاعر وثقافته وجمالية العمل ورسالته، اذا العنونة هي من الأسباب التي تجعل هذا العمل يمتلك خصوصية هذا الشاعر أو ذاك لأنها من مبتكراته وخلقه فلا يمكن التجاوز عليها وسرقتها لأنّها من صناعة الشاعر / س / كتبها في لحظة معينة ومكان معين وظرف معين وحالة خاصة به معينة أيضاً .

بالعودة الى ديوان الشاعرة "سهام الدغاري" وعنوانه الرئيسي المثير (سهامٌ في قلبِ الشمس)، حاولت من خلاله إثارة القلق والريبة وإبراز وخلق عالم زاخر بالشعور النفسيّ والانكسار والهزيمة من جانب وعالم من الأفراح والسكينة من جانب آخر، وحاولت إثارة المتلقي بأكثر من سؤال، مَنْ هي هذه السهام، وأيّة سهام هذه، وما هو المغزى من استخدام مفردة (سهام) هنا، وماذا تعني هذه السهام، هل هي الشاعرة (سهام الدغاري) نفسها أم هي السهام التي تُرمى من القوس..؟؟ .!!

والشمس ماذا تعني هنا، هل هي الشمس التي ترمز الى الحريّة أم الشمس التي تعني الحياة والضياء والنهار، ام هي (سهام الدغاري)..؟؟؟!!!. ثمّ ماذا تعني هذه الحركية في العنوان من الصعود من الأسفل الى الأعلى، من الأرض الى السماء..؟؟ !!

ومن ذا الذي رمى الشمس بهذه السهام، ومن ذا الذي جعل هذه السهام في قلب الشمس، وما المغزى من استخدام مفردتي / السهام – وما تعنيه من الآلام والمواجع والتمزّق – والشمس – صاحبة العلو الشاهق والضياء والدفء والنماء والحياة..؟؟!!. هذه مجموعة من التساؤلات لابدّ للمتلقي المبدع والمنتج والمتفاعل مع العمل الشعري أن يطرحها على نفسه ويحاول إيجاد الحلول التي تشبع ذائقته وتفتح له مغاليق هذا العمل الشعري .

والآن نأتي على العناوين الفرعية في هذا الديوان، وهي أيضا تحمل من الدلالات الشيء الكثير التي تكشف لنا عن شخصية الشاعرة وحالتها النفسيّة أثناء الكتابة، أنا وحسبما وجدت من خلال قراءتي للديوان وهذا العناوين الفرعية بأنّ الشاعرة كتبت هذا العمل خلال ستة مراحل يمكن أن نسمّيها / نفسيّة – عمريّة – فكرية /، وأن لكلّ مجموعة من هذه العناوين مرحلة

معينة ربما عن قصد أو لا شعورياً كتبتها الشاعرة، وأنّ لكل مجموعة من هذه العناوين يمكن أن نجعل عنواناً رئيسيّا لها يدلّ دلالة واضحة على هذه المرحلة (نفسيّة – عمريّة – فكرية).

فمثلاً تبدأ العناوين هكذا وحسب هذا التسلسل:

1- يبدأ الديوان في مرحلة الإحساس بالانكسار والهزيمة وهي أشبه ما تكون بمرحلة الخريف، بعد أن تتمرّد الذات الشاعرة وتنفجر على واقعها المأزوم في محاولة للبحث عن الخلاص وطلب الحرية. تبدأ هذه المرحلة بالعناوين التالية / ليست كلّ الانفجارات مؤذية – هذه العنوان أعتقد هو شامل لبقيّة العناوين التالية / ذات خريف / تبّاً لهذا النصّ / ابتسامة سوداء / فوضويّة الحياة / قد يتفسخ الحرف.

2- المرحلة الثانية هي مرحلة تأمّلية (طويلة نوعا ما) والشعور بالخيبة والإحساس بضياع العمر بعد أن تكتشف الذات الشاعرة تسارع الأيام وتصرّمها وبداية عهد جديد بعد أن نضبت ملامح الشباب وتسارعت وتيرة الحياة. تبدأ هذه المرحلة بالعناوين التالية / حين تتقمّصني جدّتي – وهذا سيكون العنوان الأشمل لبقيّة هذه العناوين / أقاصي المستحيل / لمْ يبقَ الكثير / طفلةٌ حمقاء / أحبّتني فخذلتها / حماقات / هذه الملامح ليست لي.

3- المرحلة الثالثة هي مرحلة البحث عن السلام والطمأنينة والسكينة والراحة والهدوء. تبدأ هذه المرحلة بالعناوين التالية / كي تحظى بالسلام – وهذا سيكون العنوان الرئيسي الذي سيختزل ما في العناوين التالية / رحيل / مفارقة / هل تدرك / لعلّه خيراً / ذات جنون.

4- المرحلة الرابعة هي مرحلة الإحساس بالهزيمة والانكسار. تبدأ هذه المرحلة بالعناوين التالية / الرجل الذي استباح قلبي – وهذا سيكون العنوان الرئيسي لبقيّة العناوين التالية / لا تراودني عن صبري / اللحظات المارقة / لون الغياب.

5- المرحلة الرابعة وهي مرحلة جلد الذات والإحساس بالخطأ وما مرّ في الحياة. وتبدأ هذا المرحلة بالعناوين التالية / مذنبةٌ أنا – وهذا سيكون العنوان الرئيسي الذي يختزل العناوين التالية / رسالة لرجل / زفرات أنثى / قصيدة خطّاءة / محض عابرة.

6- المرحلة السادسة وهي مرحلة ترميم الخراب ومحاولة الانبعاث من جديد وتناسي ما مرّ من الضيم والقهر والآلام والانتصار على الواقع البائس. وتبدأ هذه المرحلة بالعناوين التالية / نسيتُ الحكاية

– والذي سيكون هو العنوان الرئيسي لهذه العناوين / ياء النداء عصيّة / مرايا الغياب / إليكَ عنّي.

ولم يبق لدينا إلاّ ثلاثة عناوين أعتبرها مهمة جداً ومن خلالها سنجد الملامح المهمة التي أشتمل عليها هذا العمل الشعري، ألا وهي / أنثى مكتملة / عاشقٌ أسطوريّ / شفاهُ الياسمين لا تبتسم.

الآن لو وضعنا تخطيطاً وهميّا نقترحه يتكون من دائرة مركزيّة تعني (الشمس – الشاعرة) نضع خلالها العناوين / أنثى مكتملة / عاشقٌ أسطوريّ /، أنّ هذه الدائرة واحتوائها على / المرأة و الرجل / إنّما توحي لنا بوجود / الإنسان – الذي يشتمل على / المرأة – الرجل / وهنا ينفتح أمامنا باباً آخر للتأويل، وهو أنّ الشاعرة أرادت أنّ تقول بأنّ إنسان هذا العصر المضطرب قد يتعرّض الى / سهام / كثيرة تحاول تمزيق قلبه الذي يوحي لنا بالمشاعر الصادقة والحبّ النقيّ ويمتلك الوفاء والصدق والسلام، ودائرة أخرى كبيرة مقسّمة الى ستة مجالات غير متساوية تمثّل لنا مراحل الحياة وتطورها، يمثل المجال الأول المرحلة الأولى والتي تحتوي على ستة عناوين والتي سنفترض انّها عبارة عن سهام موّجّهة نحو الشمس – الشاعرة، بينما المجال الثاني يمثل المرحلة الثانية والتي تحتوي على سبعة عناوين والتي تمثّل لنا عبارة عن سهام أيضاً تتجه نحو الشمس – الشاعرة، ومجال ثالث يمثّل المرحلة الثالثة والتي تحتوي على ستة عناوين والتي تمثّل لنا عن سهام أخرى تتجه نحو الشمس – الشاعرة، بينما المجال الرابع سيمثّل لنا المرحلة الرابعة والذي سيحتوي على خمسة عناوين تمثّل لنا خمسة سهام تتجه نحو الشمس – الشاعرة، ثم يأتي المجال الخامس متمثّلاً بالمرحلة الخامسة وبخمسة عناوين عبارة عن سهام تتجه نحو الشمس – الشاعرة، وأخيراً المجال السادس وهو يمثل لنا المرحلة السادسة وبخمسة سهام تتجه نحو الشمس – الشاعرة .

هنا سنتوصل الى رسالة حاولت الذات الشاعرة ان تبعثها إلينا من خلال هذه السهام – المحن والهموم والمشاكل والقهر والضيم والخيبات - الكثيرة التي تحاول الانطلاق وبقوّة نحو قلبها وتمّزيقه والنيل منها، علماً بأنّها مازالت تحلم بـ / عاشق أسطوريّ / يحاول انتشالها من هذا الواقع وتخليصها من آثار وآلام هذه السهام الطائشة، لكن يبدو لنا بأنّ هذه السهام قد نفذت الى قلب الذات الشاعرة قبل أن يتمكن هذا / العاشق الأسطوريّ / من نجدتها وصدّ كل هذه الخيبات وتخليصها مما لحق بها، فكانت مثل

الياسمين لكنه الياسمين الذي سيبقى حزيناً وشفاهه لن تعرف الابتسام / شفاهُ الياسمين لا تبتسم./

في هذا الديوان سنجد صوت / الأنثى – الأنسان / المغلوبة والمنكسرة والمنهزمة أمام طغيان الواقع وقسوته ودكتاتوريته الفظيعة، الأنثى - الإنسان التي تحاول التمرّد على واقع قبيح حاول ويحاول تشويه ما تحويه من جمال روحيّ وقلبيّ، عالم مظلم بشع ما فتىء يرميها بكلّ هذا الخيبات وتجرح قلبها سهامه المتواصلة، لكنّها ستبقى / أنثى مكتملة – ناضجة ترفل بالحياة والحب والآمال والأحلام العريضة رغم كلّ شيء. وليس من السهولة ان نستشعر ذلك إلاّ عن طريق متلقي منتج أو سامع منتج مجتهد صابر معاند يتفاعل بإيجابية مع النصوص ومن خلال الوقوف أمام هذه العناوين ويزاول التحليل والتأويل بحياديّة وموضوعية بعيداً عن شخصية الشاعرة حتى يستطيع التلذّذ بكل هذه ألأحاسيس الأنثوية المرهفة والدخول الى عالم الشاعرة والاستمتاع بما جادت به قريحتها.

موزون السرد

مفتاح الشاعري

على هامش نص: جسر الخيبات

السرد التعبيري شيء أنيق دون ضرورات تصنع ويحتفظ بصفة التجلي في حضور الفكر المهتم.. ولذا فهو يمثل حضارة الأدب وتطوره دون إغفال أساسيات وجماليات وموازين عوالم الشعر وإن اختلف في صف البناء والشكل والمتناول وهو في حضور قوي حين تكون مواطن أدوات النقد، وقيل: (حتى أخاطب العقول امنحوني موجودات تحملها)..

ونقول تأسيسيا وليس في صفة التنظير.. إن هذا في مجمله ما كان واقعا لميزة التأخي مع ما يوصف بفخامة النظم ورونق الفكر ومنارة التعلم وفن السردية التعبيرية التي لم يتبرأ من الموزون في معطى النص وما بعده أن اكتمل النص، وليشعر المتلقي بغنى النتاج وموسيقا الإيقاع ودسامة المفردة وكثافة الصورة في الاستقبال.. لهذا من الفائدة بمكان ان نؤمن بأن للسردية خصوصية حضور القصيدة بمذاق مقنن وذوق مرهف متحسس لروح الكلمة ...

إن السردية وإن جاءت بأفقية التدوين وبتضاريس الديوان فإنها في حالة إعلان وجود خصوصية السهل الممتنع، ولا يحتمل الخلط العشوائي لضرورات وجود حدود الديباجة والتسطير.. وهنا ثمة مساحة لنص سردي بقلم الأديبة الليبية المتجددة واقعاً "عائشة أحمد بازامة" توجت في حقيقتها بمعطيات الفن السردي المتاني والممتلئ أساسيات قال بها هذا الدرب من الابداع الأدبي:

سأعبر جسر الخيبات

فأنا إمرأة التفاح

أحمل على كتفي

حقيبة خيباتي

وأمتليء بفتات

الرغبة في الرحيل
وأكتفي بنشر صحائف
نزوة الحرف الغبي
وأهرول بكبوة الماضي
وأتمتم بطلاسم العجز
وأقفز فوق مقاصل المعتوهين
مسفوحة الدم
وأهذي من لفحة الشهوة
اللئيمة في مطابخ فجورهم
وأعود بخيبتي المعهودة
إلى قبري المنسي
في زاوية العبيد
المقبورين في الألم
فيتوه التفاح في عمقي
يبحث عن ملاذ
وسط الغيمات
وفي حدائق التفاح
والمشمش.

على هامش نص: رسالة له وحده.

قرأنا بأن القصيدة السيرذاتية جاءت غالبيتها في انتماء وان كان هذا الانتماء غير معلن لفن النص النثري الذاتي المعتاد، ولهذا.. قراءة وليست استثناء سنقول بأن القصيدة السيرذاتية هي ما أشير اليها.. على أنها تشير الى فكر وقلم "بدر شاكر السياب" مثالاً وليس احتكارا، وبهذا فأن هذا النمط من الشعر الذاتي لا ينفصل حقيقة عن ذات الشاعر وان كان السياق الظاهر، هو نوع من الخطاب للمقابل كما هو في النص الشعرى للشاعرة "عائشة أحمد" (رسالة له وحده)، فالنص يعتبر نوع من أتجاه المحاكاة المروية الواقعية بجغرافية مؤسسة بين النص السردي والنص الشعري المطلق وان كانت هذه الصفة في غير الشمول المطلق وقابله لحركة التنظير، و(رسالة له وحده) نرى بانه توجه واضح ومقتدر استهدف في غير تصنع فعل انار جوانب التفاعل بين الشاعرة ونصها بمحتوى متجه الى نقاط التقارب اللفظي مع الذاتية التى صنعت في نهايتها الحدث الآني وبذلك كان واقع تكثيف النص نتاجا قادر على تكثيف المفردة وتطويعها لتخدم الجانب الوصفي لداخلية الشاعرة دون دعاية. أيضا جانب من اعلان الاغتراب الحسي المفعم بروح تحدى الانثى يدفع بالنص الى دائرة نوع من افق التطلع الى الانبعاث وان كان تخيلي الا ان مفردته الواقعية تجعله في منطقة الواقع وهذا ما كان الرابط بين الذات الواقعية والتمني المتخيل في قالب مستساغ بيسر وسهولة في عوالم المتلقي المتأني تقول الشاعرة:

خبئني في دمعة قلمك

في بسمته

في محابرك، في نطفاتها

انقشني في خفاياك

خضب خريفي

بحناء غاباتك

بقطرة من عشقك

بدفقة من حسك

عانق ضفيرتي

على القمر كما (برنيكي)

أزرعني على جذع نخلة

قاوم معي زلزالي

أو زلزل التراب

في طريقي

جبروتك المعتق

أقبيتي وصوتك المخبأ

المنمق في قصائدي

يحييني.

على هامش نص: المعراج أنا

أفق كمال المرأة المبدعة فكرا وابجدية تسكن روح اليراع الداعي لروح الماضي وتوظيفها لمشاعر حاضرة متغيرة مليئة بالعقبات وصومعة لكيان يساكن فعل التعبير المتغزل بتحفظ لسطوة الابجدية وجميلا ان يؤتى الثمار في هذه المغامرة بغنى مترف وسط ممالك التفاعل وتشكل نزاعات وامال وكم من صور التنازع المثخن باتجاهات الممكن والمتخيل وفي كمالها مرة اخرى هناك لحظة الاكتشاف لنهايات كانت في اغلب نتاجها جسور من معان للتمكن وبريق من نصوص مقروءة تقارع بجدارة لمباح ومسكوت و قدر من انتماء لأريحية السهل الممتنع لهذا يستقرأ واقع امتلاك الابداع بحسن الملامح وفؤاد يرسم في حجم قلب طائر و مدائن عشق كقائد منتصر على حصون عصية رغم مكائد النهايات وهي كثيرة وعذب هو ما يجده المتلقي من وفرة امتلاك المبدعة بروح تخلق وطن وتاج زمردي واكليل غار وسطوة مشروعة لا تنسى ..

لكنها في جانبها الخفي لازالت ذات المبدعة تجاور عقل حكيم وحارس لأنوثة العالم حولها دون اهمال او تقليل لواقع سطوتها وفي هذا قيل ان مصارع العشق الواقع والمتخيل والمستهدف ابداعا لا زالت كثيرة وأكثر قرابينها صفوة يتنادون لرداء عشق لا يغادر ولو على مذابح النهايات لأجل هذا كان من الجميل ان نرى دليل التصور قد تحقق حين كان (المعراج أنا).. تقول الشاعرة:

إنّي امرأة فشلاء

ظننت أني الوحيدة
حفية الجمال
كما (رحمونة) شهيدة بربوة الحب
المهجورة
في كهوفها العتيدة
حمقاء لأني
أهديت ضفيرتي للقمر
كما (برنيق) حاربت لأحبك
كما (اسبوتي) فوجدتني مكبلة
مسجونة
في كهوفها (ميدوسا)
لكن أمي لم تكن ابداً
تريتونسي
إنّي امرأة تعيسة
لأنّك أحببتني
بسطوة جبروتك
باتساع قامتك
بحفاوة روحك
فما وجدتني
إلاّ وقد
حسرت نفسي
في كهفها (هاربي)
التي لم تكن حبيبة
تلك التي
خاطت من نسيجها
العنكبوتي لي
بيتاً
لأنّي امرأة بلهاء
نون قلمي
لم يكن قوساً
أو رمحاً
لأنّ القوس قتل (اسبوتي)
فصرت أنت الإسراء
وأنا المعراج
لن أرتجي رحماك
حتى لو جفت
غيماتي
أو ضاعت دروبي
وصمتت قيثارتي
وذوى ربيعي
سأعترف بأنّي
امرأة فاشلة
ليست ككل النساء
امرأة لا تلتحف بالماء
لا تتغطى بالتراب
في حضورها غائبة
لا تلتفت للآتي
تفشل في غزل الكره

تنتشي بغزل الحرف
تنتقي العشق
لتزرعه منتهى
الأرض والسماء
أنا وميض كاذب
في فصاحة الحذّاق
حروف باهتة
على موائد الغرباء
أريج مزعج
على موائد العشق
في الليالي الطويلة
الباردة.
أنا صوت ناي مبحوح
ينشج بالإصباح العابس
كشجرة ذابلة
في تخوم مملكة الخيانات
وراء السحاب
إنّي حمقاء لأنّك
إن تحبني
تغادر .

قراءة المتلقي في نص: إلى الابد

في قصيدتها (الى الابد) نقرأ للشاعرة:

أيها الأزل
سأكسر صمتك
وأقتحم
أبواب غورك
أحرق غاباتك
أركض
وراء عمقك
لن ينالني
التعب،
فأنا
مهرة. جموح
تلحق السحاب
تقدح النجوم
تلوي عنان
اليم. وتطوي
سنين الرغبات
فالركض محبب
وغبار
الخطو يجذبني
حين غمرني
دفق المآذن
وقلبك
أنا ساذجة
لأني مهرة عربية

بدأت أحفر

عنك

لم أكن أدري

أننا نسكن

كل منّا

إلى الأبد

وبعد إننا في قصيدة (إلى الأبد) كنا في الواقع بحالة من مباشرة التذكر المستنير لما قال به القاص والروائي والناقد الليبي. "د.عبد الجواد عباس": (أنا لست شاعراً ولكنى أتشهى الشعر قراءة وسماعاً كما اشتهى الطعام اللذيذ.. وعندما احتاج إلى شعر فمعنى ذلك أننى احتاج إلى فن وإلا لكفاني النثر.. النفس تستجيب للإيقاع ولا إيقاع من دون موسيقى، والإنسان جبل على الإيقاع منذ الخليقة، فدقات القلب إيقاع.. وحركات اليدين إيقاع.. وحركات الرجلين إيقاع.. الإنسان تشّرب الموسيقى منذ الأزل فكيف يخرج الآن عن طبيعته فالشعر الجيد هو الذي يجذبنا ويدخلنا في فضائه رغم أنوفنا..)

ونضيف إثراء، إن القارئ المتمهل للقصيدة، سيصل عبر تواصل المفردات الى نوع من ملامسة وتقارب عجيب لمعطى يؤكد شرعية مناشدة مواطن جمال الصنعة، والكشف عن أسرار الرونق وهدوء الصنعة الشعرية.. إن التحسس للنص الشعرى في هذا المقام هو واقع سلس وعذب وفي رحلة استكشاف تصاعدية لجوانب من المشاعر وعذوبة النظم.. وسنقرر بارتياح بأننا حين الانتهاء سنعترف طوعا بتجسد مشاهدة تضاريس لحظات الشاعرة المجيدة.. بحلمها.. وواقعها.. وبقدر من ذاتية تحمل الود.. رغم احتجاج النص... وربما في كل أوجه تفاعل القصيدة قد أفلحت الشاعرة في دفعنا لاكتشاف ذواتنا المسكوت عنها... ونرى أن شاعرتنا المجيدة قد اهتمت بطقسها الشعري، بنية بلوغ عوالم المتذوق المطلع والمالك لرهافة التدقيق.. وهذا أبدا لا ينفي سابق قولنا أنه أينما تنقلت في مقاطع القصيدة ستجد الحب المتواصل المكتسب رفعة المحتفي بالمفردة وقدسية الكلمة ووفرة التأويل.

أن هذه المعطيات مجتمعة قد أدت بنا إلى تأكيد عمومية تشير الى ان القصيدة كانت محفزة للمهتم والدفع به نحو جمالية الصنع وسعة البراح وغنى الواقع والمتخيل ورفاهية رمزية ليست صاخبة و لا تسيء وهي من استيراد مقنن.. داعيا الى فعل الاكتشاف وتوافق لرأي "أدونيس" حين قال: (قوام الشعر هو الغموض، لأن الغموض هو قوام الرغبة بالمعرفة).

وفي العموم سنقول في موقع المتلقي.. جميل هذا النص شمولية الشاعرة، ففيه

ما يقال عن الثورة ورغبة والانعتاق الداخلي المشير بإصرار الى هذا الدفق من المشاعر المتأنية.. والتفاعل بين البهجة والحزن.. الامل والترقب.. والقصيدة هي في ذات القراءة كانت المعلنة تارة والمواربة تارة اخرى للسؤال عن التداعي وان كان مختلف ألوانه.. ولهذا كانت _إلى الابد_ تعريف بالتعلق والدعوى لإيجاد لوحة سريالية قابلة للحوار، وجملة من الاسقاطات التي ستأتي بتتابع ملزم بإقرار أن لحظة الكتابة للشاعرة ظلت برونق الصنعة وإتقان اللغة وعذوبة الفضاءات والتطلع للأفق باتساع محسوب تبعا لزمن القصيدة.

إن ذات اللحظة للشاعرة كانت هي المشكلة لشفافية رأت فيها المشروعية التي أوصلتها إلى هذا النتاج الباذخ من العطاء الشعري.. ذلك أن القراءة والمخاطبة سيكونا ذاك التعايش في وئام مع الحس المسبق لما هو مقابل.. حيث المتلقي الذي يمتلك ثقافة حسية دقيقة، قادرة على إيجاد حوارية الخطاب بعد القراءة وحرية التصور، وقابلية التساؤل وبناء جسر من التعامل والتواصل الروحي المشبع برقي الكتابة والاستنباط، مع وفرة عشق موسيقا المفردة والكلمة وبيت تسكنه القصيدة في كامل بهرجة الحضور.

الإنشاء مكانته وأهميته في التعليم

ابتسام يوسف صفر

مقدمة

إن اللغة العربية هي لسان الأمة العربية نزل بها القرآن الكريم، وكتبت بها الأحاديث الشريفة، وسجل تاريخنا العربي في تراثه الأدبي والفكري والتواصل من سمو رقيها، وانتماء لإفرادها، واعتزاز بعلومها وعلمائها، والإنشاء فرع من فروع اللغة العربية، ويعد من العلوم الأدبية الهامة؛ فبواسطة كتابة الإنشاء تصل الفكرة إلى القارئ والسامع، وهو صنعة ومهارة فكرية وأدبية وعلمية يعمل صاحبها على التنسيق بين الكلمات والمعاني، وأخذ رقاب بعضها البعض، فتتناسق أسلوباً رشيقاً يؤدي المعنى المراد إيصاله للمتلقي، وللإنشاء مكانة في المراحل التعليمية، وهذا العلم له مكانة كبيرة في الدراسات الأدبية لاسيما في مادة اللغة العربية .

مشكلة البحث:

1 -في رحلتي التعليمية وجدت إهمالاً كبيراً في موضوع الإنشاء؛ حيث يكلف المعلم الطالب كتابة موضوع الإنشاء دون الاهتمام بأهمية الموضوع والفكرة وطريقة سردها في الكتابة، وكذلك لاحظت الفقر اللغوي والفكري عند العديد من الطلاب في الدراسة التعليمية، فأغلبهم يعجزون عن كتابة أفكارهم، وسرد موضوعاتهم في مختلف المجالات العلمية والأدبية، حيث أصبح الفشل واضحاً في الكتابة الإنشائية .

2 -الاستعانة بالموضوعات الجاهزة هي آفة كبيرة نجد الطالب يعتمد اعتماداً واسعاً على الوسائل الالكترونية في الكتابة.

3 -الابتعاد عن القراءة وطريقة ربط الأفكار، واتساع الخيال، وعمق الفكرة، والتأليف في الموضوع الإنشائية مشكلة عسيرة عند الطلاب في المرحلتين الإعدادية والثانوية.

4 -التقيد بالموضوع الإنشائي وتكراره في سنوات متعددة أضعف القدرة اللغوية عند الطالب والمعلم معاً، فكانت النتيجة جمود الفكر، وتعطيل حركة الموضوع .

أهمية الدراسة:

يعتبر الإنشاء من الدعائم الهامة في اللغة العربية؛ فعن طريق الكتابة الإنشائية نقرأ الصحف والمجلات والكتب المتنوعة، ويتعلم الطالب كيف يكتب؟ وماذا يختار في تعبيره، وما هي الموضوعات القريبة من نفسه وحياته ومجتمعه، وبالإنشاء نستطيع التعرف على ميوله الأدبية ومواهبه المتنوعة، والإنشاء حصن اللغة العربية، ورفعاً لقامتها اللغوية، وبحر واسع في الأدب يتمثل في القصة والمقالة وكتابة الخواطر وهي تعلم الطالب فن الإلقاء، وطريقة عرض موضوعه أمام الأخرين، والإنشاء ينير درب المعلم في كثرة الاطلاع وقراءة الكتب.

أهداف الدراسة:

الهدف من الدراسة وضع رؤية علمية شاملة تهدف إلى الرقي باللغة العربية في المراحل التعليمية المختلفة عن طريق مادة الإنشاء.

اشتملت خطة البحث على فصلين، الفصل الأول: أهمية الإنشاء في المراحل التعليمية، والفصل الثاني: علاج الضعف في الكتابة الإنشائية، واشتملت الخاتمة على توصيات الباحثة، والنظرة المستقبلية في الموضوع، وقد اتبعت المنهج التاريخي للبحث حتى نقف على إبداع علماء الكتابة الإنشائية في العصور المختلة حتى عصرنا الحاضر ومشكلاته وكيفية حلولها.

تمهيد: مفهوم الإنشاء في القديم والحديث

وردت كلمة الإنشاء في المعاجم اللغوية وتعددت معانيها، ففي معجم لسان العرب ((معنى كلمة نشأ، أنشأ الله: خلقه، وأنشأ الله الخلق أي ابتدأ خلقه، وفي التنزيل العزيز: {وأن عليه النشأة الأخرى}: أي البعث، فاستعمل الإنشاء في العرض الذي هو الكلام، وأنشأ يحكي حديثاً: جعل، وأنشأ يفعل كذا ويقول كذا: ابتدأ أو أقبل، وقال الزّجاج في قوله تعالى: {وهو الذي أنشأ جناتٍ معروشات وغير معروشات}: أي ابتدعها وابتدأ خلقها، وكل من ابتدأ شيئاً فهو أنشأه))(1)، وفي معجم آخر ذكر معنى الإنشاء ((أنشأ: اسم، والجمع إنشاءات، ويحاول في خاطر الإنشاء من أفكار ومشاعر بحيث يفهمه الأخرون))(2)، وقال الدكتور نايف المعروف: ((هو العمل المدرسي المنهجي الذي يسير وفق خطة متكاملة من ترجمة أفكاره ومشاعره وأحاسيسه ومشاهداته

وفق فكر معين))(3)، وقال أخر: ((الإنشاء لغة الشروع والإيجاد والوضع، تقول أنشأ الغلام يمشي إذا شرع في المشي، وأنشأ الله العالم: أوجده، واصطلاحاً: علم يعرف به كيفية استنباط المعاني وتأليفها مع التعبير عنها بلفظ لائق بالمقام، وهو مستمد من جميع العلوم؛ ذلك لأن الكاتب لا يستثنى حنيفاً من الكتابة، فيغوص في كل المباحث، ويتعمد الإنشاء في كل المعارف البشرية))(4) من أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وقد عُرفت الانشاء منذ القدم، واختلفت مسمياتها أو تعددت مفرداتها، وأنارت الكتابة العربية الإنشاء او التعبير، وهي مدلولات متقاربة في المعنى، ويرى صاحب الخصائص ابن جني: ((إنه الإنشاء لفظاً هو الإبانة والإفصاح))(5)، كما اهتم القدماء الأوائل اهتماماً واسعاً بالكتابة الانشائية، ((فالكتابة على مر العصور اعتبرت من أشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة، إذ إليها ينتهي الفضل، وعندها تقف الرغبة))(6)، وللكتابة مكانة عالية عندهم، فقد ((اتخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - عدد من الكُتاب قدرتهم بعض المصادر بما يزيد عن ثلاثين كتاباً))(7)، وتميزت كتابتهم بوضوح المعنى، والبيان وبلاغة الألفاظ، وكذلك كان الخلفاء الراشدين حريصين على الكتابة الانشائية والرفع من شأنها، والالتزام بقواعد الكتابة، والرقي بالكاتب، وصاحب القلم المستنير؛ لذلك كثر المديح في كاتب الإنشاء، فقال الزبير: ((الكتّاب ملوك وسائر الناس سوقة، وقال ابن المقفع: الملوك أحوج إلى الكتّاب من الكتّاب إلى الملوك))(8)، وهنا يتضح أن الإنشاء في الزمن القديم لها أهلها وذويها، واتضحت معالمها لديهم، واستخدمها كبار القوم، ورسمت أماكن مواطنهم وحركاتهم وقصائدهم، وصورت مُدنهم، وسجلت دواوينهم المتعددة، فشاركت أهل العلم في ثقافتهم وعلومهم المختلفة، وكذلك كان الكاتب قريباً من الخليفة يسجل يومياته وعلاقاته مع الولاية الأخرى، وقد عرّف القلقشندي (ت:821 هـ) كتابة الإنشاء بأنها: ((كل مرجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام، وترتيب المعاني مع المكاتبات والولايات والمسامحات والإطلاقات، ومناشير الإقطاعات، والهدن والأمانات، وما في معنى ذلك ككتابة الحكم ونحوها))(9)، حيث اختصت الإنشاء في تسجيل يومياته في العمل وشؤون الدولة ومؤسساتها، وكان الديوان يهدف إلى كتابة ما يمليه الخليفة، وصياغة العبارات المناسبة والخطابات بين الدول وكان الناشئ كالمتحدث الرسمي باسم الخليفة أو الأمير، والتراث العربي حافل الصفحات بالكتابة العربية والاهتمام بالإنشاء في مستوياته المتعددة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ((ولا

شك أن تعريف القلقشندي السابق يدل على أن ديوان الإنشاء وصل إلى مرحلة النضج والاكتمال في معناه ومبناه في القرنين الثامن والتاسع الهجريين))(10)،وازدادت أهمية الكتابة في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم- حيث تشهد الحضارة الإسلامية مجالاً واسعاً في الكتابة والاهتمام بأصحابها الأدباء، حيث أقسم الله بالقلم في قوله تعالى:{ن والقلم وما يسطرون}،وحث القرآن على القراءة والتعلم والكتابة في العديد من الآيات القرآنية، وفي سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم- وجدنا رسول الله أول من اتخذ كتاباً له في ظل الدولة الإسلامية،فقد ((كان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة ويكاتبونه، وكتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، وبعث إليهم رسله بكتبه))(11)، وهنا تبرز أهمية الإنشاء في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم- وبعدها ((بدأ الإنشاء يأخذ مساراً آخر في كتابة القضايا المالية والاجتماعية والسياسية، لذلك اتسعت رقعته في عهد الخلفاء))(12)، واستمرت الكتابة في عهد الرسول-عليه الصلاة والسلام- بأشكالها المختلفة المتمثلة في الرسائل وأسماء الملوك والكتابة في شؤون البلاد، حيث ذكر ((الحافظ بن عبد البر في بهجة المجالس: كتب لرسول الله –عليه الصلاة والسلام–-جماعة، وكان كاتبه المواظب على الرسائل والأجوبة والذي كتب الوحي كله زيد بن ثابت))(13)، وللكاتب شروط في عهد النبي –عليه الصلاة والسلام-((ما يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً وذكر فيها قصة زيد بن ثابت مع أبي بكر وعمر في جمع القرآن، وقول أبي بكر لسيدنا زيد: إنك رجل شاب عاقل قد كنت تكتب الوحي لرسول الله –عليه الصلاة والسلام- فتتبع القرآن وجمعه))(14)، وكان للرسول العديد من الكتاب، فمعاوية يكتب للنبي فيما بينه وبين العرب ((وكان الكاتب لعهوده –عليه الصلاة والسلام-إذا عاهد وصلحه إذا صالح علي بن أبي طالب))(15)، ومن وجهة نظر الباحثة كان لكاتب الإنشاء قيمة متميزة في عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام- يحترم عقله، ويأخذ رأيه، وكان ذو كفاءة عالية بين العلماء والصحابة، فهو يدون قضاياهم بكلمات موجزة هادفة واضحة المعنى، ثم تطورت الإنشاء واتخذت مجالات عديدة في عهد الخلفاء، ((إذ كتب لأبي بكر الصديق عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وعبد الله بن خلف، وكتب مروان بن الحكم لعثمان بن عفان، وكتب لعلي بن أبي طالب عبد الله بن رافع وسعيد بن نجران الهمذاني))(16)، أما في العصر الأموي ((اتسعت رقعة الخلافة الإسلامية، وتعددت مراسلات الخليفة لعماله وولاته، فظهرت كتابة الإنشاء

بشكل جلي، وكان ديوان الإنشاء وقت الأمويين خليطاً من الكتاب العرب وغيرهم من الموالي والأجناس الأخرى، فأبو الزعيزعة مولى عبد الملك بن مروان، وروح بن زنباع الجذامي كان من كتابه المقربين، وبسبب المهارة الفائقة التي تمتع بها روح بن زنباع وجدنا عبد الملك بن مروان يصفه بإعجاب بأنه فارس الكتابة))(17)، وبدأ الخلفاء في العصر الأموي يرفعون من مقام كاتب الإنشاء ((فكان عبد الحميد يحي العامري(ت132هـ)الملقب بعبد الحميد الكاتب من أشهر كتاب الحضارة الإسلامية فيما بعد))(18)، وكان مقرباً من الخليفة مروان بن محمد ((بمنزلة الوزير له بجوار وظيفته الأساسية ككاتب للإنشاء والرسائل، ولمكانته العليا في هذا الميدان قيل فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد))(19)، وظلت الإنشاء تتبوأ المكانة العالية عند الأوائل، وأما أصحابها فهم يتميزون بالمراتب العليا في الخلافة، وهذا يدل على اهتمام العرب بالإنشاء وحاجاتهم إلى كتّابهم وموظفيهم .

نضجت كتابة الإنشاء في العصر العباسي، وأضيفت أشكال أخرى قريبة من الإنشاء مثل توقيع الخليفة أو كاتبه، وكان كتّاب الإنشاء يتنافسون في إبداع اللغة والرقي بها عن طريق الكتابة الإنشائية، ((ويعد عبد الحميد الكاتب أول من وضع القواعد العامة والسمات الرئيسية التي يجب أن تتوفر في كتّاب الإنشاء، وكذلك تطورت الإنشاء عن طريق التوقيعات، وقد بلغت هذه التوقيعات أقصى ما يمكن أن تملكه من اختصار وبلاغة، وكان البلغاء يتنافسون في تحصيل توقيعات جعفر ابن يحي البرمكي مسير شؤون الخلافة في عهد هارون الرشيد الذي كان على درجة عالية في أساليب البلاغة وفنونها حتى قيل أن كل توقيع منها كان يباع بدينار))(20)، وهكذا ازدهرت الإنشاء في العصر العباسي ازدهاراً كبيراً، وأصبحت تتنافس الأقلام من حولها فاتسعت مجالاتها اللغوية، وكثرت أشعارها ونوادرها الأدبية، وصارت بلسماً للخليفة، ورفعة لكتابها، وسجلت رحلة قلم في أفكارهم ومبادئهم، ((وكثيراً ما رأينا احترام الخلفاء لكتاب ديوان الإنشاء والرسائل للخليفة المأمون، ومع تمكنه في تصريف شؤون

ديوانه، وقدرته على الارتقاء بهذا النصب، فإن الخليفة المأمون قد عينه في منصب الوزارة بعد أحمد بن القاسم))(21) لجودة كتابته الإنشائية، وحسن عبارته الإملائية، ولذلك ((اشتهرت الخلافة العباسية على مدى ستة قرون بكبار الكتاب الذين كان لهم شأن مرموق في ظل هذه الدولة العظمى))(22) التي اشتهرت ببلاغة الكلمة، والرقي باللغة العربية بصفة عامة، والإنشاء بصفة خاصة، ومن أشهر كتّاب

الإنشاء الجاحظ حيث تولى رئيس ديوان الرسائل في عهد الخليفة المأمون، وهو المعلم الأول في الإنشاء، ((وكذلك الكاتب محمد بن عبد الملك الزيات الذي اشتغل كاتباً في دواوين الدولة العباسية عند المأمون، وأصبح وزيراً في عهد المعتصم، وكذلك ابن قتيبة صاحب كتاب أدب الكاتب وكتاب الشعر والشعراء))(23)، وهؤلاء الكتاب تميزوا بجمال العبارة وحسن البلاغة، فأثبتوا عمق اللغة العربية ويسر معانيها، وتجدد فروعها اللغوية بتجدد الزمان والأجيال.

أصبح ديوان الإنشاء من أهم المؤسسات أو الدوائر الحكومية بالدولة يعتمد عليه في تنظيم المراسلات والتوقيعات والخطب الموجزة والعبارة التي تحمل المعنى في ألفاظها حتى اتسعت مجال الإنشاء، فأصبحت دائرة حكومية منظمة، ويكون رئيس الكتابة متميزا بقلم مضيء بالتعبير، ومجيد في اللغة، وندرك ذلك في دولة المرابطين والمماليك، حيث كانت العناية المتميزة في ((تخير كتّاب ديوان الإنشاء، فلم يكن يتولى ديوان الإنشاء إلا أجلّ كتّاب البلاغة، فكان يسلم المكاتبات الواردة، فيعرضها على الخليفة من بعده، وكان كاتب الإنشاء أول أرباب الإقطاعات وأرباب الكسوة والرسوم والملاطفات، ولا يجتمع بكتّابه إلا الخواص))(24)، وهذه القيمة أعطت حباً للقراءة والكتابة والتعرف على أسرار اللغة العربية وقوة ألفاظها وبلاغتها، ومكاناً للتنافس الراقي بين أفرادها المتميزين حتى يصلوا إلى أعلى المراتب بفضل كتابة الإنشاء، ((ومن أشهر كتّاب ديوان هذا العصر يأتي القلقشندي صاحب الموسوعة الجغرافية والتاريخية والإدارية (صبح الأعشى في صناعة الإنشا))(25)، وأختم دراسة الإنشاء في القديم بأقوال ذهبية للقلقشندي في وصف كاتب الإنشاء في كتابه (صبح الأعشى) قائلاً: ((يجب أن يكون صبيح الوجه فصيح الألفاظ طلق اللسان، أصيلا في قومه، رفيعاً في حيّه، وقوراً حليماً، مؤثراً للجد على الهزل، كثير الأناة والرفق، صائب الآراء))(26.(

إن ديوان الإنشاء في العصر الإسلامي حقق تقدم في الحضارة الإسلامية، وصاحب القلم عند الخليفة محبوب، يُحترم عقله وعلمه، ويتبوأ أعلى مراتب الدولة، وأما الإنشاء في العصر الحديث، فقد أخذت اتجاهات متعددة نذكر منها المقالة، والقصة القصيرة والرواية،والخاطرة، وقصيدة النثر، وأصبحت الكتابة الإنشائية أكثر اهتماماً من الفنون الأخرى، فحضنت الصحافة أقلام الكتاب في كتابة المعرفة المتنوعة، فهناك المقالة الاجتماعية والتاريخية والسياسية والاقتصادية، وأضاءت الكتابة الإنشائية طرق التعبير، وإثراء اللغة العربية في توصيل العلم

للقارئ في مختلف المستويات التعليمية، فهناك الصحف المتعددة في الوطن العربي ((كجريدة الأهرام صدرت سنة 1876م، وجريدة الوفاق سنة:1930م، وأخبار اليوم سنة: 1939م))(27)، وكانت الصحف تتسارع في خروجها معتمدة على الكتابة الإنشائية في أغلب موضوعاتها، وتوالت الحركة الفكرية التي عمت الوطن العربي بالأخبار اليومية والشهرية، ((كما كانت الصحف تتسابق في احتكار أكبر عدد ممكن من الكتاب المشهورين، وأصحاب الأسماء اللامعة في دنيا الأدب، وعن هذا الطريق تسللت الصحافة إلى مجتمعنا المحافظ المتماسك بتقاليده إلا أنها كانت تتجاوب مع ثقافته وذوقه))(28)، حتى أن العديد من الكتاب والأدباء على الكتابة الصحفية، ويدينون بشهرتهم للصحافة مثل((كتاب حديث الأربعاء لطه حسين، وحصاد الهيثم للمازني، وحياة محمد لحسين هيكل، وغير ذلك لكثير من كتّاب العرب))(29)، وكانت الصحافة منبر الاتصال بين أبناء الوطن العربي، ((ولقد لعبت الصحافة دوراً كبيراً في تطوير الحياة الأدبية كما أنها حددت المفهوم الأدبي للحياة الفكرية، كما أنها رسمت وخططت مستقبل الكتابة على مدى العصور والأزمان))(30)، وأصبحت الكتابة الإنشائية تأخذ مساحة كبيرة في الصحف والمجلات، وتقود الأفكار العلمية والأدبية والتقارير المتعددة الأغراض تحت اسم الصحيفة أو المجلة، وكذلك كانت الصحف تتبادل بين أقطار الوطن العربي، فهناك الصحف المصرية والعراقية والأردنية، وكذلك الصحف المغربية والليبية، و((صدرت في ليبيا الصحافة منذ 1866م، حيث برزت (طرابلس الغرب) ثم بعد ذلك (الفنون)، و(الترقي)، ولكن نستطيع أن نؤكد أن ازدهار الصحافة في ليبيا أو عصرها الذهبي كان في الفترة الواقعة سنة 1808م حتى سنة 1911م))(31)، وهذا النشاط الثقافي مكن القارئ بمستوياته المختلفة أن يقرأ ويتابع الأخبار المتنوعة، فأصبح قارئاً واعياً يعرف ما يدور حوله بفضل الصحافة، ((كما هيأت الصحافة في ليبيا الفرص لخلق نشاط أدبي، وإفساح المجال أمام الأقلام حتى أوجدت سوقاً فكرياً))(32) متنوعاً في الكتابة الإنشائية.. وغيرها، ((ذلك أن الأديب كان يجد في الصحيفة ما يشبع حاجته، ويؤمّن له كل ما يصبو إليه من تعبير عن آراءه وتطلعاته نحو مستقبل أدبي))(33)، وهكذا عبرت الكتابة الإنشائية بمراحل مختلفة عبر العصور، وأثبت جدارتها في القديم والحديث حتى وقتنا الحاضر .

الفصل الأول: أهمية الإنشاء في المراحل التعليمية

المبحث الأول: التعليم الأساسي والثانوي

المبحث الثاني: التعليم الجامعي وكتابة البحث العلمي

تعد الإنشاء إحدى الدعائم الهامة في العملية التعليمية، فهي فيض من التعبير عن الخواطر والمشاعر الإنسانية عند المتعلم، وكذلك تصور ((مدى انعكاس ما يراه أو يسمعه بعبارات فيها ألفاظ تُحدد، وأفكار توضح، ومعان تترجم ما ينتج في صدر من عواطف ومشاعر وأحاسيس))(34) تختلف من شخص إلى آخر، ومن تعبير لأخر، والإنشاء هي فرع من فروع اللغة العربية، لها أهميتها في التعليم، وتختص بمعلم اللغة العربية بشكل خاص، ومعلم المواد الأخرى بشكل عام، حيث تدرس في المراحل التعليمية المختلفة، ويطرق الطلاب أبوابها، تنوع موضوعاتها الإنشائية، لذلك سأتحدث في المبحث الأول عن تعليم الإنشاء في التعليم الأساسي والثانوي وأبرز آثاره العلمية والتربوية في العملية التعليمية، وفي المبحث الثاني أوضح أهمية الإنشاء في التعليم الجامعي خاصة في المراحل الأولى في الفصل التمهيدي أو دراسة المواد العامة بشكل عام في العملية التعليمية، وما الفوائد العلمية التي يجنيها الطلاب من تعليم الإنشاء في دراساتهم العلمية، ولتفصيل ذلك ما يأتي:

المبحث الأول: التعليم الأساسي والثانوي

مرحلة التعليم الأساسي:

يدخل الإنشاء في العملية التعليمية في السنوات الدراسية في مادة اللغة العربية على شكل تعبير في أسطر محدودة في الصف الرابع والخامس والسادس، وغالباً ما يكون متصلاً بالدرس اتصالاً مباشراً حتى يتمكن التلميذ من ترتيب مفرداته، وزيادة رصيده اللغوي والمعرفي في اللغة العربية إلا أنه في الصف السادس يمنح الطالب الموضوعات التي تتميز بالسهولة واليسر في التعبير عنها، فترتبط بحياته اليومية وبطفولته، والطالب يواجه الكثير من العقبات في كتابة موضوع التعبير بمفرده في السنوات الأولى من الدراسة، ويحتاج إلى المساعدة لاختيار موضوع التعبير، ويحاول المعلم مساعدته والأخذ بيده في كيفية التفكير، ووضع الكلمة المناسبة، وكذلك يصنف التعبير إلى شفهي وكتابي، والتعبير الشفهي يعبر عن موضوعاتهم البسيطة بشتى الطرق تارة بالحكاية وتارة أخرى بالكتابة، وكذلك كتابة ما يحدث بينهم في الكراسة مباشرة داخل الحصة، فلا ينتظر المعلم نتائج التعبير بعد العودة من المدرسة أو كواجب منزلي بل الأفضل أن يهيئ للتلاميذ الأجواء المناسبة والوقت للكتابة في الفصل، وحتى يرى النتائج

مباشرة دون أن يعتمد على مساعد آخر خارج الفصل كأسرته مثلاً، ثم يطور التعبير عن طريق تركيب الكلمات تارة وبالكتابة التحريرية تارة أخرى، وخلق روح التنافس بين أخطائهم ويعالجها، ومن وجهة نظري أفضل أن يشاهد التلميذ بعض المناظر ويعبر عنها مباشرة كمنظر الطبيعة وغيرها، فالتعبير الشفهي والتحريري هما النواة الأولى لزرع دعائم مادة الإنشاء فهي:

1 -تُكسب التلاميذ الثقة بالنفس عن طريق التعبير الشفهي .

2 -الزيادة في المعرفة الفكرية واللغوية والأدبية حتى يتمكن من الحفظ والإلقاء.

3 -من وجهة نظر الباحثة أفضل الرسم مع الكتابة في موضوع التعبير حتى يشعر التلميذ بجمال كراسته ونظام خطه وإبداع فكره.

4 -تشجيع التلاميذ وبقوة عند كتابة الموضوعات التعبيرية حتى نغرس التنافس الشديد فيما بينهم .

وخلاصة القول: إن التعبير في مرحلة التعليم الأساسي ((أهمية كبيرة تبرز من خلال نشاطاته وتفاعله مع أبناء مجتمعه، ولا غنى له عن التعبير، فهو بحاجة إليه في كل لحظة من حياته، وحاجته إليه كحاجته إلى الهواء والماء والطعام، ما هو ضروري لاستمرار حياته، ليس هناك على وجه البسيطة من لا يمارس التعبير))(35)؛ لأن حياته المستقبلية ترتكز على الحوار، والاختلاط مع الأفراد الأخرين في مختلف المستويات، وكذلك الكتابة التعبيرية تحتاج الى التدريب والممارسة للكتابة منذ المراحل الأولى من الدراسة حتى نضمن نجاحها.

يتطور التعبير في مرحلة التعليم الأساسي بتطور الموضوع وطريقة كتابته، وتنظيم أفكار الطالب، فالمعلم الماهر يجعل الموضوع الانشائي براقاً، ويرتب طريقة التعبير عند الناشئين، ويقف عند الأخطاء، ويبحث عن رفع المستويات التعبيرية، ((وجعله أكثر قدرة على التعبير عن نفسه بشكل سليم يخلو عن العيوب والأخطاء اللغوية والأسلوبية، ويصبح أكثر مراساً على التفكير المنطقي المتسلسل، وله القدرة على تنظيم الأفكار وعرضها، واستثمار خياله في صياغة المقدمات المناسبة، ونتائج الصياغة من التفكير بأسلوب فني مهذب ومصقول في اللغة والعبارة))(36)، وتكرار العملية التعليمية في مراحل الابتدائي والإعدادي يشكل بداية نجاح الأنشاء وانطلاقه في تخصص المراحل الثانوية؛ لذلك أرى ان الأنشاء او التعبير في المراحل الأولى محتضنة مع منهج اللغة العربية والتربية الإسلامية يرتوي من القراءة والحفظ والكتابة

للوصول الى المرحلة الثانوية بداية النضوج الفكري.

المرحلة الثانوية :

تدخل الأنشاء في المراحل المتقدمة وهى المرحلة الثانوية؛ حيث يعتمد عليها في التعبير على الجوانب الأدبية والعلمية في حياة الطالب الدراسية، ولذلك تحتاج المرحلة الى التركيز والتكثيف في الموضوعات الانشائية، ومن وجهة نظري اقترح انشاء منهج خاص اسمه (الأنشاء التعليمي) يحتوي على الموضوعات التي تناسب المرحلة الثانوية بالتخصصات العلمية والأدبية بحيث يستطيع الطالب الاطلاع على كيفية تنظيم الكتابة وتحليل الموضوع، وطرق أبواب جديدة في الفكر والمعرفة، ففي السنة الأولى من المرحلة الثانوية تدرس الانشاء مع اللغة العربية كعادتها في السنوات الماضية بشكل مستفيض في دراسة قواعد الانشاء الموضوعية والفنية في الكتابة، والتعلم في كيفية كتابة أسم المصدر او المرجع للكتاب مثل: تعلم علامة الترقيم وشروط الكتابة الاملائية، وكيف يعبر الطالب عن مشاعره، وكيف يلخص قصة او كتاب ويتدرب على القواعد السابقة ثم يبدأ تطبيقها في عملية الكتابة الانشائية وتأتي مرحلة التخصص في السنة الثانية ثانوي، وهى المرحلة التي نعول عليها في عملية البناء المعرفي، ويتخصص الطالب فيها التخصص العلمي او الأدبي، ولدي رؤية منهجية في هذا الجانب وهى الاتي:

أ- التخصص العلمي :

يحتوي التخصص العلمي على العديد من المواد العلمية كالفيزياء والأحياء، وغيرها من المواد الدراسية، وهذه المواد تحتاج الى الكتابة العلمية والتقريرية في بعض الأحيان، ويعجز الطالب عن كتابة تقرير بسيط وهو في التخصص العلمي، ومن أسبابه: عدم قدرته على توصيل أفكاره للأخرين، ضعف القدرة اللغوية والمفردات العلمية للكتابة، ولحل هذه المشكلة هي التعبير الانشائي في المواد العلمية، بحيث يخصص لكل مادة علمية ملحق بالمنهج يتناول المعلم بطرح الموضوع، ويعيد الطالب كتابته كتقرير علمي، وإلقائه شفهياً أمام الأخرين، وذلك باستمرار ما يعادل حصتين في الأسبوع، والغاية من ذلك ممارسة الطالب العملية الإنشائية على المواد العلمية، تمده قوة التفكير، وإجادة التعبير ونشر أفكاره بين زملائه في كل حين، ويصبح الإنشاء نبراساً للتخصص العلمي.

ب- التخصص الأدبي :

تشهد الكتابة تطوراً واضحاً في حركة الحياة العلمية والتعليمية المتمثلة في الصحف والمجلات والكتب المنهجية

والأبحاث والمؤتمرات العلمية، وهذه المعارف تعتمد على الكتابة بشكل واضح ومتميز، ومن وجهة نظري أرى أن للإنشاء دورا كبيرا في صناعة الكتابة وتطويرها بأشكال مختلفة في الجانب الأدبي، وعندما ننظر إلى كيفية صناعة فكر الإنسان في الكتابة الأدبية نجد أن للمعلم دورا بارزا في صنع الإطار التعليمي في مجال الإنشاء حتى يستطيع استقطاب التيارات الأدبية المختلفة.

حيث يتعلم الطالب كيفية كتابة الموضوع، واختيار الموضوع القريب من حياته، وينسق الفكرة، ويحسن تقسيمها من المقدمة إلى الموضوع ثم الخاتمة، ولا ننسى الاستدلال العلمي أو القرآني أو الشاهد الشعري في موضوع الإنشاء حتى يثري النص، ويغذي الطالب فكرياً ونفسياً واجتماعياً، وعلاقة الإنشاء بالتخصص الأدبي متينة، يمكن توضيحها بإيجاز كالآتي :

1 -علاقة الإنشاء باللغة العربية :

إن الإنشاء يعمل على غذاء فروع اللغة العربية، ويقوم بالتطوير شأنه شأن علم النحو والصرف والبلاغة والأدب والنصوص، وهذه العلوم جلها تصب في علم الإنشاء.

حيث يستطيع الطالب أن يكتب الموضوع باللغة العربية الفصحى، ويبتعد عن مخاطر الأخطاء اللغوية، وقد يملك الطالب موهبة البلاغة، فيزين موضوعه أو مقاله بالطباق أو الجناس أو التشبيه حتى يقرب المعنى للقراء، وتخدم اللغة العربية علم الإنشاء في كتابة الشعر الفصيح مثل الشاهد على أقوال الطالب الذي نسج سطوره نسجاً متيناً بعيداً عن اللهجة أو الكتابة التقريرية، وقد يكتب الطالب الموضوع في قالب قصصي جميل وفق شروط كتابة القصة الفنية القصيرة أو قصة الومضة، أو القصة الطويلة (الرواية)، أو المسرحية، وهنا يأتي دور المعلم في توجيه الطالب – كيف يكتب وماذا يكتب؟ وكيف تتميز كتابة الطالب عن الآخر؟

إن الإنشاء واسع يتحد مع اللغة العربية عن طريق استخدام أدوات اللغة العربية في موضوع الإنشاء حتى تخرج الرؤية الأدبية واللغوية للآخرين بشكل صحيح.

2 -علاقة الإنشاء بالقرآن الكريم :

إن القرآن الكريم حافل بالآيات المؤثرة على النفس البشرية بمختلف أنواعها وزمانها وسلوكها، فهو شاهد متين على أهمية اللغة العربية واستقرارها، وعظمة مكانتها في الدنيا والآخرة، وللمزيد من التوضيح نتابع ما يأتي :

أ - الدليل القرآني في الموضوع الإنشائي دور فعال للعملية التعليمية، وترسيخ القيم والأخلاق السامية عند الطالب.

ب - عندما يتمكن الطالب من كتابة الموضوع نضمن سلامة اللغة وإضاءة الفكرة قد يصبح الطالب خطيباً في المسجد، لذلك من واجب المعلم أن يرشد الطلاب على الطريقة الصحيحة للتغلب على الصعوبات في الكتابة أو القراءة وخير دليل على ذلك قدوتنا سيدنا ورسولنا محمد –عليه الصلاة والسلام-في الكلام الفصيح، والخطابة البلاغية الرائعة، والصحابة (رضي الله عنهم).

3 -علاقة الإنشاء بعلم الاجتماع:

أصبح علم الاجتماع علماً هاماً في حياة الإنسان، والتخصص الأدبي يعد مادة علم الاجتماع ركناً من أركان العملية التعليمية، فهو يتحدث عن المجتمع بأبعاده المختلفة من الفرد والأسرة والمجتمع، والقيم الاجتماعية والعادات والتقاليد التي تختلف من مجتمع لآخر، فكيف يتم توصيل الفكرة أو الآثار الاجتماعية للآخرين؟ ويعبر الطالب في بحثه أو ورقته عن أهمية علم الاجتماع عن طريق الكتابة الإنشائية، فإذا نمت قدرته الفكرية للموضوع استطاع قلمه أن يكتب عن أهداف علم الاجتماع وأسسه ونظرياته، وهذا لا يتحقق إلا بفن الإنشاء الذي يقترب من العلوم الأخرى، ويكون في خدمتها، وهناك نماذج متنوعة للمفكرين والبحاث في ذلك نذكر على سبيل المثال ابن خلدون في مقدمته.

4 -علاقة الإنشاء بعلم التاريخ :

كيف تكتب التاريخ؟ وكيف نقرأ التراث؟ إنها القراءة التي تمتعنا بعالم الزمن الماضي بأساطيره وملوكه ودول قادت دول أخرى، فإذا استنارت الفكرة عند الطالب لا يفكر كيف يعبر عنها، بل يسترسل في موضوعه؛ لأنه يملك أداة الكتابة اللغوية والإنشائية، ويجعل الطالب الموضوع جميلاً إذا ملك سطوره، وعرف أغوار مضمونه.

5 -علاقة الإنشاء بالجغرافيا:

إن تصوير الواقع والمدن وخرائطها وحياتها الاقتصادية والبيئية والطبيعة تتصل بالإنشاء؛ حيث أن الطالب يكتب مذكرات جغرافية مختلفة أو مقالات علمية في الموضوع، والحقيقة أن هناك العديد من الطلاب كثير الحفظ والفهم، ولكن أيديهم تفتقر إلى الكتابة الموضوعية الجميلة المشوقة، والسبب هو اختفاء موهبة الكتابة لديهم، ولا يستطيع كتابة ما قرأه أو حفظه، والمعلم الناجح هو الذي يستطيع التغلب على الصعوبات التي تواجه الطالب.

6 -علاقة الإنشاء بالتربية الوطنية :

إن مادة التربية الوطنية غنية بالتعبير، ففيها يبرز الطالب حب الوطن بمقاييسه التربوية والنفسية والاجتماعية، ويحكي فيها لغة الانتماء للوطن الذي تترعرع في أرضه، وتعلمها في المدارس، واكتسب القيم والأخلاق في بيته، ولمادة التربية الوطنية مكانة عالية عند الطالب؛ حيث يسبح بقلمه إلى عالم عشق الوطن، وحب القيم السامية المرتبطة به، وهذه الأمور لا تتحقق إلا بالكتابة الإنشائية.

7 -علاقة الإنشاء بعلم النفس :

علم النفس يدرس الظواهر النفسية والسيكولوجية المحيطة بالإنسان، ويدرس علم السلوك وأنماطه، وما يحيط بالإنسان من مشاعر داخلية أو خارجية، وما يرتبط بالإنشاء؛ هو أن الإنشاء يجعل الطالب يكتب باتساع في الموضوع، وينظم فقراته، ويملك منطق الإيجاز أو الإطالة، وكذلك يصور نماذج سلوكية قريبة، والإنشاء تحتوي التخصص بالكتابة النظرية، وتروي الطالب بالتعبير الشفهي والحوار، وقد تخلصه من بعض العقد النفسية المحيط به.

المبحث الثاني: التعليم الجامعي وكتابة البحث العلمي:

يلتحق الطالب بالدراسة الجامعية في التخصص الذي يرغب الدراسة والبحث فيه، وعن طريق الدراسة يبدأ في كتابة الأبحاث الجامعية في مختلف التخصصات ويتغير مفهوم الإنشاء إلى كتابة البحث أو التقرير العلمي، لذلك نرى العديد من الطلاب يعجزون عن الكتابة بسبب الضعف الفكري والمعرفي للموضوع أو العجز عن ربط المصادر أو المراجع بعضها ببعض، وغياب اللغة ومفرداتها الجميلة عن الكتابة ، فيأتي البحث ضعيفاً في صياغته وطريقة عرضه، ولا نستطيع علاج المشكلة التي تطورت عند الطالب، ورافقته في التعليم الأساسي أو الثانوي، والعجيب أنه يدرس مادة اللغة العربية في كل سنواته الدراسية ولم يخرج بالنضوج الفكري واللغوي والكتابي، وتظهر آثار الضعف في مستواه الجامعي بشكل واضح، ويعتمد على إنشاء البحث بطرق خطيرة منها: البحث الجاهز من المواقع الالكترونية، أو السرقة العلمية، أو لصق هنا ونسخ هناك، ولا يستطيع الطالب إصلاح أموره العلمية.

خلاصة القول:

إن صناعة الكتابة الإنشائية فن جميل، وصياغة تخدم الطالب عند الدراسة وبعدها؛ لأن الكتابة تمكن الطالب أن يكتب سيرته الذاتية، وتقديم كتابة الطلب

عند البحث عن العمل، وهي باب التواصل في المؤسسات الحكومية والاجتماعية والثقافية، وتحتاج إلى تصور في المنهج، وتأهيل المعلم والطالب للقضاء على أفات الكتابة، والتعبير الشفهي المتعثر عند الطالب أو المعلم، لذلك نحتاج إلى تطوير منهج الإنشاء بكل مستوياته العلمية والمنهجية، لأن ((للبحث العلمي أهمية قصوى في حياة الأمم وحضارة الشعوب، فهو طريق الأجيال نحو تحقيق غدا أفضل، وهو معبر الدول من التخلف والتخبط والعشوائية إلى التقدم والتخطيط والتنمية))(37)، والاستقرار بكل أبعاده المختلفة.

الفصل الثاني: علاج الضعف في الكتابة الإنشائية

المبحث الأول: دور المعلم في مادة الإنشاء

المبحث الثاني: الطالب ومادة الإنشاء

في هذا الفصل نحاول وضع الصورة المثلى للتحقيق النجاح النظري والتطبيقي في الكتابة الإنشائية، حيث نتحدث في المبحث الأول عن دور المعلم في مادة الإنشاء سواء أكان معلم اللغة العربية أم غيرها، وهذا الدور يأخذ طرق التدريس، والوسائل التعليمية، والتعبير الشفهي والتحريري، أما المبحث الثاني يتحدث عن الطالب وقدراته اللغوية والفكرية، وكيف يكتب موضوعه، أو كيف ينطلق بأفكاره التعبيرية من الفصل إلى خارجه، ونوضح ذلك في الآتي:

المبحث الأول: دور المعلم في مادة الإنشاء:

للتميز في مادة الإنشاء على المعلم أن يغرس في نفس الطلاب حب القراءة والمعرفة، وذلك بأن يرشدهم إلى الكتب الهامة والمتميزة حتى تكون عوناً لطلابه، وينظر إلى الموضوعات الإنشائية التي يرغبون في التعبير عنها، ويرسم المنهج الذي يريد السير عليه في العطاء، ويمكن تلخيص ذلك فيما يأتي :

1 -الموضوع الإنشائي :

اختيار الموضوع الجيد والقريب من رغبة الطالب يشكل نجاحاً كبيراً في العملية التعليمية، فعلى المعلم أن ينظم الفكرة والموضوع، ويرسم المقدمة وسط الموضوع ثم الخاتمة، وينطلق في التعبير عن الموضوع، ويكون تقسيم الدرس إلى حصتين يوم للتعبير الشفهي والآخر للتحريري، وقد يواجه المعلم مشاكل متعددة في الحصة، كضعف مستوى الطالب، وعدم المشاركة في الموضوع، وعليه أن يتبع طرق التشويق والإثارة في الفصل حتى يضمن مشاركة الأغلبية، وحدث مرة أنني وجدت تراجعاً واضحاً في حصة الإنشاء فغيرت الموضوع، ولمست

النجاح والنشاط في الموضوع الجديد، اقترحتُ على الطالبات موضوع الألوان وأهميته في الحياة العامة والخاصة، وقسمتُ الموضوع إلى فقرات منها الألوان والطبيعة، الألوان والطعام، الألوان وأثره في النفس البشرية، فكانت النتيجة التفاعل والنشاط مع الموضوع، وسأقدم ملحق يثبتُ ذلك في آخر البحث؛ وهكذا فإن تنوع الموضوعات الأدبية والعلمية تصقل موهبة الطالب، وتنمي قدراته الفكرية، ويصبح قادراً على الكتابة، والإلقاء في مستقبل حياته، ويستطيع المشاركة في المؤتمرات العلمية، والكتابة في المجلات الأدبية والعلمية والإعلام، ومختلف الوسائل الأخرى، وتقترح الباحثة بإنشاء منهج حديث يشمل مادة الإنشاء للتخصص العلمي والأدبي، وتبرز فيه القواعد المتبعة في الإنشاء عامة حتى يتمكن الطالب من ممارسة الإنشاء الشفهي والتحريري بالطرق الحديثة.

2 -طرق التدريس :

تختلف طرق التدريس من مادة إلى أخرى، لكن في مادة الإنشاء توجد عدة طرق للبحث وتشويق الطالب للموضوع، فقد تكون عن طريق المشاهدة البصرية، بأن يشاهد منظراً خلاباً ثم يعبر عنه، أو عن طريق السمع (البرامج الصوتية أو الإذاعية) بحيث يسمع عن موضوع معين ثم يطلب المعلم من الطلاب الكتابة التحريرية في نفس الموضوع أو التحدث بالطريقة الشفهية، وبث روح الحوار الإيجابي بينهم، أو يعرض الموضوع على شكل مسرحية تدخل السرور في نفس الطلاب، ثم يكتبون الفكرة المراد إيصالها، والحقيقة أن الإنشاء تتمتع بالمرونة؛ حيث تشمل المواد العلمية والأدبية، وفي رأيي يكون المعلم حريصاً على التواصل مع الطلاب في موضوعه، والاهتمام بالجانب الشفهي عن طريق النقاش الذي يتسم بالهدوء وغرس الثقة بالنفس عند الطالب، والكتابة التحريرية تشمل تدريب الطالب على الكتابة الصحيحة الخالية من الأخطاء اللغوية، والابتعاد عن الكتابة العامية والأخطاء الإملائية، لذلك يعد دور المعلم كبيراً، والأفضل أن تقام للمعلم دورات تدريبية بين الحين والآخر في الخصوص .

المبحث الثاني: الطالب ومادة الإنشاء:

الطالب هو محور الموضوع، والبذرة التي تنمو وتترعرع في حضن التعليم حتى تعطي ثمارها للمجتمع، وعلى المعلم أن يمارس كل الوسائل التعليمية المتاحة أمامه حتى يستطيع الطالب النهوض بنفسه والاعتماد عليها، ويمكن تلخيص المبحث في المحاورين الآتيين:

1-كيف يكتب الطالب موضوعه؟

ينبغي للمعلم أن يدرب الطالب على الكتابة الصحيحة، وينمي قدراته في القراءة، فمثلاً يقدم للطالب عدة كتب مفيدة في الموضوع، ويطلب القراءة منها ثم مناقشتها، وكتابة الأفكار، والتعبير عن مشاعره تجاه الموضوع، ويتابع المعلم خطوات الطالب وطريقة أدائه التحريري حتى يستطيع التغلب على صعوبات الكتابة، والاستمرار في ذلك حتى يصل إلى طريقة النجاح، وإرشاده بالقواعد الإملائية لعلامات الترقيم، وتقسيم الموضوع إلى فقرات إلا أن هذه الكتابة ستقوده إلى الثبات والتقدم في حياته العملية، والتحدث أمام الأخرين، وتمنح الثقة بالنفس عند الطالب في السيطرة على الموضوع، والتغلب على الخجل والتأتأة وغيرها من مخارج النطق بالحروف، وتمنح الطالب كسب ثقة السامعين في حسن طرح الموضوع بأبعاده المختلفة، وتسير القراءة في إطارها الصحيح في التغلب على الأخطاء اللغوية والمفردات العامية، و((فن الإلقاء هذا يعني أننا أمام نتاج لغوي إنساني موجه إلى مجموعة أو مجموعات من الناس؛ أي أننا أمام ملق ومستمعين))(38)، ولذلك يجب العناية بهذا الفن الجميل عن طريق التعبير الشفهي.

2-مشاركة الطالب في المؤسسات التعليمية المختلفة:

ينطلق موضوع الإنشاء من داخل الفصل إلى خارجه، حيث تعمل المدرسة على النشاطات الثقافية المتنوعة، وتختار نخبة طلابية متميزة في القراءة الجهرية، وفي الكتابة التحريرية، ويشارك الطلاب مع أقرانه، والتعرف على الوسائل الجديدة في الأفكار والتعبير، وتكون على شكل ورش عمل بين الفصول أو معارض على مستوى المدارس، ويصبح دو المعلم كمرشد يرشد الطلاب إلى كيفية عرض الموضوعات للقصة أو المقالة أو الكتابة الصحفية أو المسرح، أو إلقاء موضوعات علمية،

وغير ذلك من مستجدات الأمور .

الخاتمة

توصيات الباحثة:

1- تنشئة المعلم تنشئة صحيحة في كيفية فتح آفاق القراءة والكتابة في جميع التخصصات الأدبية والعلمية.

2- دراسة الإنشاء وتطبيقها في فروع القسم الأدبي، ويكون النصيب الأكبر في اللغة العربية وكذلك في القسم العلمي.

3- تأليف منهج (الإنشاء التعليمي) وفق التخصص حتى يستطيع المعلم السير في الطريق الصحيح؛ فمثلاً تكون موضوعات الإنشاء في التاريخ وفق علم التاريخ،

وكذلك في علم النفس، وهكذا حتى يستطيع الطالب ممارسة الكتابة في المجال القريب إلى نفسه، وتكون الموضوعات مناسبة للتخصص.

1- المتابعة الدقيقة والهامة من إدارة التفتيش حتى نضمن نجاح الطريقة التعليمية وتطبيقها عند المعلم والطالب .

2- قيام (ورش عمل) مكثفة تتمثل في النشاطات الأدبية المختلفة، وإبرازها الإنشاء الذي يدور في التخصصات الأدبية المختلفة، فنضمن للمجتمع صلاح أبنائه، وتحول الكتابة التحريرية إلى تطبيق عملي يتحقق في نجاح العملية التعليمية، وهذا يزيد من الوعي والثقافة والتطور، وعدم التراجع في التخصصات الأدبية أمام التخصصات العلمية، وبذلك نكسب القدرات البشرية التي تدخل في قطاع الإعلام والصحافة، أما التخصص العلمي نحرص على الكتابة العلمية والتقارير الفنية، وطريقة عرض الموضوع، وتنظيم أفكار الطلاب في الكتابة التحريرية.

هذه رؤية للموضوع وأبعاده المختلفة، وقد جاءت هذه الملاحظات من خلال الخبرة في التعليم العام (الثانوي والجامعي)، وعن تطبيق بعض التجارب التربوية والتعليمية على الطلاب.

الهوامش:

ورقة بحثية قدمت في المؤتمر الثاني للمعلمين بتاجوراء 2019/2018

1. أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر للنشر، الجزء: 14، ص :
2. معجم المعاني الجامع، موقع الكتروني، الرابط. https://www.almaany.com/ :
3. معجم المعاني الجامع، المرجع السابق.
4. أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء اللغة العربية، بيروت: المكتبة التجارية الكبرى، 1969م.
5. أحمد الهاشمي، المرجع السابق.
6. راغب السرجاني، ديوان الإنشاء في عصر النبي والخلفاء الراشدين، موقع الكتروني، https://www.islamstory.com/.
7. راغب السرجاني، المرجع السابق.
8. راغب السرجاني، المرجع السابق.
9. راغب السرجاني، ديوان الإنشاء في عصر النبي والخلفاء الراشدين.
10. راغب السرجاني، المرجع السابق.
11. راغب السرجاني، المرجع السابق .

12. راغب السرجاني، المرجع السابق.
13. محمد عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة البنيوية المسمى التراتيب الإدارية، ص: 156 .
14. محمد عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ص: 156.
15. محمد عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ص: 156.
16. راغب السرجاني، ديوان الإنشاء في عصر النبي والخلفاء الراشدين.
17. راغب السرجاني، المرجع السابق.
18. راغب السرجاني، المرجع نفسه.
19. راغب السرجاني، ديوان الإنشاء في عصور الإسلام المختلفة.
20. راغب السرجاني، المرجع نفسه.
21. راغب السرجاني، ديوان الإنشاء في عصر النبي والخلفاء الراشدين.
22. راغب السرجاني، المرجع السابق.
23. راغب السرجاني، المرجع السابق.
24. راغب السرجاني، المرجع السابق.
25. طارق حرب، الجاحظ المعلم الأول في الإنشاء، جريدة الصباح، موقع إلكتروني، https://www.newsabah.com/.
26. أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الجزء الأول، ص: 173.
27. موسوعة ويكيبيديا، موقع إلكتروني، https://ar.wikipedia.org/.
28. محمد موسى، الصحافة الأدبية في ليبيا، مركز جهاد الليبيين، الطبعة: 1، السنة: 1999م، ص: 110.
29. محمد موسى، المرجع السابق، ص: 110.
30. محمد موسى، المرجع السابق، ص: 109.
31. مصطفى المصراتي، الصحافة نصف قرن، ص: 16.
32. عبد العزيز سعيد الصويعي، بدايات الصحافة الليبية، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ص:
33. محمد موسى، الصحافة الأدبية في ليبيا، ص: 109 .
34. محمد عيسى عبد المؤمن، مقال الإنشاء والتعبير، الرابط : https://www.abdulmumin.wordpress.com/
35. أبو حسن الرماحي، أهمية درس التعبير (الإنشاء)، الرابط : http://hashemi123.ahlamuntada.com/t7087-topic.
36. أبو حسن الرماحي، المرجع نفسه.
37. محمد عبد الغني ومحسن الحضيري، الأسس العلمية لكتابة رسائل الماجستير والدكتوراه، مكتبة الأنجلو المصرية، 1992م، ص:3.
38. محمد ماهر فهيم، فن الإلقاء، بنغازي: دار الكتب الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1990م، ص:17.

القراءات والمستشرقون

الشيخ محمد العاقب الطالب معزوز – موريتانيا

المقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي أرسله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد، فإن القرآن الكريم هو كتاب ختم الله به الكُتب، وأرسله إلى رسول ختم به الرسل، بدين شامل مخلد، ختم به الأديان؛ فهو دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض، وهو برهان الرسول وآياته الكبرى، يقوم في الناس شاهدًا برسالته، ناطقًا بنبوّته، دليلًا على صدقه وأمانته، وهو ملاذ الدين الأعلى يستند الإسلام إليه في عقائده وعبادته، وحكمه وأحكامه، وآدابه وأخلاقه، وقصصه ومواعظه، وعلومه ومعارفه، وهو عماد لغة العرب الأسمى، تدين له اللغة في بقائها وسلامتها، وتستمد علومها منه على تنوّعها وكثرتها، وتفوق سائر اللغات العالية به في أساليبها ومادتها، وهو أولًا وآخرًا القوة المحولة التي غيَّرت صورة العالم، ونقلت حدود المالك، وحولت مجرى التاريخ، وأنقذت الإنسانية العاثرة؛ فكأنما خلقت الوجود خلقًا جديدًا، لذلك كله كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، ومن سلف الأمة وخلفها جميعًا إلى يومنا هذا، وسيبقى هذا الاهتمام الكبير بكتاب الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هذا، وقد بدا هذا الاهتمام الكبير لدى المسلمين في أشكال مختلفة، فتارة ترجع إلى لفظه وأدائه، وأخرى إلى أسلوبه وإعجازه، وثالثةً إلى كتابته ورسمه، ورابعًا إلى تفسيره وشَرْحه إلى غير ذلك، ولقد أفرد العلماء كل ناحية من هذه النواحي بالبحث والتأليف، ووضعوا من أجلها العلوم، ودوَّنوا الكتب وتباروا في هذا الميدان الواسع أشواطًا بعيدة؛ حتى زخرت المكتبة الإسلامية بتراث مجيد من آثار سلفنا الصالح وعلمائنا الأعلام.

لكن هذا الاهتمام المتميز للمسلمين تجاه كتاب ربهم وما أحاطوه من عناية، لم يرق كثيرا من الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، ولهذا ما برح أعداء الإسلام - قديمًا وحديثًا - يتربصون بهذا الدين الدوائر، ويحاولون - ما وسعهم - الطعن به، والتشكيك فيه. لكن، هناك من لهم بالمرصاد، إذ دأب علماء هذه الأمة -

المتقدمين منهم والمتأخرين - على التصدي لهذه المحاولات التشكيكية، والرد عليها، والكشف عن زيفها وزيغها، والإبانة عن حقيقتها وغايتها، مستشهدين في ذلك بقوله سبحانه وتعالى: {وَيَأْبَى اللَّهُ إلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبة:32]

وقد جاء هذا العرض المتواضع لينظر في جانب من جوانب هجوم المستشرقين على ديننا الإسلامي، ويتمثل في موضوع " القراءات القرآنية والمستشرقين ."

المبحث الأول: تعريف القراءات والاستشراق

المطلب الأول: تعريف القراءات لغةً واصطلاحًا

أولاً: تعريف القراءة لغةً:

القراءات جمع قراءةٍ، وهي مصدر الفعل قرأ، يقال: قرأ، يقرأ، قراءةً، وقرآنًا بمعنى تلا فهو قارئٌ1، "وقرأ الكتاب قراءةً، وقرآنًا، تتبع كلماته نظرًا ونطق بها، وتتبع كلماته ولم ينطق بها ."2

قال ابن منظور: "ومعنى القرآن معنى الجمع، وسُمِّيَ قرآنًا لأنَّه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى: (إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) القيامة(17) أي: جمعه وقراءَته، (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي قراءته. قال ابن عباس رضي الله عنهما: فإذا بيناه لك بالقراءة، فاعمل بما بيناه لك... وقَرَأْتُ الشيء قرءانًا: جمعتُه وضَمَمْتُ بعضَه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قَرَأَتْ هذه الناقةُ سلىً قط، وما قرأت جنينًا قط، أي: لم يَضطمَّ رَحمُها على ولدٍ ."3

ثانيًا: تعريف القراءات اصطلاحًا:

عند الحديث عن تعريف القراءات لدى أهل الشأن نجد عدة تعريفاتٍ، ومن أبرزها هذه التعاريف:

1. قال ابن الجزري: "القراءات علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة ."4
2. وقال بدر الدين الزركشي: "القرآن هو الوحي المنزَّل على محمدٍ ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها، من تخفيفٍ وتثقيلٍ وغيرهما ."5
3. ويرى أحمد بن عبد الغني الدمياطي أن علم القراءات هو: "علمٌ يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات، والتجريد والتسكين، والفصل، والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال، وغيره من حيث السماع ." 6
4. أما عبد العظيم الزرقاني فيعرفها بقوله: "القراءات مذهبٌ يذهب إليه إمامٌ من أئمة القراء مخالفًا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات، والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في هيئاتها ."7
5. وقال عبد الفتاح القاضي: "هو علمٌ يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا، مع عزو كل وجه إلى ناقله ."8

وبالنظر في التعريفات السابقة يظهر أنها تدور حول محور واحد وأنَّ تعريف الإمام ابن

الجزري من أخصر وأجمع وأضبط التعريفات في القراءات، حيث يقول بعد

هذا التعريف: " والمقرئ العالم بها رواها مشافهةً فلو حفظ التيسير مثلاً ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه ممن شوفه به مسلسلاً لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة"9. ومن خلال ما سبق يتضح ما يلي:

1. أنّ مدلول القراءات يشمل ألفاظ القرآن المتفق عليها والمختلف فيها.
2. أنَّ المعتمد في تلقي القراءات هو السماع والمشافهة عمَّن أخذها سماعًا ومشافهةً عن شيوخه، مسلسلاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: تعريف الاستشراق

أولا: الاستشراق لغة:

عند النظر إلى لفظة "استشراق" نجد أنها مصوغة على وزن استفعال، ولوجدناها مأخوذة من كلمة شرق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه وجاء في "المعجم الوسيط" "شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت"10 وفي لسان العرب: شرق: "شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقاً: طلعت، واسم الموضع: المشرق... والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرّق ومغرّب، وشّرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق، وفي الحديث: " لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شّرقوا أو غّربوا".11

أما في اللغات الأوروبية فثمة تعريف آخر يدل على أن المقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافي وإنما الشرق المقترن بمعنى الشروق والضياء والنور والهداية. ويرى البعض أن كلمة استشراق لا ترتبط فقط بالمشرق الجغرافي وإنما تعني أن الشرق هو مشرق الشمس ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضياء والنور بعكس الغروب بمعنى الأفول والانتهاء.12

واللفظ ORIENT في الدراسات الأوروبية يشير إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية بكلمة " تتميز بطابع معنوي وهو Morgenland :وتعني بلاد الصباح، ومعروف أن الصباح تشرق فيه الشمس، وتدل هذه الكلمة على تحول من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التركيز على معنى الصباح الذي يتضمن معنى النور واليقظة، وفي مقابل ذلك نستخدم في اللغة كلمة Abendland وتعني بلاد المساء لتدل على الظلام والراحة".13

وفي اللاتينية تعني كلمة :Orient يتعلم أو يبحث عن شيء ما، وبالفرنسية تعنى كلمة Orienteer وجّه أو هدى أو أرشد، وبالإنجليزية Orientation ، و orientate تعني "توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر أو الأدب نحو اهتمامات شخصية في المجال الفكري أو الروحي. وبذلك يتبين أن مصطلح الاستشراق ليس مستمداً من المدلول اللغوي، بل من المدلول المعنوي لشروق الشمس التي هي مصدر العلم.14

ثانيا: الاستشراق اصطلاحا :

إن مفهوم الاستشراق (orientalism) يعني: "علم الشرق أو علم العالم الشرقي" وعّرف البعض الاستشراق أيضاً بأنه:

"ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته" وأحياناً يقصد به: "أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي والعرقي والأيدلوجي بين الشرق والغرب". ومرة يراد به: "ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب ."15

ويرى الطيب بن إبراهيم أن الاستشراق لا يعتبر تاريخاً أو جغرافيا فقط، ولا إنسانيا أو ثقافة فحسب، وإنما هو مجموع ذلك كله، فهو مكان وزمان وإنسان وثقافة. والحديث عن الاستشراق مرتبط ارتباطاً عضوياً وتكاملياً مع هذه العناصر الأربعة الأساسية، إذ لا بد له من مسافة زمنية ومساحة مكانية ونوع إنساني وإنتاج ثقافي وفكري ويرى أن الشرق الذي اهتم الغرب بدراسته والتخصص في ثقافته وتراثه، ليس هو الشرق الجغرافي الطبيعي، وإنما هو "الشرق الهوية" وهو محور ما استهدفه علم الاستشراق ومصدر العناية والاهتمام، فهدف الاستشراق هو معرفة "الشرق الهوية والتاريخ" المتمثل في الإسلام والمسلمين.

وبصفة عامة يمكن تعريف الاستشراق بأنه: "أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي، ومعرفي بين الشرق والغرب، ويستخدم دراسات أكاديمية يقوم بها علماء غربيين للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخ ونظم وثروات وإمكانات، سواء أكانت هذه الشعوب تقطن شرق البحر الأبيض أم الجانب الجنوبي منه، وسواء أكانت لغة هذه الشعوب العربية أم غير العربية "كالتركية والفارسية والأوردية" وغيرها من اللغات، لأهداف متنوعة ومقاصد مختلفة."

ومع أن مصطلح الاستشراق ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمان على تفاوت بسيط بالنسبة للمعاجم الأوروبية المختلفة، لكن الأمر المتيقن أن البحث في لغات الشرق وأديانه وبخاصة الإسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير، ولعل كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح استشراق، فنجد آربري في بحث له في هذا الموضوع يقول "والمدلول الأصلي لاصطلاح (مستشرق) كان في سنة 1638 وفي سنة 1691 وصف آنتوني وود صمويل كلارك بأنه (استشراقي نابه) يعنى ذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية. ويبرون في تعليقاته على Childe) Harold's Pilgrimage)يتحدث عن المستر ثورنتون وإلماعاته الكثيرة الدالة على استشراق عميق.

ويرى رودي بارت أن الاستشراق هو "علم يختص بفقه اللغة خاصة، وأقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه كلمة استشراق مشتقة من كلمة 'شرق' وكلمة شرق تعني مشرق الشمس16.

أما المفكر إدوارد سعيد فيعرف الاستشراق بأنه:" نمط من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه17 " ويرى د. رضوان السيد " ان الاستشراق يتناثر ويدخل في تخصصات متباينة كالتاريخ والسوسيولوجيا والأنثروبولوجيا والاقتصاد

والسياسة، ولم يعد هناك عالم واحد اسمه الاستشراق، بل هناك عوالم متباينة يحمل كل منها عنوان المجال الذي يهتم به، فإذا كانت مفاهيم الشرق والعالم الثالث والشرق الاوسط متباينة وغير علمية، فان مفهوم الاستشراق صار اليوم كذلك.

أما المستشرق فهو: "عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه.18

ويذكر المستشرق رودنسون أن كلمة مستشرق ظهرت في اللغة الإنجليزية نحو عام 1779م كما دخلت كلمة الاستشراق معجم الأكاديمية الفرنسية في عام 1838م وفيها تجسدت فكرة نظام خاص مكرس لدراسة الشرق19. ويعتمد المستشرق الإنجليزي آربري على قاموس اكسفورد الجديد المستشرق بأنه "من تبحر في لغات الشرق وآدابه"

ويرى كثير من الباحثين أن جيرار دي أورلياك الفرنسي هو أول من استشرق. أما الدكتور شكري النجار فيعرف المستشرق قائلا: "تطلق كلمة مستشرق بشيء من التجاوز على كل من يتخصص في أحد فروع المعرفة المتصلة بالشرق من قريب أو بعيد" 20. ويرى مالك بن نبي في مقال له تحت عنوان إنتاج المستشرقين يحدد مصطلح الاستشراق فيقول: "إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية"[24] وأن صفة مستشرق ينبغي أن تقتصر على من ليس شرقياً، لأنها تصف حالة طلب لشيء غير متوفر في البيئة التي نشأ فيها الطالب .

المبحث الثاني: دوافع الاستشراق

1_الدافع الديني :

هذا الدافع لا يحتاج منا إلى عناء وجهد لنتعرف عليه، فقد بدأ مع الرهبان، لأن هؤلاء كان همهم الوحيد هو الطعن في الإسلام وتشويه محاسنه باعتباره الخصم الوحيد للمسيحية، وأن هذا الدين لا يستحق الانتشار، وأتباعه قوم همج ولصوص وسفاكو دماء يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي.

ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين، وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى، فلم يجدوا خيرا من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة،وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في أوروبا،بعث ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام وكره لأهله، فاستغلوا هذا النفسي، وازدادوا نشاطا في الدراسات الإسلامية.

وهنالك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراستهم العلمية، وهم قبل كل شيء رجال دين، فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد

ثقافتهم من المسلمين،لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية،والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث.

2 _الدافع الاستعماري

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية،لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب فبلاد الإسلام،فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموه، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث،وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية، فنفقد الثقة بأنفسنا، ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ العقائدية، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعا لا تقوم لنا من بعده قائمة.

أنظر إليهم كيف يشجعون في بلادنا القوميات التاريخية التي عفا عليها الزمن، واندثرت منذ حمل العرب رسالة الإسلام،فتوحدت لغتهم وعقيدتهم وبلادهم، وحملوا هذه الرسالة إلى العالم فأقاموا بينهم وبين الشعوب روابط إنسانية وتاريخية وثقافية ازدادوا بها قوة، وازدادت الشعوب بها رفعة وهداية، إنهم ما برحوا منذ نصف قرن يحاولون إحياء الفرعونية في مصر، والفينيقية في سوريا ولبنان وفلسطين، والآشورية في العراق وهكذا،ليتسنى لهم تشتيت شملنا كأمة واحدة، وليعوقوا قوة الاندفاع التحررية عن عملها في قوتنا وتحررنا وسيادتنا على أرضنا وثرواتنا وعودتنا من جديد إلى قيادة ركب الحضارة، والتقائنا مع إخوتنا في العقيدة والمثل العليا والتاريخ المشترك والمصالح المشتركة.

3 _الدافع التجاري

يعتبر من الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق، حيث تمثل في رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان ولقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين.

4 _الدافع السياسي

لما استقلت أكثر الدول العربية والإسلامية، أصبح هذا الدافع يتجلى في عصرنا الحاضر في السفارات الغربية داخل البلاد الإسلامية، حيث إن لكل دولة من الدول الغربية سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية، ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف إلى أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته، وكثيرا ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حين كان السفراء الغربيون يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول الإسلامية،بحجة توجيه النصح وإسداء المعونة بعد أن درسوا نفسية كثيرين من

المسؤولين في تلك البلاد، وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم.

5_الدافع العلمي

إن المستشرقين الذين كان يدفعهم هذا الدافع هم فئة قليلة، حيث أقبلوا بدافع من حب الاطلاع على حضارة الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته.

على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى، لا تلقى رواجا، لا عند رجال الدين، ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين، ومن ثمة فهي لا تدر عليهم ربحا ولا مالا، ولهذا نذر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين.21

المبحث الثالث: بعض شبه المستشرقين حول القراءات القرآنية

الشبهة الأولى: مقارنة مصاحف الصحابة بمصحف عثمان

اعتمد نول دكه وتلاميذه ومن تبعه أسلوب المقارنات، وهي مقارنات اعتباطية لكونها تتم بين أطراف غير متجانسة، يقارنون الإسلام بالمسيحية واليهودية، والقرآن بالتوراة والإنجيل، واللغة العربية بالعبرية والآرامية وغيرها، كما يقارنون بين كتب القراءات القريبة والبعيدة في الزمن، وبين الأعلام وإن تباينوا، وبين القراءات وإن اختلفت.

هذا النوع من المقارنات هو سمة كتاب تيودور نول دكه (تاريخ القرآن)، ومن المقارنات التي اعتمدها وسعى إلى بحثها المقارنة بين مصحف عبد الله بن مسعود الذي أطلق عليه " نص ابن مسعود"22، ومصحف أُبَي بن كعب الذي أطلق عليه " نص أُبَي" [23] ومصحف عثمان بن عفان الذي أطلق عليه هو الآخر "نص عثمان".

بدأت المقارنة أولا بين نص ابن مسعود ونص أُبي بن كعب، أفضت إلى إصدار أحكام غير مرضية علميا، نتأمل هذه المقارنة التي يقول فيها برتزل ما يلي: (تعود أسباب هذا الاختلاف في صفة الرواية لابن مسعود ولأُبي إلى اختلاف الظروف الخارجية للتأثير الذي مارسه كلا النصين، فكما يشير إليه التأرجح حول سنة وفاته لم يلعب أُبي بعد وفاة محمد أي دور مرموق، وسواء بسبب موته المبكر أو لأسباب أخرى فقد أُزيح عن المسرح السياسي، وانتشر نصه القرآني على الصعيد الشخصي فقط، أما ابن مسعود فكان واليا على الكوفة، وكان يملك بالتالي إمكانية استطاع استغلالها بنجاح لإيجاد اعتراف رسمي بقرآنه، ويبدو أيضا أن مصير نسختي القرآن، أي نسخة ابن مسعود ونسخة أبي كان متغايرا، فقد اختفت نسخة أُبي باكرا وربما لم تنسخ أبدا، أما

نسخ ابن مسعود فأخذ عنها لمدة طويلة24.

أما المقارنة بين نص ابن مسعود ونص عثمان رضي الله عنهم أجمعين فقد ساق فيه كلام غولد سيهر معتمدا على استنتاجاته في الموضوع، يقول، (عالج غولد سيهر كتابات ابن مسعود وقراءاته وكافة قراءات القرآن من منظور الاختلاف عن نص القرآن الحقيقي، وتوجد في الواقع حالات كثيرة في الكتابات والقراءات المنسوبة لابن مسعود غير فيها النص العثماني خطأ، أو على الأقل يظهر فيها دافع للاختلاف عن النص العثماني، أي أن نص ابن مسعود يصبح نصا ثانويا، والدوافع الأهم، وإن لم تكن الأقوى، تشمل ما أبرزه غولد تسيهر من إزالة المخالفات من حيث المحتوى أو الإيضاح الموضوعي أو التوضيح اللغوي للنص"...")[25.]

تضمنت هذه المقارنات كلاما يستوقف، كلام عام وغير محدد، وأحكام مطلقة وغير مقيدة، واستنتاجات بعيدة عن العلم والمعرفة، وأقوال غير صحيحة ولا تتطابق مع حقائق التاريخ والواقع .

لقد تَمَّ التوقف كثيرا عند نص ابن مسعود، وترتب عن هذه المقارنة استخلاص الاختلافات الموجودة بين المصاحف، وقد ترتب عن هذه الاختلافات وجود اختلافات في القراءة، وهو استنتاج بعيد، ذلك أن مصاحف الصحابة لم تكن كاملة ومهذبة لأنها لم تكن خاصة بالقرآن وحده بل كانوا يكتبون إلى جنب القرآن الحديث والفقه والتفسير، لذلك بادر الخليفة عثمان رضي الله بجمع الصحابة على مصحف إمام جرد خطه من النقط والشكل ليحتمل ما صح نقله وثبتت تلاوته عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن الاختلاف راجعا لمصحف عثمان ولا لمصاحف الصحابة وإنما هو راجع إلى ما حفظ في الصدور، والتعويل في اختلاف القراءات المسندة المشهورة الصحيحة على الحفظ لا على مجرد الخط.

أما الاختلاف بين القراءات الصحيحة المتواترة والتي تلقتها الأمة بالقبول فهو من نوع الاختلاف الطبيعي، الاختلاف الذي يدخل في مجال التيسير على العباد"، هذه الأمور كلها لا تعني عند نول دكه ومن تبعه شيئا] 26 .[

إن الاهتمام بمصحف ابن مسعود وأُبي بن كعب ساد فيها نوع من التكلف، ونوع من الإفراط في المعالجة والكلام ظنا منهم أن عثمان بصفته خليفة المسلمين أقصى وجودهما من الاعتبار مبقيا على مصحفه الذي لا يخلو هو أيضا من الغمز والطعن، والغرض البعيد القريب هو التشكيك في مصحف عثمان نفسه، وزرع بذور الريبة في الموروث العقدي للأمة كما لو أن الأمة الإسلامية لا تملك معايير الصواب والخطأ، فاختفاء مصحف ابن مسعود ومصحف أبي كان خطأ، ووجود مصحف عثمان بن عفان كان خطأ أيضا، والعودة إلى اعتماد المصحفين المختفيين هو الصواب، وهجران مصحف عثمان هو الصواب في المقابل، يقول برتزل: (إن المراجع الكوفية تقودنا إلى مكان وزمان

حيث لا تزال القراءة المتصلة والمنسوبة لابن مسعود تتصف بالحيوية وبالذكرى الحية27.

الشبهة الثانية: حول أسباب اختلاف القراءات:

يقول جولد زيهر: (ترجع أسبابها . اختلاف القرآت . إلى الخوف من أن تنسب إلى الله ورسوله عبارات يلاحظ فيها بعض أصحاب وجوه النظر الخاصة ما يمس الذات الإلهية العالية أو الرسول أو مما يرى أنه غير لائق بهذا المقام، وهنا قد يترك النص المشهور ويؤتى بقراءة جديدة بدافع تنزيه الله عما لا يليق28)

ومثل لذلك بقول الله عز وجل { شهد الله أنه لا إله إلا هو...}

يرى أن القراءة الثانية: {شهداء الله...} ما هي إلا استبدال التعبير بالجمع عن التعبير بالفعل في القراءة الأولى " شهد الله "لما تثيره شهادة الله لنفسه وكيف يشهد لنفسه؟ أما عبارة الجمع يكون المعنى فيها أن الصابرين والصادقين...هم من يشهد بذلك.

هذا كله من أجل ان يثبت أن القراءات القرآنية هي اجتهادات من القراء وليست نقلا ولا رواية متواترة مما يدل على اعتماد هوى النفس في المسائل العلمية الأمر الذي لا يقبله عاقل كما يدل هذا على الحقد الدفين لدى أمثال هذا الرجل.

هذه مجرد فرية لا أصل لها ولا سند غير الهوى ودافع النيل من القرآن ومن الدين الإسلامي عموما قال بهاء الدين حسين في سياق رده على هذه الشبهة:(فلو كانت القراءة الثانية التي ذكرها جولد زيهر "شهداء الله" مبنية على ضرورة التعديل في القراءة الأولى "شهد الله"لغرض التنزيه على حد تعبيره لوجب على العلماء أن يسلكوا المسلك نفسه في الآيات القرآنية الموهمة للمشابهة، فيغيرونها، لأن ظاهرها عدم التنزيه ولما لم يفعلوا ذلك تبين أن ليس هناك ما يسمى بتعديل للتنزيه في القراءة، فلا بداء ولا اختيار بالهوى، ولا محض الرأي في القراءات، كما يوحي به خيال جولد زيهر، بل أمرها قائم على النقل والرواية الصحيحة؛ أما القراءة الثانية (شهداء الله) التي اقتضتها ضرورة التنزيه على حد تعبير جولد زيهر فهي قراة شاذة لا يثبت بها القرآن ومن ثم فهي لا تصلح لمثل هذا الاحتجاج)29

لذلك محل الإشكال في دراسة جولد زيهر لهذا الموضوع هو في منهجه بحيث لم يفرق بين القراءة المتواترة الصحيحة والشاذة المردودة بل حتى المنكرة، له مقياس واحد في التعامل مع النص، وهذا ما بينه الدكتور بهاء الدين حسين بقوله (هكذا يبدو لنا أن أكبر خطأ في المنهج الذي درج عليه جولد زيهر في دراسته وبحته عن القراءات القرآنية هو جعله القراءات كلها على قدم المساواة، وإعراضه عن قبول أن هناك قراءات شاذة وقراءات ضعيفة أخرى مردودة، في حين أن علماء القراءات المسلمين اتخذوا في دراساتهم منهجا علميا دقيقا قائما على أساس أن هذه القراءات ليست في درجة واحدة فميزوا . بعد بحث ودراسة وتتبع للأسانيد . صحيح القراءات وشاذها، ومتواترها من آحادها...)30

وقد قام المستشرق آثر جفري بوضع مقدمة لكتاب المصاحف الذي ألفه ابن أبي داود السجستاني ابن الإمام أبي داود المحدث المشهور صاحب السنن، و من المسائل التي ذكرها آثر جفري في مقدمته تلك، مسألة خلو مصحف عثمان من النقط و الشكل و أن ذلك هو أحد الأسباب في تعدد القراءات القرآنية، و ذلك كنقطة خامسة في مقدمته، و هذا نص كلامه:" خلو مصحف عثمان من النقط و الشكل: وجد القراء في المصاحف التي بعثها عثمان للأمصار اختلافا في بعض الحروف، فكان في مصحف الكوفة "عملت" و في غيره " عملته"، و كذلك في مصحف الشام " و بالزبر" و في غيره " و الزبر"، و في مصحف المدينة و مصحف الشام " فلا" و في غيرها " ولا"، و مثل ذلك. و كانت هذه المصاحف كلها خالية من النقط و الشكل، فكان على القارئ نفسه أن ينقط و يشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات، و مثل ذلك " يعلمه" كان يقرأها الواحد " يعلمه" و الآخر " نعلمه" أو " تعلمه" أو بعلمه"... على حسب تأويله للآية، فكان حينئذ لكل قارئ اختيار في الحروف و كذلك اختيار في الشكل أيضا و فضلا عن ذلك فقد وقع اختيار بعض القراء، كما يتبين ذلك من كتب القراءات، على كثير مما كان في المصاحف التي منع عثمان استعمالها. ثم بعد ذلك ظهرت بالتدريج في كل مصر من الأمصار قراءة كانت مشهورة معهودة في ذلك البلد و تبعها الناس دون غيرها، فظهرت قراءة أهل الكوفة و قراءة أهل البصرة و قراءة أهل الشام و قراءة أهل حمص و قراءة أهل مكة و قراءة أهل المدينة، و هي اختيار القراء المشهورين من هذه الأمصار ".31

و قد لخص الدكتور محمد حسين علي الصغير في كتابه تاريخ القرآن- فصل قراءات القرآن- المذاهب في ذلك بقوله:
هناك اتجاهان رئيسيان في نشوء القراءات القرآنية و مصادرها:
الأول: أن المصحف العثماني قد كتب مجردا عن الشكل و النقط و الإعجام، فبدا محتمل النطق بأحد الحروف المتشابهة في وجوه مختلفة، فنشأت نتيجة ذلك القراءات المتعددة للوصول إلى حقيقة التلفظ بتلك الألفاظ المكتوبة، ضبطا لقراءة القرآن على وجه الصحة و كما نزل..
الثاني: أن منشأ ذلك هو التوصل بالرواية المسندة القطعية المرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كيفية القراءة القرآنية إلى النطق بآيات القرآن الكريم كما نطقها، و كما نزلت وحيا من الله تعالى، بغض النظر عن كتابة المصحف الشريف...

و قد يقال بأن مصدر القراءات هو اللهجات، و لا علاقة لها إذن بصحة السند و موافقة كتابة المصحف...و لقد جهد المحققون منذ القرن الأول للهجرة حتى عهد ابن مجاهد في دراسة ظواهر القراءات القرآنية...فأرجعوا جزءا من الاختلاف في القراءة إلى مظهر من مظاهر اللهجات العربية المختلفة..ذلك مما يؤيد وجهة النظر في عامل اللهجات و

الاستئناس به عاملا مساعدا في تعدد القراءات."..

ثم يخلص إلى القول بأن:" كلا من شكل المصحف وطريق الرواية إلى النبي صلى الله عليه و سلم و تعدد اللهجات العربية قضايا ذات أهمية متكافئة باعتبارها مصادر من مصادر القراءات، كلا لا يتجزأ، و إلا فهي –على الأقل- أسباب عريضة في نشوء القراءات و مناهج اختلافها"32

الشبهة الثالثة: القراءات الشاذة

يتوقف عند "القراءة الشاذة"، ويبدأ بمصطلح "شاذ"، ويقر بأنه مأخوذ من علم النحو، ثم يعطيه معنى غريبا، فالشاذ في نظره هو الموصوف بالنسبية، ولا يكتمل محتواه إلا بإضافة لاحقة عليه، ويقارن بين قولهم في اللغة "شاذ عن القياس" وقولهم في القراءات " شاذ عن قراءة الأمصار، وهذا التحديد بعيد جدا عن صناعة العلم، غير مأخوذ من علم النحو ومن علوم العربية، فعلماء القراءات حددوا مفهوم الشاذ في صناعتهم، وهو المعنى الذي نقله في الصفحات المتقدمة واضطرب فيه حين قال: (الشاذ هو الآن كل ما كان خارج القراءات المشهورة المعترف بها، والخلاف هو عما إذا كان هذا الشاذ يقتصر على القراءات السبعة أو العشرة أو يزيد عنها)] 33.[

قلت: الشاذ لا يقتصر على القراءات السبعة أو العشرة، بل هو كل قراءة وراء السبعة أو العشرة، يقول العلامة الحافظ ابن الجزري (ت 833هـ): (كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن وجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ونص عليه في غير موضع الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب، وكذلك الإمام أبو العباس أحمد ابن عمار المهدوي، وحققه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه34، يتوقف برتزل عند مصادر القراءات الشاذة، ويستفيض في ذكرها في محاولة منه للتأكيد على وجودها ضمن مصادر محفوظة، فالشاذ –عنده- لا يعني القراءة التي أعدمت بمرة وزالت من الوجود ولكنها -في نظره- المبعدة عمليا من الاستعمال عند قراءة القرآن مع وجودها (وقد استمر وجودها في التفسير بلا حدود كموروث قابل للنقاش) كما يقول35.

القراءة التي حكم عليها بالبطلان وبالضعف، ومنعوها منع تحريم في الصلاة وفي خارج الصلاة، وتجاوزها التاريخ والعلم يتم نبشها من جديد بدعوى أنها موجودة، وليس كل ما هو موجود له صلاحية الوجود، وصلاحية الاعتبار

بدعوى أنه موجود، وأعتقد أن برتزل ونولدكه وسيهر وغيرهم لا تهمهم القراءات الشاذة في حد ذاتها لأن لها صلة بالقرآن كيفما كان الحال لكن الذي يهمهم هو التشويش على المتفق عليه، وإعادة الاعتبار للمُلغَى والمتجاوز.

الشبهة الرابعة: حول رسم المصحف

يستهل برتزل كلامه في الفصل المتعلق ب (الرسم) وبالضبط في الفقرة الأولى التي عنونها ب "أخطاء النص العثماني" بأن المسلمين يعترفون منذ زمن طويل بأن نص القرآن الذي أصدرته اللجنة التي عينها عثمان لم يكن كاملا، معتمدا في ذلك على روايات واهية، بعضها غير موثق والآخر غير صحيح البتة، أما الشواهد التي استند إليها في هذا التغيير فكلمات من القرآن تقرأ بصيغ مختلفة حسب طبيعة القراءة، وكون ذلك راجع إلى اختلاف القراءات هو نوع من تبرير الخطإ حسب تحليله، يقول: (فالذين يتحملون مسؤولية نص القرآن، أي عثمان ولجنته، وبالطبع النبي نفسه، سيدفعون على أنفسهم الاتهام بوجود مآخذ لغوية في المحتوى بإلقاء مسؤوليتها على الكتاب، وعلى أي حال فإن هذا المسلك التبريري ساذج لأنه ينطلق من نظرة بشرية بسيطة لإنتاج نسخة القرآن الرسمية، بحيث يجعلنا نرد نشوء هذه الروايات على كل حال إلى وقت مبكر جدا] 36 .[

وأثار نقطة أخرى والتي تتعلق ب (القراءة) والمرموز إليها في الترتيب ب "ب-العلاقة مع الرسم" يثير أوطو برتزل شبهة خطيرة لا تقل خطورتها عن الشبه المثارة في الكتاب، وهي شبهة متوارثة ينص فيها على أن القرآن الذي هو كلام شفاهي مسموع من الوحي يخالف القرآن المكتوب الذي هو في النص العثماني، وهي محاولة استشراقية يوهم بها أن للمسلمين نوعين من القرآن نوع مسموع من الوحي، تناقلت الأفواه معرفته وحفظه، وقرآن أجمعوا عليه، كُتب في وقت متأخر من الزمان يُدعى " نص عثمان"، ثم يعود ليرتب على كل ذلك أن القرآن المسموع لم يتحول إلى مركز الثقل في النص القرآني بل كانت الغلبة للنص المكتوب، ثم يستشهد بأن عمل زيد بن ثابت اعتمد على الأصول المكتوبة في جمع القرآن، هكذا تحول القرآن من النقل الشفوي إلى النص المكتوب، يحاول برتزل أن يدعم أطروحته هاته بالنسخ المكتوبة التي أرسلها عثمان بن عفان إلى الأمصار لتنشأ منها قراءات مختلفة لتعود الدائرة إلى النقل الشفوي لكن بصورة أخرى]37[

من الشبه كذلك:

من أقوى الشبهات التي أثارها المستشرقون حول القرآت القرءانية تلك التي تنسب لابن مسعود في إنكاره قرآنية المعوذتين، وتكمن قوة هذه الشبهة في أنها وردت بأسانيد صححها بعض رجال الحديث مثل ابن حجر، لكن مع هذه القوة هناك ردود هي أقوى من حيث السند، لو أنصف هؤلاء الروايات الصحيحة الواردة في هذا السياق وتحروا الطرق العلمية ـ كما يدعون ـ في الوصول إلى الطعن في القرآن من خلالها لما وجدوا لذلك سبيلا، من تلك الردود ما نجده عند

الشيخ عبد العظيم الزرقاني في كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن حيث ذكر في هذا السياق أمورا علمية وحججا قوية من أجل توهين هذه الشبهة:

(أولها: أن عاصما وهو أحد القراء السبعة قرأ القرآن كله وفيه المعوذتان بأسانيد صحيحة بعضها يرجع إلى ابن مسعود نفسه. ذلك أن عاصما قرأ على أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب وقرأ على أبي مريم زر بن حبيش الأسدي وعلى سعيد بن عياش الشيباني.

وقرأ هؤلاء على ابن مسعود نفسه وقرأ ابن مسعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانيها: أن حمزة وهو من القراء السبعة أيضا قرأ القرآن كله بأسانيده الصحيحة وفيه المعوذتان عن ابن مسعود نفسه. ذلك أن حمزة قرأ على الأعمش أبي محمد سليمان بن مهران وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى على علقمة الأسود وعبيد بن نضلة الخزاعي وزر بن حبيش وأبي عبد الرحمن السلمي. وهم قرؤوا على ابن مسعود على النبي صلى الله عليه وسلم. ولحمزة سند آخر بهذه القراءة إلى ابن مسعود أيضا. ذلك أنه قرأ على أبي إسحاق السبيعي وعلى محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وعلى الإمام جعفر الصادق. وهؤلاء قرؤوا على علقمة بن قيس وعلى زر بن حبيش وعلى زيد بن وهب وعلى مسروق. وهم قرؤوا على المنهال وغيره وهم على ابن مسعود وأمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وهما على النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثها: أن الكسائي قرأ القرآن وفيه المعوذتان بسنده إلى ابن مسعود أيضا. ذلك أنه قرأ على حمزة الذي انتهى بين يديك سنده إلى ابن مسعود من طريقين.

رابعها: أن خلفا يقرأ المعوذتين في ضمن القرآن الكريم بسنده إلى ابن مسعود أيضا. وذلك أنه قرأ على سليم وهو على حمزة.

وهذه القراءات كلها التي رويت بأصح الأسانيد وبإجماع الأمة فيها المعوذتان والفاتحة على اعتبار أن هذه السور الثلاث أجزاء من القرآن وداخلة فيه.

فالقول ببقاء ابن مسعود على إنكار قرآنية هذه السورة محض افتراء عليه.

وكل ما في الأمر أنه لم يكتب الفاتحة في مصحفه اتكالا على شهرتها وعدم الخوف عليها من النسيان حتى تكتب. وكذلك القول في المعوذتين. وقيل إنه لم يكن يعلم أول الأمر أن المعوذتين من القرآن بل كان يفهم أنهما رقية يعوذ بهما الرسول الحسن والحسين.

ومن هنا جاءت روايات إنكاره أنهما من القرآن. ثم علم بعد ذلك قرآنيتهما. ومن هنا جاءت الروايات عنه بقرآنيتهما. كما سقناه بين يديك عن أربعة من القراء السبعة بأسانيد هي من أصح الأسانيد المؤيدة بما تواتر واستفاض وبما أجمعت الأمة عليه من قرآنية الفاتحة والمعوذتين منذ عهد الخلافة الراشدة إلى يوم الناس هذا).38

ومن شبههم أنهم:

جعلوا تعدد القراءات دليلا عندهم على عدم تواتر القرآن، وذلك أن اختلاف القراء في إثبات البسملة عند بعضهم وإهمالها

عند بعضهم واختلاف المسلمين في ذلك يقتضي تكفير بعضهم بعضا لإدخال كلام في القرآن ليس منه بالنسبة للفريق الأول أو لإخراج ما هو من صميمه بالنسبة للفريق الثاني ووظفوا هذا الخلاف في القراءات للوصول إلى النيل من تواتر القرآن وصحة نقله، وأجاب الشيج عبد العظيم الزرقاني عن هذه الشبهة جوابا كافيا شافيا انطلاقا من قاعدة: "لا إنكار في محل الخلاف" وانطلاقا مما قرره الإمام ابن العربي المعافري رحمه الله من أن اختلاف المسلمين في قرآنية البسملة دليل قاطع على عدم قرآنيتها فقال الزرقاني رحمه الله:

(والجواب: أن قرآنية البسملة في أوائل السور اجتهادية مختلف فيها. وكل ما كان من هذا القبيل لا يكفر منكره ولا مثبته شأن كل أمر اجتهادي. إنما يكفر من أنكر متواترا معلوما من الدين بالضرورة. وقرآنية البسملة في أوائل السور ليست متواترة معلومة من الدين بالضرورة. أما منكر البسملة التي في قصة كتاب سليمان من سورة النمل. فهو كافر قطعا لأن قرآنيتها متواترة معلومة من الدين بالضرورة ولا خلاف بين المسلمين في قرآنيتها حتى يكفر بعضهم بعضها كما يزعم أولئك المعترضون.)39

خاتمة:

بعد هذه الجولة الخفيفة حول القراءات القرآنية وشبهات المستشرقين ومن تابعهم في كتاب الله تعالى، نجد أن أبحاث المستشرقين لم تتسم بالعمق العلمي، بل غلبت عليها السطحية والجهل بأصول البحث في العلوم المتعلقة بالقراءات، وظهر فيها أثر خلفياتهم العدائية للإسلام.

كما يصور المستشرقون بعض الآراء الشاذة، أو الضعيفة من حيث السند المثل الأعلى للإسلام، وينسبونها إلى هذا الدين العظيم.

إن المستشرقين الذين جاءوا بعد جولد سيهر جعلوه عمدتهم ومرجعهم في إثارة القلاقل والشبهات.

مستخلص:

يتناول هذا المقال شبهات وشكوك المستشرقين وأتباعهم المتعلقة بالقراءات القرآنية.

وحاصله أن الدراسات الاستشراقية افتقرت إلى العمق العلمي، سيطرت عليها السطحية والجهل بمبادئ البحث في العلوم المتعلقة بقراءات القرآن، كما أنها تظهر تأثير خلفياتهم العدائية ضد الإسلام.

يصور المستشرقون أيضًا بعض الآراء الشاذة أو الضعيفة سندا، على أنها المثل الأعلى للإسلام، وينسبونها إلى هذا الدين العظيم.

لقد جعل المستشرقون الذين جاءوا بعد جولد زيهر معتمدهم وسلطتهم في إثارة هذه الاضطرابات والشبهات.

الهوامش:

1. انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي ص47.

2. المعجم الوسيط للدكتور إبراهيم أنيس أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، وآخرين 722/2.
3. لسان العرب لجمال الدين ابن منظور جزء1 ص128.
4. منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري ص9.
5. البرهان في علوم القرآن للزركشي ج1 ص318.
6. إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ص6.
7. مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج1 ص405.
8. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي ص51.
9. منجد المقرئين لابن الجزري ص3.
10. المعجم الوسيط: ج1، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص482.
11. متفق عليه: رواه البخاري، باب قبلة أهل المدينة وأهل الشام والمشرق رقم394، ومسلم باب الاستطابة رقم 264.
12. الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، الاجتهاد، السيد محمد الشاهد ع 22، السنة السادسة، 1994م، ص 191-211.
13. الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، مازن بن صلاح مطبقاني، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1995.
14. الاستشراق في السيرة النبوية، عبد الله محمد الأمين المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1997، ص16.
15. نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي سالم الحاج، ج1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص20.
16. رودي بارت: الدراسات العربية والإسلامبة في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه). ترجمة مصطفى ماهر (القاهرة: دار الكتاب العربي)، ص 11.
17. إدوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة السابعة، 2005، ص 120.
18. يحيى مراد: أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت 2004، ص6.
19. مكسيم رودنسون: صورة العالم الإسلامي في أوربا، دار الطليعة، 1970، ص 74.
20. محمد عوني عبدالرؤوف: جهود المستشرقين في التراث العربي، المجلس الأعلى للثقافة 2004، ص3.
21. الاستشراق والمستشرقون _السباعي_ 18_23 الطبعة الرابعة 2013 دار السلام مصر القاهرة.
22. كتاب المصاحف لابن أبي داود – التقديم- ص4، تحقيق المستشرق الأمريكي آرثر جيفري
23. المصدر السابق 541-523/3
24. المصدر السابق 538-537/3
25. المصدر السابق 518/3
26. المصدر السابق 48-47/1
27. المصدر السابق 522/3
28. المستشرقون والقرآن لبهاء الدين حسين ص. 168 ط الأولى 1435هـ /2041م دار النفائس

29. نفسه
30. نفسه ص.174
31. مقدمة كتاب المصاحف للمستشرق آثر جفري ص.7
32. تاريخ القرآن للدكتور محمد حسين علي الصغير: ص.101
33. المصدر السابق 589/3
34. النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري9/1 تحقيق علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.10
35. تاريخ القرآن لنولدكه 655/3
36. المصدر السابق 445/3
37. المصدر السابق 558/3-559
38. مناهل العرفان في علوم القرآن لعبد العظيم الزرقاني ج. 1 ص. 471 . 473 ط. 1408 هـ/1988م دار الفكر بيروت
39. نفسه ص. 474

لائحة المصادر والمراجع

1. القاموس المحيط للفيروز أبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.
2. المعجم الوسيط للدكتور إبراهيم أنيس أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، وآخرين، الناشر: دار الدعوة.
3. لسان العرب لجمال الدين ابن منظور، الطبعة: الثالثة -1414 هـ الناشر: دار صادر – بيروت.
4. منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري، الطبعة: الأولى 1420هـ -1999م الناشر: دار الكتب العلمية.
5. البرهان في علوم القرآن للزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
6. إتحاف فضلاء البشر للدمياطي، المحقق: أنس مهرة، الطبعة: الثالثة، 2006م - 1427هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان.
7. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي، المؤلف: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.
8. منجد المقرئين لابن الجزري
9. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفري تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط 1. 1422هـ دار طوق النجاة، بيروت.
10. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي . بيروت.
11. الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، الاجتهاد، السيد محمد الشاهد، السنة السادسة، 1994م.

12. الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، مازن بن صلاح مطبقاني، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1995.
13. الاستشراق في السيرة النبوية، عبد الله محمد الأمين المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1997، ص16.
14. نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002.
15. الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه) رودي بارت. ترجمة مصطفى ماهر (القاهرة: دار الكتاب العربي).
16. الاستشراق، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة السابعة، 2005،
17. أسماء المستشرقين: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت 2004،
18. صورة العالم الإسلامي في أوربا: مكسيم رودنسون، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، 1970.
19. جهود المستشرقين في التراث العربي، محمد عوني عبد الرؤوف، المجلس الأعلي للثقافة 2004، الاستشراق والمستشرقون _السباعي_، الطبعة الرابعة 2013 دار السلام مصر القاهرة
20. كتاب المصاحف لابن أبي داود – التقديم-، تحقيق المستشرق الأمريكي آرثر جيفري، الطبعة الأولى 1936، المطبعة الرحمانية _ مصر.
21. المستشرقون والقرآن لبهاء الدين حسين ط الأولى 1435هـ /2041م دار النفائس
22. تاريخ القرآن للدكتور محمد حسين علي الصغير، الطبعة:1، تاريخ النشر1420هـ، دار المؤرخ العربي.
23. النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، تحقيق علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
24. تاريخ القرآن لنولدكه، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر
25. مناهل العرفان في علوم القرآن لعبد العظيم الزرقاني ط. 1408 هـ/1988م دار الفكر بيروت.

صالح.. طالح ولكن

نعمة محمد الفيتوري

قررت الحاجة "مسحونة" تزويج ابنها الوحيد وكان "صالح" رضى والدين، صالحا خلقاً وعملاً، وهكذا نوع من البشر في الغالب، الدنيا لا توفيه حقه؛ لأن حقه محفوظ عند الله. كان كل مُنى الحاجة رؤية ضنوة "صالح" راقد الريح، و"صالح" لم يمانع، خاصة أن الحاجة كانت قد تهالكت صحتها بعد وفاة زوجها، وكان يحاول دائماً مساعدتها بأقصى ما لديه من جهد ومعرفة بأعمال البيت.. ورأت أن بنت الحلال هي من سينقذهما من عبء أشغال المنزل، وتعبيه بالأحفاد.

وفي يوم قالت: شفت بنت عيت فلان سمحة بيظا، تقول لية، وشعرها طويل وأسود تقول ليل.

و"صالح" المسكين يزمط في أرياقه ويقول: يا حاجة أنتي البركة، عارفك ما توديني إلا بالخير، وأنا ما عندي ما نقول ولا في قول بعد قولك...

دبت الحياة في أوصال قلبه، وعروق النشاط أخذت تتسابق لجسده العاطل وروحه العطشى، وقدم على سلفة من الضمان على راتب المرحوم ليقيم الأفراح ولياليه المتملحة، آه عفواً الملاح.. الحاجة كلها ذوق، فتركت المنزل أسبوعين وسافرت مشرق لهلها؛ لتمنح "صالح" فرصة لشهر العسل.. الوطني.

"صالح" هذا البعل البريء طاح في عروس سمحة فعلاً.. مرت أول الأيام و"صالح" منبهر بكل شيء، حتى أنه كان أغلب الوقت خجولاً إذا أراد أن يسعل أو يعطس أو... أو دخل الحمام، حتى لا تسمعه البرنسيسة فيبدو قليل الذوق، ويخدش هذا البرواز الجميل أمام السمحة. وكان يبالغ في الاستحمام حتى يكاد يسلخ جلده ليبدو لامعاً وينال الرضى .

العروس عجبها الأمر وتمادت في الدلال المُستغِل لطيبة "صالح" وكرمه، فكانت تنام للظهر، وعمك "صالح" يجهز الفطور، ويعد ما لذ وطاب من خير الحاجة، وفاتت مدة شهر العسل، وهذا ما نسيه "صالح" في غمرة هيامه في بحر الظلمات المبهرة.. هذا العالم الجديد الأخاذ الذي تمناه ألا يغادر أبداً.

الآن وقت آذان الظهر، جهز الفطور كعادته المستجدة.. الباب يرن، يركض مسرعاً حاملاً سفرة الفطور في يديه ليفتح الباب، وكان مرتدياً مريلة المطبخ.. تسقط سفرة الفطور من يديه ويصرخ: أمي!

-يخرب عقلك يا "صالح."

العروس استيقظت على هزات صالح المرتعشة، هيا! الحاجَّة وصلت.

بخبث سألته: أي حاجة اللي جاية عالصبح؟

صرخ بصوت مرتعش: أ م ي.. ببرود تكاسلت ووقفت ودخلت الحمام، ولم ترحب بالحاجة إلا بعد ما تأنقت وتعطرت، و"صالح" غارق في عرقه، والحرج يتملك أنفاسه، لكنه ابتسم بزهو عندما دخلت الهانم تسلم أخيراً.

الحاجة كانت تجتاحها أحاسيس مختلطة؛ تعجب على فرح على استهجان للوضع، لكن قلب الأم كان يغلب، ويعيدها إلى شعور الفرح إن "صالح" مفرفش ومبسوط.. فات اليوم على خير وجاء الليل و"صالح" كان الأكثر ارتباكاً وحايس، وزادت ربكته العروس حينما فاجأته بأنه عيب أن ينام في الغرفة وأمه في نفس البيت، كانت تستعجل في طموحها بأن تنفرد بمسكنها وحدها. وهذا الصالح يتصارع بين الجنة والنعيم.. أيهما أبقى وأيهما أحلى بمقياس الدنيا لا بمقياس الآخرة فالآخرة لا يأخذ بمقاييسها الكثيرون.

ظل الحال هكذا.. تفاجأ "صالح" بالحاجة تجهز حقيبة ملابسها المعتادة، وتجمع أدويتها استعداداً للعودة إلى أهلها، لم يمانع "صالح" طويلاً، ولم يلح عليها في البقاء، ولم يخطر في باله أن يسألها لماذا تعود إليهم بعد أسبوع واحد منذ قدومها آخر مرة؟ وهي التي كانت مزاراً لهم جميعاً، ولا تغادر بيتها إلا نادراً .

ذهبت الحاجة وكانت مشاعر من نوع آخر تتملكها؛ أولها الانكسار وأنها أصبحت ذلك العبء الذي لم يعد يتحمله أحد، كانت تمسح دمعات منهمرة تخونها طوال الطريق وهي تتذكر مشهد "صالح" وهو متسلل ليلاً إلى الصالون محتضناً مخدته.

- الله يخرب بيتك يا طالح.

بيروت... يا تين الضيعة الأخضر

10 قصص قصيرة جدا - متوالية سردية في ثلاثة فصول

إشبيليا الجبوري - العراق

.0.

بيروت مرهقة، قطرة الندى الجليلة، حلوة، لايزال تين "الضيعة" الأخضر!

الفصل الأول

.1.

رائحة البحر اللطيفة، على الوسادة، الرصيف ذراعي!

.2.

مراكب، تلتقي المرفأ، يحملها البحر وتتلاشى!

.3.

مراكب تغادر، المرفأ بمشاعر الجذاب الهارب، رجع الأنين العذب!

.4.

تغادر ميدان المرفأ، المغنية في مزاج تعيس، إنها تنفخ الناي كثيرا!

.5.

اختفت جميع المراكب، تجولت بالدراجة الهوائية، للشفاء في نفخ الناي!

الفصل الثاني

.6.

في المقهى الفارغ، تزدحم الآراجيل، الدخان الخفيف للتبغ، له رائحة "الكرنتينا!"

.7.

تلاشت الخطى.. الآن وجدت نفسي، أنا أغني، أقوم بجولاتها، للرقص في الصراخ!

.8.

أفكار، تصبح كلمات، لتختفي!

.9.

رصيف المرفأ الفارغ، إلا من وردة عباد الشمس، تلتفت، فاتنة، لأشعة الشمس الحارقة!

الفصل الثالث

.10.

هذا المساء، مر صانع الضجر، بائع الحلوى الجوال؛ "شعر البنات"، له حب ابدي! بيروت مرهقة، قطرة الندى الجليلة، حلوة، لايزال تين "الضيعة" أخضر! بيروت.. يا تين الضيعة الأخضر!

انتهت

رجل بلا رأس

مسرحية من فصلين

سعيد العريبي

الشخصيات: أبو البركات: المدير/ جابر: أمين السر/ الشبح.

الفصل الأول

(بينما كان أبو البركات منشغلا بمطالعة بريده اليومي، وإذ بجابر يدخل مهرولا على غير عادته، بلا استئذان وبلا مقدمات وهو يقول)

ـ سيدي.. سيدي المدير .

ـ خيرا إن شاء الله.. ماذا حدث..؟

ـ رجل بلا رأس يا سيدي.

ـ رجل بلا رأس!!! يا للهول.. أين وجدته..؟

ـ في مكتبي.. مكتبي يا سيدي.

ـ يا للمصيبة.. يا للكارثة.. هل عرفت القاتل..؟ هل أبلغت الشرطة..؟

ـ لا يا سيدي.. إنه....

ـ يا إلهي.. ماذا تنتظر أيها الأحمق..؟

ـ مهلا سيدي.. إنه بلا رأس.. ولكنه يتكلم .

ـ بلا رأس.. ويكلم الناس! !!

ـ نعم.. نعم.

ـ كف عن هذا الهراء أيها الغبي.. هل تعتقد أن وقتي يتسع لهرائك السمج.. ونكاتك السخيفة..؟

ـ أقسم لك يا سيدي.. إنني جاد فيما أقول

ـ يا للعجب!!!..

ـ وأكثر من ذلك.. أنه يمشى.. يمشى يا سيدي !!!!.

ـ يمـ.. يمـ.. يمشى!!!..

ـ نعم يا سيادة المدير.. هكذا.....

ـ تعال إلى هنا.. أيها الأبله (يمسكه من أذنه) ألآن سأريك كيف يمشى الموتى.

ـ مهلا يا سيدي.. أقسم لك برأس جدتي العجوز إنني...

ـ دعني من رأس جدتك العجوز ومن عظامها البالية.. وقل لي يا صاحب هذا الرأس الغبي.. قل لي.. كيف تحادثت مع رجل بلا رأس..؟

ـ نعم سيدي.. أقسم لك إنني تحادثت معه.

ـ وهو ميت..؟

ـ لا يا سيدي.. وهو حي على ما أظن.

ـ يا إلهي يكاد يذهب بعقلي هذا الغبي.. أنت أيها ألأحمق.. تقول إنه بلا رأس ويكلم الناس.

ـ نعم سيدي.

ـ وتقول لا هو ميت.. ولا هو حي.

ـ نعم سيدي.

ـ كيف إذن.. كيف.. أيعقل هذا يا عديم العقل.

ـ لقد رأيته بعيني هاتين يا سيدي.

ـ بلا رأس.. ويتكلم!!! لا هو من الموتى ولا من الأحياء!!!..

ـ أعتقد أنه في منزلة بين المنزلتين.

ـ بين المنزلتين.. أيها اللعين !!!..

ـ نعم سيدي.. لا هو ميت فأقول لك إنه ميت.. ولا هو حي.

ـ ألم تقل أيها الأحمق.. إنه ليس بميت.. وإنه يتكلم.. فكيف إذن لا يكون حيا.

ـ الأمر في غاية البساطة سيدي.. لو كان حيا.. لكان له رأس.. مثل رأسك هذا.

ـ رأسك أنت أيها المجنون.. أتصل بك الجرأة على مقارنة رأسي الشريف.. برأس هذا الذي...

ـ لا تغضب سيدي.. إنه بلا رأس.

ـ بلا رأس.. يا عديم الإحساس.. ويتكلم مثل الناس!!!..

ـ سيدي.. سيدي.

ـ نعم.. ما الذي خطر ببالك..؟

ـ أعتقد يا سيدي.. أنه ميت.

ـ تعتقد أنه ميت.. لكنك تقول إنه يتكلم.. ويمشى أيضا.

ـ نعم.. نعم.. بلا رأس.. ويمشي ويتكلم مثل الناس.

ـ لا أنعم الله عليك.. بلا رأس ويتكلم.. ما هذا التناقض.. ما هذا التخريف.

ـ أعنى يا سيدي تارة يكون له رأس كبقية الناس.. وتارة أخرى أراه بلا رأس .

ـ أمتأكد أنت مما تقول..؟

ـ جدا.. أعتقد.. أعتقد.. يا سيدي...

ـ ماذا تعتقد.. هيا تكلم.

ـ أعتقد انه.. شبح.. نعم.. قد يكون شبحا.

ـ يا إلهي.. شبح.. إنني لا أطيق سماع هذا الاسم.

ـ لكن يا سيدي.. الشبح لا يظهر في وضح النهار.

ـ نعم هذا صحيح.

ـ ولا يزور أحدا في مكتبه.

ـ نعم هذا صحيح.

ـ ولا يطلب من أحد أن يمهد له الطريق.

ـ ماذا تعنى.. يا سكرتيري العزيز .

ـ أعنى يا سيدي.. أعنى لو كان شبحا.. لذهب إليك مباشرة.. دون مقدمات.. ودونما حاجة لخدمات

سكرتير ضعيف مثلى.

ـ نعم هذا صحيح.

ـ الشبح يا سيدي.. قد يعترضك وأنت عائد بعد منتصف الليل إلى بيتك.. ويكمن لك في مكان ما

ليقول لك.. ليقول لك: (بخ).

ـ لقد أفزعتني.. كف عن هذا الهراء.. أنت تعرف أنني أكره العفاريت وقصص العفاريت.

ـ نعم أعرف هذا.. ولكنك اليوم.. مدعو لمشاهدتها.

ـ ألا تكف عن هذا الهراء أيها الأحمق.. هل جننت يا رجل.

ـ كما تريد سيدي.. ولكنه في انتظارك على أية حال.

ـ أنا لا أشك مطلقا.. أنك قد جننت.. دعني أساعدك إن كان مسك شيء من الجنون.

ـ لا تغير الموضوع.. لنعد إلى الموضوع الأهم.. إلى الشبح.

ـ الشبح.. نعم.. نعم.. قلت إنه في انتظاري.. قل له يذهب إلى أقرب مقبرة من هنا وسيجد فيها ما يسره .

ـ مهلا سيدي المدير.. دعني أقول لك ماذا قال...

ـ ماذا قال..؟

ـ قال.. يا سيادة المدير.. قال...

ـ تكلم.. ماذا قال..؟

ـ قال إنه يريد مقابلتك.. لأمر هام.

ـ يريد مقابلتي!!!..

ـ اسمع أيها الأحمق.. أنا لا أقابل الموتى.

ـ أعرف هذا يا سيدي.. ولكنه يصر على ذلك.

ـ يا إلهي.. يكاد يذهب بعقلي هذا اللعين.

(يطرق برأسه مفكرا.. يحدث نفسه: غريب.. هذا أمر غريب حقا.. أنا لا يساورني ثمة شك

في أن هذا السكرتير قد جن.. نعم.. لقد جن ورب الكعبة.. يوجه كلامه إلى السكرتير)

ـ اسمع أيها السكرتير.. لا تكثر من هذا الهراء.. أنت والى أن يعود إليك عقلك مطرود.. تحسس رأسك جيدا واغرب عن وجهي.

ـ سيدي.. سيدي.. أرجوك.

ـ لا تكثر معي الكلام.. هيا اغرب عن وجهي.. ولا تنسى أن تأخذ رأسك معك.

ـ حسنا.. أنا ذاهب الآن.. ولكن وقبل ذلك.. أقسم لك بأنني جاد فيما أقول.. ثم إن الشبح في انتظارك وقد تحتاج إلي.

ـ الشبح.. الشبح.. نعم.. نعم.. صدقت قد أحتاج إليك.

ـ ألا تذهب إليه لتراه بنفسك.. سأنتظرك هنا ريثما تعود.

ـ أنا لا أريد رؤيته.. دعه يذهب لرؤية الجحيم.

ـ ألم أقل لك إنه بلا رأس.

ـ ألا تكف لوجه الله عن هذا الهراء.

ـ أعنى يا سيدي.. لا يستطيع رؤية الجحيم.

ـ حسنا.. حسنا.. أنا لا أريد مقابلته.. قل له غير موجود.. قل له ذهب ولن يعود.. قل له أي شيء.. تصرف يا رجل.

ـ لا يا سيدي.. إلا هذا.. أستطيع أن أكذب على أي مخلوق آخر.. إلا هذا.

ـ يا إلهي أنا لم أعد أحتمل.. لقد أضاع هذا الغبي وقتي.. ويريد أيضا أن يضيع عقلي.. اسمع أجبني وباختصار شديد.. ألم تسأله عما يريد..؟

ـ سيدي.. أولا: أنا لم أسأله.. وثانيا: هذا أمر لا يخصني.. وثالثا: لماذا لا تسأله بنفسك ورابعا...

ـ توقف أيها الأحمق.. لأنني مديرك ولأنك سكرتيري الخاص.. أريدك أن تذهب إليه وتقول له: يقول لك أبو البركات هل من خدمة يمكننا أن نقدمها لك .

ـ لا يا سيدي.. لن أذهب إليه وحدي.. إنني أفضل أن أترك هذا العمل.. على أن أعود إلى ذلك المخلوق المخيف.

ـ حسنا كما تريد.. سنذهب إليه معا.. هذا أفضل من أن أواجه هذا المخلوق الغريب وحدي.

•••

- لا يا سيدي.. إنه يريدك أنت.. أنت فقط.. ألم يقل إنه يريدك في أمر خاص.. يبدو أنه لا يريد أن يطلعني عليه.

- مهما يكن من أمر.. فإنني أفضل تكون معي.

- حسنا.. دعنا نذهب لمقابلته.

الفصل الثاني

(يدخل المدير وهو يقول: بسم الله الرحمن الرحيم.. ومع كل خطوة يخطوها يتفحص بنظراته أرجاء المكتب.. بحثا عن الشبح.. ولكن دون جدوى)

- خزعبلات.. تخيلات.. أوهام.. أين هو - ينادي على جابر - يا جابر.. أدخل يا جابر.

(يدخل جابر مهرولا يكاد يتعثر في خطاه.. وتصطك أسنانه من شدة الخوف.. ويقف بمحاذاة المدير.. خائفا مرتعدا)

- أين هو.. هل ترى شيئا غير الوهم والخيال.

- إنه هناك يا سيدي.

- ماذا تقول.. هناك.. أين.. أنا لا أرى شيئا.

- هناك على ذلك الكرسي سيدي.. أنظر جيدا.. إنه ينظر إلينا.. إنه يقف.

- جابر.. لا تخف تمالك نفسك.. ريثما نذهب إلى الطبيب.

(يهب جابر مسرعا إلى المدير ويتشبث به وهو يقول)

- أنظر يا سيدي.. إنه يتجه إلينا مباشرة.. إنه يقترب .

- دعني أتحسس رأسك جيدا.. هل أنت مريض..؟

- لا.. أنا لست مريضا.. دعني أذهب بالله عليك.

(يوجه كلامه إلى الشبح الذي وقف أمامه مباشرة)

ـ ماذا تريد مني.. أرجوك أتوسل إليك.

(الشبح يخاطب جابر)

ـ هون عليك يا جابر.. لا تخف.. أنا لست شبحا.

ـ ماذا.. أنت لست شبحا..؟ وماذا تكون إن لم تكن شبحا..؟

ـ أكون شيئا آخر لا صلة له بالأشباح.

ـ وكيف أصدق ذلك وأراك تفقد رأسك في بعض الأحيان ويعود إليك في أحيان أخرى..؟

من أنت.. ومن أي مقبرة أتيت.. أخبرني بالله عليك من تكون..؟

ـ لا يهم من أكون.. فقط تمالك نفسك ولا تخف.. فأنا لست شبحا.. ولن أتسبب في إيذائك مطلقا.

ـ حسنا.. حسنا.. ولكن إذا لم تكن شبحا.. فلماذا.. لماذا لا يراك سيادة المدير.

ـ لا تتعجل ستعرف ذلك فيما بعد.

(في الأثناء كان المدير يقف مستغربا.. ويضرب كفا بك تأسفا على سكرتيره الذي وصل به الحال إلى هذا الحد من الهذيان.. بينما يلتفت جابر إلى المدير وهو يقول)

ـ ألا ترى.. ألا تسمع.. يقول: إنه ليس شبحا.

(يمسكه المدير من يده ويقول له)

ـ لا.. الأمر لم يعد يحتمل التأخير.. لا بد أن آخذك إلى الطبيب حالا.

(يمسكه الشبح من يده الأخرى ويقول له)

ـ لا تذهب معه.. أنت لست مريضا يا جابر.. ولست في حاجة إلى طبيب.

ـ أرى إنه على حق.. نعم أنا مريض (يلتفت إلى المدير ويقول له) أرجوك خذني إلى الطبيب الآن .

(يواصل الشبح كلامه فيقول)

ـ هون عليك يا أخي جابر.. فالأمر في غاية البساطة.

ـ أكاد أصاب بالجنون يا أخي الشبح.. أراك ولا يراك.. تتحدث إلي ولا تتحدث إليه.. من أنت قل لي من أنت.. أو دعني أذهب إلى أقرب عيادة نفسية.

ـ لأنك رجل طيب وبسيط يا جابر.. ولأنني أحببتك من خلال عملك معنا.. فقد أتيت لأخبرك بحقيقة أبي البركات.. لقد طفح الكيل لا بد أن أخبر عنه ليعرفه الناس.. لم أعد أحتمله لم أعد أطيقه.. ولن أعود إليه أبدا.

ـ من أنت.. أتشتغل عنده.. ألديه موظفين من العالم السفلى.

ـ لا يا جابر الأمر ليس كما تظن.. فأنا من العالم العلوى مثلك تماما.. غير أنني لا أرغب في البقاء مع هذا الإنسان المريض.

ـ سيدي المدير.. ليس به مس.. ولم يشكو من مرض قط.. ولم أتذكر أنه زار الطبيب ولو لمرة واحدة في حياته.

ـ ربما لأنه لا يشعر بأنه مريض.. ألم تقرأ قوله تعالى: (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا).

ـ صدق الله العظيم.. أو تحفظ القرآن أيضا.. هل أنت شيخ الأشباح..؟

ـ أنا لست شيخ الأشباح.. أنا يا أخي جابر.. أنا...

ـ أنت إذن جني مسلم.. نعم أنا لا أ شك في ذلك.. سلطك أحد المشعوذين عليه.. قصد إيذائه.

ـ لا.. أنا لست جنيا.. ولا صلة لي بعالم الجن لا من قريب ولا بعيد.

ـ من أنت إذن.. أخبرني بالله عليك.. أتوسل إليك.

ـ أنا ضميره.. ضمير أبو البركات.. أو بالأحرى كنت ضميره.

ـ ضمير سيادة المدير!!! يا أهلا وسهلا.. يا أهلا وسهلا.. تشرفنا.

ـ جابر.. تمالك نفسك.. انتبه لما أقوله لك.

ـ نعم.. نعم.. قلت إنك: (مدير سيادة الضمير).. أقصد...

ـ نعم أنا ضمير سيادة المدير سابقا.

ـ أتعنى أنه الآن بلا ضمير.. يا للعجب.. يا للعجب.

ـ نعم.. بلا ضمير في كثير من الأحيان.. وبلا رأس في أحيان أخرى.

ـ غير معقول.. سيدي الحاج أبو البركات.. بلا ضمير وبلا رأس أيضا.

ـ أنا أدرى بمثالبه ومقالبه.. إنه لم يعد الحاج أبو البركات الذي عرفته من زمان.. إنه الآن أبو الوساطات والعمولات الكثيرات.. والحماقات التي لا يقترفها من له رأس يفكر به كبقية الناس .

(وعلى نحو هستيري يقهقه جابر بأعلى صوته.. ويلتفت إلى أبي البركات ويخاطبه بسخرية لاذعة غير متوقعة وغير مألوفة)

ـ قليل بركات.. كتير وساطات.. واخذ عمولات كتيرات.. لازم أبلغ مخابرات حكومات.

(أبو البركات يوجه كلامه إلى جابر متوسلا ومستجديا)

ـ اخفض صوتك يا جابر.. أرجوك لا تفضحني أمام الموظفين.. أكتم السر ولك ما تريد.

(لم يمتثل جابر لتوسلاته وعروضه.. خرج من المكتب مسرعا.. يردد وبأعلى صوته)

ـ قليل بركات.. كتير وساطات.. واخذ عمولات كتيرات.. لازم أبلغ مخابرات حكومات.

(أسرع إليه أبو البركات محاولا الإمساك به.. غير أنه تعثر ووقع على الأرض واصطدم رأسه بالبلاط.. فاستيقظ عند ذاك من نومه مذعورا.. فتعوذ من الشيطان وحمد الله كثيرا على نعمه وفضله وستره أيضا)

ـ حول الفساد المستشري في بلادنا.. كتبت هذه المسرحية.. عام: 1984.. أثناء عملي بمجلة الثقافة العربية.. غير أنها لم تنشر بها.

بذارُ الرُّوح

عمر عبدالدائم

أعيدي بِذَارَ الروحِ يا هِبةَ الرَّبِّ
و صُبّي بديعَ السحرِ في حرفهِ..
صُبّي

أعيدي بِذاراً
و املأي كأسَه مُنىً
وبالحُبِّ، لا بالحَبِّ ، سُنبُلَةَ القلبِ

أفيضي هطولاً غيمةً بعد غيمةٍ
و روّي صدى الأزمانِ من قطرِكِ العذبِ

و مُدّي له حبل المناجاةِ والرؤى
لتُنجيهِ منِ ليلٍ تطاولَ في الجُبِّ

ومن جور أوطانٍ

ومن ظلم إخوةٍ
يُنادّون للأرضِ الخراب..
وللحربِ

دعاهم : أحِبّوها
فأضحى مسيحَها
وساقوه فيها للعذاب وللصَّلبِ

وحيداً بلا أهلٍ
تعيساً بلا غدٍ
غريباً بلا ذكرى
سجيناً بلا ذنبِ

إذا مسَّهُ ضُرُّ المسافات و الجوى
تردّى رهين المحبسَينِ..
وفي كربِ

على أنّ مِن صحرائه ظَلَّ حافظاً
لِبُقيا من الحلم المعذَّبِ والصّعبِ

تَنَازَعَه في قلبه مِن مدينةٍ

هيامٌ بها يُضنِي وشوقٌ لها يَسبي

فمازال يسقي بين جنبيه وردةً

لها أرَجٌ ينثال في صدره الرّحبِ

ومازال يحكي للمساءات قصةً

يطوف بها ركبٌ

وتختال في ركبِ

لحوريةٍ حوراءَ تنأى بحارها

ويقربُ منها الطيفُ

يا لذةَ القُربِ

و منحوتةٍ

بل لوحةٍ عبقريةٍ

تقاسمها الأمجادُ في الشرقِ والغربِ..

فيا لك من اسطورة ظل نقشها

يحيّر كم عجمٍ رأوه وكم عُربِ

أقامت زماناً في حماها كريمةً
وغنّت لها الناياتُ في المرتعِ الخصبِ

تسامت فأعطت ثم درّت فأرضعت
فجاعت فجف الضرع من كثرة الحلبِ

تداعى عليك الجمع من كل مِلةٍ
فلم تعرفي خيل العدو من الصحبِ

ومهما أرادوا غِيلةً أو تطاولاً
ستبقين يا حسناءُ عاليةَ الكعبِ

أقرأ اسمك في ربوبية الشعر

المهدي الحمروني

قبل أن أتوقف عن الكتابة

سأتعاطى حبرها المخذول
في جفاف البيدر

كي أراود تدوين شاهِدةٍ
عصيّةٍ عن البوح

هذه وحشتي تغرد صرخها
في جُبّي الناضب

غريبًا
على صحراء مقطوعةٍ من
مشجرة الجغرافيا
وحشاشة النسب

في بلاد مفازاتٍ حُبلى بالهزال
تُناسِلُ الثكل والعاهات والأوبئة
وقاطعي الطريق
واليتامى

يُسائِلُ عنك قصيدي بعمق
كيف تأخرتِ عنه؟

ظل على يقينٍ باختلافه بك
في نصي الذي أتوقه
ولم يُكتب بعد

أتطلع لأن تُظفريني إياه
بشيءٍ من قداسة رعايتك البتول

لإلهام أمومةٍ هجينةٍ بالحب
ونضج حكمة تجربةٍ
على خلاصة شعرٍ مختلف

أنت لها كتابٌ سماويٌ
أعلم أن إحساسي أعرب عن نفسه

بقراءةٍ خاطفةٍ

في يافع سردك..

وأن الدهشة ألجمتك وقار الطفولة

لكن الصمت وصلني بتلميحه الحيّ

وشدّني للتبليغ

سأحتاج للطواف على وحيه

ومباركة مُحيَّاك عن كثب

لارؤية إلّاك تجدر محاورتها للتنسُّك

خذي وعيي بألوهية روحك

إلى قوةٍ ظافرةٍ من ظلك السرمدي

مثل وعدٍ حقٍّ بالخلود

لأمانة بث ما يوحى من كهنوتك

المؤنسن تواضعا

لأجل البسطاء

في بلاد مثخنةٍ بالفساد

رحمةً بِيُتم الكلمات البارة
والمستضعفين في أوطانهم

تقفين في معابد الاختزال، وحدك
معتقة الصبا الصابئ عن وهن الإيحاء

مشعلةً لنارٍ مقدسةٍ من الريعان

باختلافٍ مُترعٍ بالنبوات
حين هيأَتكِ السموات لخواتيم أبجدياتها

كرسولةٍ زاهدة
تقنع على مضضٍ ببعثها

هكذا تحاول الحكمة تكذيب نفسها في خشية العارف
اللغات مسخرةٌ لك وعاءً للتدين

وأنا لا حمل لي
دون تلويحٍ يربُت على هشاشتي

فامنحي في سديم التيه بصيصًا
من أزر الدرب

ووقفةً على سُفوح الخشعة

بما يليق بتفردك

بضراعةٍ نازفةٍ من فرط الولوه

يا إلَهتي الخفية عن الكهنة

والمتربصة

رفقًا بعجزي

هاتي برهانًا من حسنك وحكمتك لاعتزالي

ودفئًا نبيًّا لتأمل تجليك

ونصرةً لاكتتاب بيان ما أُنزِل بك

ثمة طوفانٍ من الحُمّى يقذف بهذياني لتداعيك

لما سأقرأ باسمك في ربوبية الشعر

لتجاوز مافات السابقين

من الجهل بك

ونجاة اللاحقين بالهدي والمثاب

لاغفلة لتصوفٍ عن مديحك

ولاسهو عن قيام تباريحك الهُجّد

حين يأتزِرن الأرق بإحرامٍ شاغف

ولاغفوة عن مثول الليل

في حضرة ملكوتك

أريد لزبورك أن يتفرد في سموه

كغروب العفو في سُهيلٍ رؤوفٍ بالعذوق

مقاربٌ لانوثتك

الباذخة الأمومة

كي يحمل كتابه بيمينٍ موسر

ليتك تعلمين عن دم لغتي الصدئة

وكيف تُعاد صياغة فصيلته

بالوقوف أمام جلالك الآن

وكيف يرتعد من البهجة

على الأفق المدهش من تلقيك

الأشعر كثيرًا من الشعر

الواثق في قريحة حضوره

الواهب لمسائي هدوءًا مغتسلاً، في نهر القمر

حين تمسحين على غفوته

إلى الصحو

بغسقٍ مترعٍ

نحو لهب المعنى المفعم باللحن

وفجرٍ شهيٍّ

مبللٍ بالندى

عن غبار شوقٍ مُتعب

خالعًا نهارًا رثًّا من إهابٍ مقفر

على غيم هبوطك الشفيف

فمسّدي على سدول حنينه اليتيم

بكف قصيدةٍ رؤوم

واهمسي له

بوعيدٍ

من عناق

نهدٍ حنون

ودّان. 12 أيلول 2020 م

وادي الوجع

الصديق بودوارة

(1)

يا الهي .

هل يجوز لي؟

أن أمسح عني غبار التعب؟

وأن أبكي قليلاً كلما ضاق صدري بوادي الوجع؟

هل تسمح لي مرةً بعد مرة.

أن ألهو قليلاً كما كنت قبل هذا المشيب؟

وأن أمسح بطرف قميصي المبلل أهداب عيني

وأن أكتب أرقام العابرين على راحة يدي

وأن أرمي بحجرٍ زجاج نافذة بعيدة.

وأن أخطو على أقل من مهلي تحت المطر؟

(2)

هل يجوز لي الآن وقد ملأتني ندوب هذا الزمان

أن أسرق من خزين أمي قطعة سكر؟

وأن أهرب بغنيمة كعك صغيرة في حضن يدي

وأن أضحك ملء صدري

على ما يجوز وما لا يجوز

وأن ألعب بالوحل دون حساب

وأن ألعن الدنيا بلا أي سبب؟

(3)

يا رب هذا الوجود العجيب

هل يمكن لي في هذه السن أن أغضب مثلما كنت؟

وأن أركل باب بيتنا في احتجاج.

وأن أحزن إلى مطلع الفجر

ثم أملأ صدري بالضجيج

ثم أصمت إلى مغيب شمس النهار

ثم ابعثر فوضى المشاعر هذه

دون أن اعتذر؟!!

لأن مطلباً لي لم يؤدى

أو أنه فات أوان الطلب؟

(4)

يا خالق كل هذا البهاء.

أريد أن أمشي على عري الشوارع حافياً

كما كنت قبل هذا الزمن

وكم أتمنى لو عدتُ إلى بيتي القديم لينهرني أبي على هذا الصنيع

ثم يرشو هدوئي بقطعة حلوى

ويبيعني الوهم بلعبة العيد السعيد

فألعبُ بالعيدِ قبل الأوان

ألم تخلق الوهم قلادةً يزدان بها هذا الفقر؟

وهذا القمر؟

ألم يطالع وجهي يوماً وقد.

مللتُ الركود.

وتمردتُ على الرتابة ذات فوضى

وأعلنت عصياناً على الطاعة

ثم أعلنت السلامة في وجه الخطر؟!!

جَفافٌ..

فوزي الشلوي

يَا سَيْدَةَ الْرِّيـحِ .. هُزِّينِي ..

هُزِّينِي أَكْثَرَ

دَعِينِي أَنْتَفِضُ بَيْنَ ذِرَاعَيكِ

سَلِّطِي عَلَيَّ..

غَيْمَكِ الأَسْوَدَ..

واتْرُكِي مَطَرَكِ يُبَلِّلُنِي..

فَمَواسِمُ حُرُوفِي تُعْلِنُ جَفَافَهَا

قَصَائِدِي تَتَشَقَّقُ!!

وَجْهِي يَتَشَقَّقُ ..

وطَنِي يَنْبُذُ الْحُبَّ..

وغَابَاتِي تَطْرِدُ عَصَافِيرَهَا

وبَسَاتِينِي تَحْرِقُ بَعْضَهَا

يَا سَيْدَةَ الْرِّيـحِ..

هُزِّينِي ..

هُزِّينِي أَكْثَرَ

عَلِّيَ أَسَّاقَطُ عَلَيكِ وَجَعاً..

عَلِّي أُوقِنَ أَنِّي مَازِلتُ حَيَّاً!!

عَلِّي أَعْرِفُ..

أَنَّ عَيْنَيكِ مَازَالتْ قَصِيدَتِي

وأَنِّي لاَزِلْتُ شَاعَرَكِ الْمُفَضَّل

فَلاَ تُدِيرِي لِيَ ظَهْرَكَ

ووَاجِهِينِي بِشَرَاسَةٍ

فَجِّرِي بِأَعْمَاقِي..

عُيُونًا مِنَ الْشَّوقِ

اقْتَلِعِي جُذُورِي أَيَّتُهَا الرِّيحُ..

كَي أَرْوِي مَلاَمِحَ وَجْهِي

وأُعِيدُ كُلَّ تَفَاصِيلِي..

فَأَنَا شَاعِرٌ..

عَمَّا قَرِيبٍ ..

سَأُصْبِحُ جَافاً..

و بِلاَ قَصِيدَةٍ !! ..

سقوط رصين

فوزي المزيني

لأن الماء أقدس ما خُلق في الوجود
دائما ما ينحدر إلى الأسافل

لأن النار أقسى ما خُلق على الأرض
دائما ما تسمو إلى الأعالي

لأن الهواء دائما ما يتخلل الفراغ
دونما يعقّب على الثرثرة

لأن التراب يشغل مكاناً
على الحياد من الحرائق

هكذا هو الأمر
سقوط رصين
ورفعة خسيسة!

رحلة الشوكِ

إبراهيم المسماري

أمشي على الجمرِ والأشواكِ مُنسجِما
وفي طريقي أدوسُ الهمَّ والألمَا

كم مِن تعيسٍ تعلّقَ خلفَ راحلتي
بي مستجيراً يراني . يائساً . حُلُما

أجوبُ ذا الكونَ لا أدري بمن صرخوا
خلفي لأنكصَ عمّا رُمْتُ مُنهزِما

مررتُ في رحلتي بالشمسِ باكيةً
وبالنجومِ عليها الليلُ قد جَثَما

والبرقِ ينشجُ في صمتٍ يجاوبُهُ
صُراخُ رعْدٍ أقضَّ الكونَ مُحتدِما

وبالسماءِ تُدمدِمُ حُزنَها غضباً
يَصدُّهُ الجذْبُ في الأرجاءِ منتقِما

وبالجبالِ علاها الموتُ فانفجـرتْ

تلك البراكينُ ترمي البؤسَ والسقَما

لم يستثِرْني الذي شاهدتُ وانطلقَتْ

بيَ الدروبُ أدُكُّ الليـلَ والعَدَما

أدرتُ خـدِّي لمَن نكصـوا، لفظتُهُمُ

في رحلةِ الشـوكِ أمضي رغمَهُمْ قُدُما

لمّا نظرتُ ورائي لم أجـدْ أحـداً

لكنْ أمامي رأيتُ الزهـرَ مبتسِما

قصائد

فاطمة الزهراء بخيت - مصر

وحيدًا تسيرُ

وحيدًا تَمُرُّ

فيومٌ يروقُ

ويومٌ يَمُرُّ

فرادى خطاكَ

أنى ارتحلتَ

طويلٌ مسيركَ

دربكَ قفرُ

وصخرًا ثقيلا

حملتَ اضطرارًا

وقلتَ الليالى

تسيرُ..تَمُرُّ

إذا بالليل طالَ

إذا بالخطوِ جَرُّ

بنصفِ الطريقِ

بكيتَ كثيرًا

فما نلتَ وصلا

ولا أنتَ حُرٌّ!!!!

ﻫﻫ

لكَ أنتَ

أعددتُ لكَ ما لن ترى

هيأتُ لك حتى الثرى

تمشى عليهِ فلا ترى

سوى الورودِ ولونها

عَجِلٌ هروبكَ المغيب!!

لو أنتَ تهتَ عن المكانِ

وما أتيت....

كنت ارتضيت!

لَكِنَّنى

أدمنت صوتكَ

والمرورَ بساحتي

خاصمتُ صمتي

والسكونَ بوحدتي

ونسيتُ كل الحاضرين

بكَ اكتفيت

قد هيتُ لك!!

كي تمسحَ الدمعَ

كي يأتي النهارُ مُعَجِّلا

لكنكَ

كما أتيتَ مع النسيمِ مرافقًا

فيه اختفيت!

৪০৫

أنتَ وأنا

كُنَّا هُنا

يومًا هُنا

في غفلة ٍمن الزمنِ الضنين

رَقَّ الطريقُ فَضَمَّنا

لِبُرهةٍ

روحًا لروحٍ تستكين

كيف انتشينا بوهمنا؟

وكيف أوهمنا اليقين!!!
يا نشوةَ الحبِّ التي
أزهرت فينا قفارَ السنين
هنا بنفسجُ، سوسنُ
هنا ورودٌ من حنين
الآن عُدت بخطوتي
وبوحدتي
الدرب هذا ما أري؟
أم عيوني خادعاتٌ
لا تُبين!!
كم تبدلنا كثيرا
كم تَصَحَّرنا كثيرًا
جَفَّت الأمطارُ من زمنٍ بعيدٍ
بالله قل لي:
في قسوةِ الجبلِ الغَضوبِ
كيف انتظرُ الورودَ
كيف ينمو الياسمين!!!

أخبار الرابطة..

رابطة الأدباء والكتاب الليبيين تستنكر التطبيع مع إسرائيل

عبر صفحتها الرسمية على منصة التواصل الاجتماعي الفيسبوك، أصدرت رابطة الأدباء والكتاب الليبيين بيانها الذي أستنكرت فيه إعلان التطبيع مع إسرائل، معتبرة أن هذا القرار خيانة لقضية العرب المركزية، القضية الفلسطينية. داعية اتحاد الأدباء والكتاب العرب لقيادة تيار المقاومة.

وفيما يلي نص البيان:

..بيان..

إن رابطة الأدباء والكتاب الليبيين، وهي تتابع تطورات الأوضاع إلى ما هو أسوأ على مستوى قضية العرب المركزية (فلسطين) وهو ما تدينه بكل اللغات عدا العبرية، لتؤكد مضيها قدما في درب النضال الثقافي الذي يكرس (القدس) ككلمة سر لاي تحول، وعنوان لكل تطور، ونؤكد أن الأنظمة السياسية التي تدير أوضاعنا العربية البائسة بما تقدمه من تنازلات برعاية إمبريالية، إنما تعبر عن خذلانها لشعوبها الرافضة تاريخيا للتطبيع مع العدو الصهيوني، وكيانه يظل غاصبا مغتصب مهما كانت المساحيق التي تغطي وجهه القبيح...

إننا ندعو كل مثقف وإديب ومبدع وكل مؤسسة ثقافية، تنتمي للامة العربية شعارا وبرنامجا، وفي مقدمتها اتحاد الأدباء والكتاب العرب، الذي نعتز أننا من مؤسسيه، إلي قيادة تيار المقاومة الثقافية في رفض التطبيع مهما كانت صوره، وستظل القدس لنا وإن طال الزمن..

مناشط وفعاليات..

أكثر من 300 عنوان ليبي بساقية الصاوي

شاركت مكتبة الكون، القاهرة، بأكثر من 300 عنوان ليبي، ضمن فعاليات معرض ساقية الصاوي السنوي للكتب، بالعاصمة المصرية القاهرة.

المعرض انطلق في 17 أغسطس 2020م، بمشاركة مجموعة من دور النشر والمكتبات المصرية والعربية. المعرض استمر حتى 26 من ذات الشهر.

ثقافي غدامس ينظم صالونه الأول

نظم المركز الثقافي في مدينة غدامس السبت الموافق 15 أغسطس 2020م الصالون الثقافي الأول تحت عنوان (إيجابيات الحجر في زمن كورونا) ألقي فيه الروائي والقاص"إبراهيم الإمام" نصه الروائي (عام بقلي) الذي يتناول أحداث الغارة الأمريكية على غدامس عام 1943 من القرن المنصرم، وما تبعها من تفشي للأوبئة والآفات والدور الفعال الذي لعبه أهل الواحة في استثمار الظروف الصعبة في طرق الوقاية والعلاج.

حضر الأمسية عميد بلدية غدامس ولفيف من الأدباء والمثقفين والمهتمين بالمجال الإبداعي، وشارك الحاضرين تجاربهم ومشاهداتهم من خلال بعض المداخلات، وفي ختام الصالون كرّم الحاضرون الروائي "إبراهيم الإمام" بدرع الثقافة لجهوده المحمودة والمثمرة في بناء الوطن وتوعية المواطن.

كورونا تؤجل ملتقى الأدب والنقد الليبي

أعلن الدكتور "سليمان زيدان"، رئيس الملتقى الوطني الدولي الأول للأدب والنقد في ليبيا، عن تأجل موعد إنطلاق الدورة الثانية للملتقى، نتيجة الإجراءات الاحترازية المتخدة لواجهة تفشي فيروس كورونا (كوفيد 19).

الملتقى كان من المزمع إقامته في الفترة من 18 إلى 21 أغسطس الجاري، بمدينة طبرق، وكانت اللجنة المنظمة للملتقى في دورته الثانية قد أعلنت عن البحوث المجازو وجدول أعمال الملتقى.

الهيئة العامة للثقافة تشارك في اجتماع الملكية الفكرية

شاركت الهيئة العامة للثقافة في أعمال اجتماع ضم الجهات ذات العلاقة بالملكية الفكرية في ليبيا الذي عقد يوم الخميس 9 يوليو 2020م، بمقر وزارة الاقتصاد والصناعة، بمشاركة كل من الأستاذ المبروك الغالي المبروك، مدير إدارة المطبوعات والمصنفات الفنية بالهيئة العامة للثقافة، ممثلا للملكية الفكرية الأدبية والفنية، ومدير إدارة التخطيط والدراسات بوزارة الاقتصاد والصناعة، ورئيس مكتب الملكية الفكرية بمركز البحوث الصناعية، ورئيس قسم الملكية الفكرية والابتكارات بهيئة أبحاث العلوم الطبيعية والتكنولوجيا، ومدير المرصد الليبي لمؤشرات العلوم والابتكار والتكنولوجيا.

وناقش الاجتماع استحداث مركز وطني للملكية الفكرية في ليبيا، لمساعدة وتشجيع أصحاب الأفكار الإبداعية الأدبية والفنية، والابتكارات الصناعية، والعلامات التجارية، وتحديد آلية التعاون مع المنظمات الدولية والإقليمية ذات الصلة بمجال حماية حقوق الملكية الفكرية، والتنسيق مع المنظمة العالمية للملكية الفكرية لجلب خبراء للمساعدة في تدريب عناصر وطنية في استخدام منظومات إلكترونية حديثة لعملية التسجيل والإدخال والحماية للملكية الفكرية، والتأكيد على ضرورة حضور الاجتماعات الدورية المنظمة العالمية للملكية الفكرية wipo، وإقامة زيارة من مكاتب الملكية الفكرية الأربعة لإحدى مكاتب الملكية الفكرية في إحدى الدول المتقدمة في مجال استحداث المنظومات الالكترونية للملكية الفكرية للاطلاع على المنظومات الحديثة والاستفادة من خبراتهم .

الإعلان عن أسماء الفائزين بجائزة علي قانة

أختتمت بمدينة طرابلس فعاليات مسابقة علي قانة للفن التشكيلي، والتي جاءت تحت شعار (تراث المدينة القديمة طرابلس)، برعاية خاصة من بيت اسكندر للفنون والثقافة، وفريق عمل البيت. تخلل حفل الإختتام الإعلان عن أسماء الفائزين بجائزة المسابقة التي شارك فيها نحو 15 متسابقا بأعمال تشكيلية متنوعة عبّرت عن الإرث الثقافي للمدينة القديمة وحجم إمتدادها التاريخي.

تشكلت لجنة التحكيم والتقييم من نخبة من الأساتذة، وهم: الأستاذ "محمد الغرياني"، الفنانة "هادية قانة"، الفنان "سالم التميمي".

أما النتائج فكانت كالتالي: "نسرين بن ناجي" الترتيب الأول، بينما الترتيب الثاني فكان من نصيب "محمد الشندول"، فيما فاز بالترتيب الثالث "فاطمة بن روين".

عروس البحر يفتتح نشاطه بمحاضرة عن القراءة والإنترنت

انطلقت في الثلاثاء 14 يوليو 2020م، أولى الأنشطة الثقافية لمنتدى (عروس البحر)، تحت إدارة وإشراف الهيئة العامة للثقافة، بمحاضرة للأستاذ "رامز رمضان النويصري"، بعنوان (القراءة في زمن الإنترنت)، بالقبة الفلكية، بمدينة طرابلس.

منتدى (عروس البحر) هو منتدى ثقافي يتخذ من القبة الفلكية مقراً له، يهدف إلى تنشيط الحركة الثقافية، من خلال مناشط ثقافية وأدبية أسبوعية. وكان المنتدى قد اعتمد من رئيس الهيئة العامة للثقافة، الأستاذ "حسن اونيس"، الذي أكد على أهمية العمل الثقافي، لما له من أثر مهم في المجتمع.

الثقافة تتبنى نشر المعجم العلمي

استقبل رئيس الهيئة العامة للثقافة، الأستاذ "حسن أونيس" مساء الأحد 5 يوليو2020م، الكاتب والأديب يوسف الشريف، بحضور الأستاذة "حياة بن غارات" مدير مكتب ثقافة الطفل بالهيئة.

وتم الاتفاق خلال هذا اللقاء على قيام الهيئة العامة للثقافة بطباعة وتوزيع "المُعجم الميسر للأطفال"، والذي سيكون ضمن الإصدارات الجديدة للهيئة.

الإعلان عن جائزة أحمد إبراهيم الفقيه للرواية

بمناسبةِ مرورِ عشرينَ عاما على تأسيسِ موقعِ بلد الطيوب، أعلنت شبكة طيوب الثقافية بالشراكة مع منتديات تطوير القطاعات، الإعلان عن اطلاق جائزتها السنوية، جائزة أحمد إبراهيم الفقيه للراوية. وذلك اضافةً للأدب الليبي، وتكريما للروائي الكبير، الذي صنفت

رواياته ضمن اعظمِ الروايات العربيةِ في القرن العشرينْ، واثرى بكتاباته المكتبةَ والصحافةَ العربية.

الجائزة انطلقت في استقبال المشاركات في 22 يونيو 2020م، وبعد التمديد تم إقفال باب استقبال الأعمال المشاركة في 31 أغسطس، على ان يكون تاريخ 22 سبتمبر 2020م، تاريخ إنشاء موقع بلد الطيوب، موعد إعلان قائمة الأعمال المرشحة للجائزة. أما موعد إعلان الرواية الفائزة سيكون في الـ31 من أكتوبر 2020م. هذا وسيتم الإعلان عن حفل تسليم الجائزة لاحقاً، حيث سيستلم الفائز في هذا الحفل جائزته المالية ودرع الجائزة، ونسخ من روايته.

رسالة الهوني ضمن قائمة نشر المكتبة العربية

أعلنت المكتبة العربية للنشر والتوزيع قائمة الأعمال التي تم قبولها للنشر بدورة النشر للعام 2020م، والتي كانت رواية (الرسالة) للقاصة الليبية "حنان الهوني" أحد الروايات التي تم اختيارها ضمن القائمة التي ضمت 41 عملا.

عيد بن شتوان بالإنجليزية

صدرت قصة (العيد) للقاصة والروائية الليبية "نجوى بن شتوان"، ضمن كتاب (Circle Surface Sun)، الذي يجمع مجموعة من القصص القصيرة المترجمة إلى الإنجليزية، من ترجمة "إيرين إيدن" و"ستيجن ليرناوت." وهذا الكتاب يقدم للقصة القصيرة في منطقة البحر الأبيض المتوسط وكما يذكر على الغلاف مأخوذة من البحر لأبيض المتوسط.

المعجم العلمي للبيع

عبر حسابه الشخصي على منصة التواصل الاجتماعي الفيسبوك، أعلن الكاتب والأديب الكبير "يوسف الشريف" عن عرضه (المعجم العلمي المصور للأطفال) للبيع متنازلا عن حقوق النشر من أجل نشر هذا الجهد الذي يرفع به "الشريف" رصيده في مكتبة الطفل. وكان سبق هذا المعجم صدور ثلاثة معاجم هي: المعجم الميسر للأطفال، المعجم الميسر للفتيان والفتيات، والمختار في اللغة والعلوم لتلاميذ مرحلة التعليم الأساسي.

رحلوا عنا..

القاص عبدالسلام شهاب في ذمة الله

انتقل إلى رحمة الله تعالي اليوم القاص الليبي "عبدالسلام شهاب"، بتاريخ الثلاثاء 9 يونيو 2020م.

عرف الراحل ككاتب للقصة القصيرة والتي تميز فيها بشهادة جميع من عاصروه. وهو من مواليد مدينة بنغازي العام 1953م. بعد خروجه من السجن في العام 1988م فيما عرف بأصبح الصبح، قرر اعتزال الحياة الثقافية والأدبية، ليعمل كقلم بمحكمة بنغازي، حتى وصل لمنصب رئيس قلم الجنايات بمحكمة استئناف بنغازي، قبل أن يستقل بعمله كمحرر عقود. برز الراحل من خلال كتاباته بصحيفة الأسبوع الثقافي، سبعينيات القرن الماضي، حيث تميز في كتابة القصة القصيرة، بما امتلكه من أسلوب ولغة جعلت الكثير يتابعونه.

في العام 1978م، وفي شهر ديسمبر تحديدا، اعتقل الراحل شهاب، على خلفية الندوة الفكرية التي أقيمت بمسرح مدرسة شهداء يناير الثانوية، ببنغازي، ضمن مجموعة من الاعتقالات شملت أدباء وكتاب ومثقفي ليبيا.

الدكتور صلاح الدين السوري في ذمة الله

أعلن صباح الجمعة 5 يونيو 2020م، عن وفاة الدكتور "صلاح الدين حسن السوري"، عن عمر يناهز 84 عاماً.

الراحل من مواليد العام 1936م، درس بقسم التاريخ بجامعة بنغازي، ضمن الدفعة الأولى التي تخرجت في العام 1960م، ليعين معيدا بالقسم، ثم يوفد للدراسة في العام 1961م إلى جامعة كاليفورنيا لاستكمال دراسته بالحصول على درجة الماجستير في التاريخ، وعاد ليعمل أستاذا بالقسم. في العام 1973م، تحصل على درجة الدكتوراه من جامعة واشنجتون.

في سبعينيات القرن الماضي شغل منصيب رئيس مصلحة الاثار الليبية. كما عمل بالتدريس بجامعة طرابلس (الفاتح سابقاً). للراجل مجموعة من المؤلفات في مجال التاريخي الليبي.

إصدارات..

Graywolf Press

عن جراي-ولف للنش(Graywolf Press) ، صدر للشاعر الليبي "خالد مطاوع"، مجموعته الشعرية(Fugitive Atlas) ، والتي تأتي بعد 10 سنوات من آخر مجموعة شعرية صدرت للشاعر. في هذه المجموعة يقدم الشاعر "خالد مطاوع" نمطا ديناميكيا جديدا، حيث يواجه تداعيات الربيع العربي، وأزمة اللاجئين العالمية.

توكرة

عن منشورات مصلحة الآثار الليبية، الإدارة العامة للبحوث والدراسات، صدر للدكتور "خالد الهدار" كتابه (ما يجب ان تعرفه عن اثآر مدينة توكرة – جولة عامة بين آثارها). الكتاب يعرف تاريخيا بمدينة توكرة الأثرية، وما تحويه من معالم أثرية، في لغة سلسة وصور توضيحية.

تنظيم الإدارة المحلية

عن دار ومكتبة الفضيل للنشر والتوزيع، بنغازي، صدر للأستاذ الدكتور "خليفة صالح احواس"، أستاذ القانون العام وعميد كلية القانون جامعة سرت، كتابه (تنظيم الادارة المحلية الليبي – المحافظات والبلديات 1951-2020). شمل الكتاب كافة مراحل المحفظات والبلديات منذ نشأتها، بداية من مرحلة الاستقلال إلى تاريخ اليوم، وهذا الكتاب ضمن مقررات الدراسات العليا بقسم القانون العام، علاوة على تبيانه لأحكام قانون الادارة المحلية 59 للعام 2012م، المعمول به حاليا في ليبيا.

التطرف الديني

عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، صدر للكاتب والباحث الليبي الدكتور "صالح السنوسي" كتابه المعنون (التطرف الديني، اللأمومة الثقافية وتغذية الواقع). الكتاب يبحث في العلاقة بين التطرف الديني والثقافة والواقع.

هواجس الضفة الأخرى

عن مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، صدر للشاعر الليبي "عبدالسلام سنان" روايته الأولى (هواجس الضفّة الأخرى). الرواية تقع في 252 صفحة، وهي بانوراما من حكايا الاغتراب والرحيل والعلاقات الانسانية خارج الديار، في شكل ملحمة رومانسية في إطار الحبك الفني والتكثيف اللغوي.

خلف الباب

عن مكتبة الكون، القاهرة، صدرت المجموعة القصصية الجديدة للقاص والروائي والشاعر "محمد عياد المغبوب"، لتكون الاصدار رقم 34 في مشواره الابداعي. المجموعة تحمل اسم (خلف الباب)، من القطع المتوسط، في 128 صفحة، تضم 18 قصة تحاكي الواقع تبدأ برسالة (المنفي عند الرمق الأخير) وتنتهي بقصة (اللوحة السوداء).

استقلال ليبيا والامم المتحدة

عن منشورات مجمع ليبيا للدراسات المتقدمة، ومؤسسة كلام للبحوث والإعلام، صدر كتاب (استقلال ليبيا والأمم المتحدة)، والذي قام بترجمته الدكتور "زاهي المغيربي". الكتاب يقدم مذكرات السيد "أدريان بليت"؛ مفوض الامم المتحدة في ليبيا قبل استقلالها، في سرد لمسيرة استقلال ليبيا في أروقة هيئة الأمم المتحدة. الكتاب جاء في 4 أجزاء، تضم حوالي 1746 صفحة.

بذار الروح

عن دار إمكان للطباعة والنشر، صدر في طرابلس للشاعر "عمر عبد الدائم" مجموعته الشعرية (بذار الروح)، في 156 صفحة من القطع المتوسط، متضمنة 24 نصًا شعريًا تفاوتت ما بين الشكل العمودي والتفعيلة، وتنوعت ثيمات الديوان بين الدفق العاطفي

والروح الوطنية الجياشة. تجدر الإشارة إلى أن هذا الديوان يُعد الثالث في مسيرة الشاعر الإبداعية،بعد ديوانيّ يسكنني عام2014 م وقبضة من حلم عام 2017م

حساسات التفكير الناقد

عن منشورات مجمع ليبيا للدراسات المتقدمة، ومؤسسة كلام للبحوث والإعلام، صدر كتاب (حساسات التفكير الناقد "المفهومية واللغوية والمنطقية") للأستاذ الدكتور "نجيب المحجوب الحصادي". يقع الكتاب في 288 صفحة، ويتضمن المفاتيح التالية: ماهية التفكير الناقد – الحساسة المفهومية – الحساسة اللغوية – الحساسة المنطقية – أغاليط وقضايا، وتحت كل منها مجموعة من العناوين والمطالب والمباحث ذات الأهمية الإبداعية.

جدلية الحبس والإبداع

عن مكتبة طرابلس العلمية العالمية للنشر والتوزيع، صدر في جزئين للكاتبة والباحثة "أمينة هدريز"، كتابها (جدلية الحبس والإبداع في أدب السجناء الليبيين)، وهو دراسة نقدية عملت عليها الباحثة. تناول الجزء الأول؛ شعرية القصيدة، أما الجزء الثاني فتناول؛ سيميائية الخطاب السردي في القصة القصيرة والمسرحية النثرية.

ثماني رسائل

عن إمكان للطباعة والنشر، طرابلس، صدر كتاب (ثماني رسائل في (ما أنا قلت)) للأستاذ "محمد عبدالسلام محمدة اسويسي"، والذي تناول في هذا الكتاب مسألة بلاغية مهمة، وهي التي تتعلق بتقديم المسند إليه في: (ما أنا قلتُ). يقع في (278) صفحة من القطع الكبير، وقام بخط العناوين الخطاط "حسين ميلاد الفرد".

جامايكا

صدرت عن دار الجيدة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، رواية (جامايكا) للكاتب والروائي الليبي "محمد الأصفر"، في تعاون هو الثالث مع الدار بعد روايتيه؛ تمر وقعمول (2019م)، ومذاق الريشة (2020م).

حاشية الخطابي

عن إمكان للنشر والتوزيع، صدر كتاب (حاشية الخَطَائِي على مختصر المعاني للتفتازني) في علم البلاغة العربيّة، بتحقيق الدكتور "محمد عبد السلام سويسي" الذي عرّف في مستهلّ الكتاب بالمُحَشِّي (مولانا زاده نظام الدين عثمان بن عبد الله الخَطَائي)، وبصاحب الشرح العلّامة (السعد التفتازاني) مبينا منهج (الخطائي) في الحاشية ومكانة الحاشية ضمن الحواشي التي حَظِيَ بها مختصر التفتازني كما تناول نقد (الخطائي) للآراء البلاغية والمصادر التي استند عليها في وضع حاشيته.

مقصد المؤلف

صدر عن منشورات مجمع ليبيا للدراسات المتقدمة، ومؤسسة كلام للبحوث والإعلام كتاب (مقصد المؤلف)، وهو كتاب مشترك، ألّفه ثلاثة أساتذة باللغة الإنجليزية، وهم: أ.د.جيف متسشرلنج من جامعة جويلف، أ.د. تانيا ديتوماس من جامعة أوتوا وجامعة كارلتون، أ.د.عارف النايض، وطبع الكتاب عام 2004. وترجمه إلى اللغة العربية أ.د. نجيب الحصادي أستاذ الفلسفة والمنطق في جامعة بنغازي.

البالونة الكحلة

عن دار الجيدة للنشر والتوزيع، بالعاصمة الأردنية عمان، صدر للقاصة والشاعرة الليبية "آمال العيادي" مجموعتها القصصية (البالونة الكحلة)، بعد فترة من التوقف عن النشر.

خليفة النمرود

عن مكتبة الكون، بالقاهرة، صدر للروائي الليبي "فتحي مسعود"، روايته (خليفة النمرود)، وهو الإصدار الخامس له بعد؛ حكايات حكيم 2013م، حكايات طيب 2014م، أسطورة سالم أوره 2018م، شفا جرف.

قوت المحبين

عن إمكان للطباعة والنشر، صدر كتاب (قوت المحبين) للشيخ "محمد المحجوب حسن" (1918-1988م)، من علماء مدينة صرمان. يقع الكتاب في 125 صفحة من القطع

المتوسط، يحوي مجموعة من تدوينات الشيخ "محمد" بلغت ما يزيد عن 90 تدوينة بين الشعر والنثر.

تجديف في حق الجذور

عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ببيروت، صدر للكاتب والروائي الليبي الكبير "إبراهيم الكوني" كتابه (تجديف في حق الجذور) ضمن سلسلة نصوص، والذي يحوي محاور رؤيوية وتأملية، وتجليات فلسفية موزعة بين شذرات ومداخلات في مؤتمرات، ومقابلات في صحف عربية ودولية.

الخيمة الحمراء

عن دار (الرافدين للنشر والتوزيع) في بيروت تصدر قريبًا الترجمة العربية لرواية (الخيمة الحمراء) للكاتبة والأديبة الأمريكية "أنيتا ديامنت" وقام على ترجمتها للعربية الكاتب الليبي "مأمون الزائدي"، وتقع الرواية في 370 صفحة من القطع المتوسط.

حكايات الجدة

عبدالحكيم كشاد

يُقال باللهجة الليبية: فلان (انذهبت شيرته) ونخصّها بمن ثنى ركبته وعكف على القراءة والكتابة حتى صارتا ديدنه، وربما لازمته آخر العمر.. تقول العرب: فلان أصابته (حرفة الكتابة).. كأنها اللعنة تلاحقه!

وكأن انغلاق الكاتب على عالمه سُبة أو عيب يلاحقه بمجرد انعزاله، ينقطع عما حوله وربما أصبح مستهجنا وغريبا في وسط يراه جيدا رغم ذلك.. أسمع هذا الكلام كثيرا، غير أني لم أتخلّ عن هذه العادة طوال عمري.

في بيتنا القديم وبين جلسات الأهل لطالما كنت مستمعا جيدا والكتاب في يدي، غير أن جدتي غالبا ما كانت تنتزعني أو تبعدني بالأحرى عن هذه اللعنة!.. تضحك العجوز بملء فمها، وهي تأخذ جلستها بيننا إلى عالة الشاي حتى تدمع عيناها قائلة لمن حولها: (والله هالولد إلا مرابط)، بعد أن أكون عاكستها بحركة بدرت مني، أو كلمة أفطستها بالضحك.. ذات يوم قلت مدعيا بما يشبه المثل على أنه من أمثالنا الشعبية القديمة، تبدي العجوز اهتماما أول الأمر وهي تظن أن المثل الذي سيق موثوقا ثم تضربني بعكازها صائحة (نوض بالك بلا كلام فاضي).

كانت الجدة خزنة أمثال، وذاكرة حِكَم، حملت الكثير إلى مسامعنا من أمثالها، فلا تترك مناسبة أو سياق نكون نتحدث فيه إلاّ ويكون المثل جاهزا على لسانها، فهي مصدر ما نتزوّد به عادة من أمثال، كنت مفتونا بما تقول الجدة من هذه الأمثال، حتى خطر في بالي أن أقول ما أزعم أنه مثل محاولا تقليد ما يوهم الظن أنه مثل، وتقديمه إليها كمزحة!

المهم أذكر فيما قلت لها ذات يوم هذا الكلام (طق طق تلقى المرعوب!) وهات يا تعليق وهي تعيده بتهكم! بعد أن فتّشت مرارا وتكرارا في ذاكرتها عن هذا الذي صوّرته لها مثلا ولم تجده!.. هي تستنكر وأنا أجزم أنه مثل متداول ومعروف، مبديا استغرابي لعدم معرفتها به.. وجت معاي صدفة لما عرفت مفردة (المرعوب) وهو الغصن الأخضر الذي لا تأكله النار بسهولة، مما جعلني اتمسّك بقوة بما قلت، وأنا أردد ما توصّلت إليه فرحا ..

(طق) على أنه فعل لمحاولة إشعال النار في الغصن الأخضر بلا فائدة كشيء ميئوس منه!.. (يضرب المثل للشيء الميئوس منه).. الحاصل ربي كان في عون الجدة يومها، وهي تناكفني كل هذا الوقت!

في سياق آخر أتذكّر زعلها من والديّ، ودائما تأخرهما خارج البيت ما يكون سببا لزعلها.. يرحمهم الله جميعا.. في لحظة دخولهما البيت يكون (القيسطو)، يبدأ بأن تنزل الجدة غطاء رأسها على وجهها، تبدو في شكل متخفية عن الجميع تاركة بهذه الحركة للظن زعلها الشديد مسندة خذها على يدها وهي تزمّ شفتيها شبرين، وتبدأ جرعات الزعل، ومرة مرة تلوّح بكلمة مع تشويح حركة اليد كأنها تكلّم نفسها ،وكان كلمتها ياويلي! تكشف عن وجه غاضب وتقولي (اسمع ياولد راهي جايتني لهنى.. ايوه) مع حركة عصبية بأصبعها على خشمها، وهي تستدير بجسمها لي بقوة، ذلك الخشم الدقيق في علو واستقامة ربما اصابته عفوا وهي تحرّك يدها مما يثير ضحكي (يالا نوض من بحداي) ولما اتثاقل في الابتعاد عنها، تبدأ في تقليد ما أقول بعصبية ملفتة وتتحوّل في خفتها إلى طفلة مشاكسة، وتأخذني هستريا ضحك، وفجأة تنفجر بالضحك هي الأخرى!

في الأثناء يدخل والديّ إلى الغرفة، ويهبُ الضحك فرصة للمصالحة ولو بكلمة، وهي محاولة صلح فاشلة على كل حال.. تولّيّ وتجبذ غطاها! .. مازالت زعلانة ومتبيش تكلمهم، وتبدأ الحاجة أمي محاولة استدراجها في الكلام.. وفيك ياوادي.. وما ترطاب لين تحضر العالة ويصير من الشاهي والكاكاوية الطاسة الأولى والثانية.. عفوا في الثانية فيه مقلب ما نبيش يفوتكم، في مرة مديتلها طاسة الشاي فارغة على من تخطر! خذيتها من على العالة بكشكوشتها قبل لتوتى الطاسة الثانية، وحاولت الجدة مرة بعد مرة وطاسة الشاهي على

فمها، وبعد ترفع الطاسة بأقصى يدها لفوق لا شاهي ولا زلحة!.. (هاكم شاهيكم) تمدّ الطاسة بغضب ولما تعرفني صاحب العملة (باهي يا حكيم هكي عقابها سلّم عويناتي!) تقولها الجدة بعزة نفس، وتجيها قوس قوس، وتمدّ يديها بحركة سريعة وهي دوّر على عكوزها هههههه الغريبة حتى وهي بتحرّش فيّ بوي منهونش عليها تجي بتحكيله متحلّفه ترتخى، وتلقى نفسها تقول (هو وليدي ما عندي فيه منقول يهدرز عليّ وكل شيء بس مرات بارد هههه)، وتمطّ الكلمة الأخيرة، ويغلبها الضحك، وهي تعاود في بعض كلماتي، وتضحك تضحك لين تدمع عيونها، وتمسحهم بطرف رداها..

المهم ماتت الجدة، وقعدت حكاياتها وضربات عكوزها، وحالاتها وهي رايقة وحتى وهي زعلانة تجنن بالضحك.. الله يرحمهم جميعا مشت الدنيا معاهم، وما قعد منهم غير صندوق الحكايات كل ما نحطّ رأسي على الوسادة ونتفكّر.. تنثال تلك الذكريات وأي ذكريات؟!